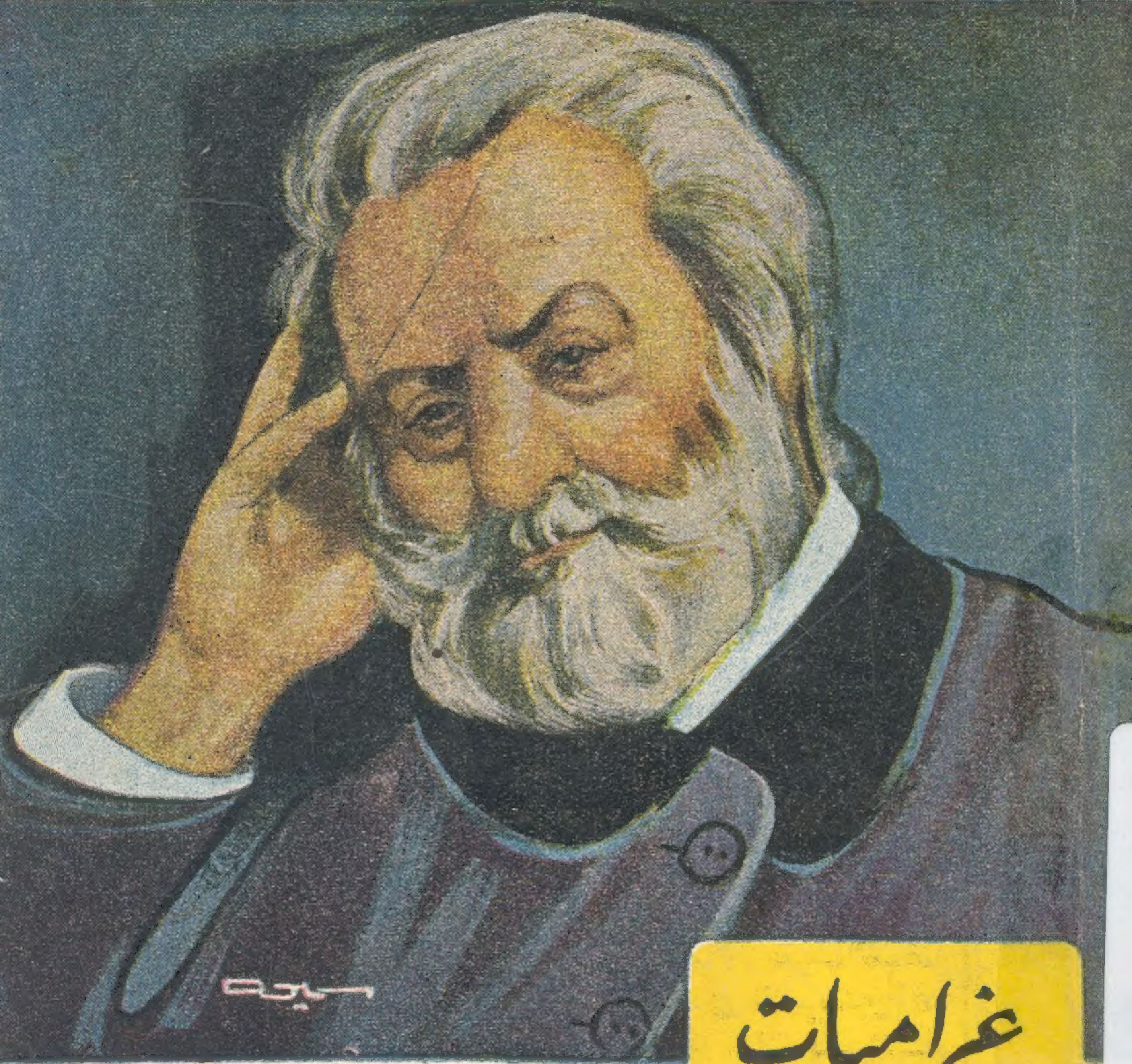


# کتاب الحلال



سید

غرامیات  
فیکتور لہویہو

لطفی سلطان

الشہ ۱۰ فروش



# كتاب الهلال

KITAB AL-HILAL

سلسلة شهرية تصدر عن « دار الهلال »

رئيس التحرير : طاهر الطنححي

العدد ١٢٨ - جمادى الاولى ١٣٨١ - نوفمبر ١٩٦١

No. 128 - NOVEMBER 1961

## مركز الإدارة

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب  
التليفون : ٢٠٦١٠ ( عشرة خطوط )

## المكاتب

دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب  
التليفون : ٢٠٦١٠ ( عشرة خطوط )

## الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى : ( ١٢ عددا ) في الجمهورية  
العربية المتحدة والسودان ١٠٠ قرش صاغا - في  
سوريا ولبنان ١٢٥٠ قرشا سوريا لبنانيا - في بلاد  
اتحاد البريد العربى بالبريد البحرى ١٣٠ قرشا صاغا  
و ( بالطائرة ) ١٧٨ قرشا صاغا - في الأمريكتين ٥  
دولارات ونصف - في سائر انحاء العالم ١٧٠ قرشا  
صاغا أو ٣٥ شلنا

كتاب الهلال



سلسلة شهرية لنشر الثقافة بين الجميع

اهداءات ٢٠٠١

أ.د. محمد هادي

جراح بالمستشفى الملكي المصري

# غراميات فيكتور هوجو

---

بقلم  
لطفی سلطان

---

مفرد الطبع محفوظة دار الهدى



## مقدمة

فيكتور هوجو اسم يملأ القرن التاسع عشر بأسره ، وقد غطى أدبه كل مجالات النشاط الفكرى فتناول الشعر والنثر، والرواية والمسرح ، والاسطورة والتاريخ ، وامتد فشمل حتى السياسة . وضرب في كل لون من ألوان هذا النشاط بسهم وافر ، فلمع اسمه فيه وبقي الى اليوم ، على الرغم من كل شيء ، محاطا بهالة من المجد

وفي هذا الكتاب ، سأحاول أن أقدم قصة حياة الشاعر العظيم وأبين تطوره الفكرى والعاطفى ، مع العناية بإبراز الأحداث التى كان لها اثر فى إنتاجه الادبى وفى حياته بوجه عام ، وهى حياة تجاوزت فى جميع نواحيها كل الحدود المألوفة لبنى الانسان . وهذا أمر طبيعى بالنسبة الى رجل كفيكتور هوجو لا يعتبر شخصا عاديا ، وقد بلغت به مواهبه مرتبة العباقرة الافذاذ

واذا كنت قد اتبعت فى البحث منهجا كهذا فانما مرد ذلك الى الرجل الذى أكتب عنه ، فقد دعانا هو نفسه الى اتباع هذا المنهج فى عرض حياته وأدبه حين قال فى قصيدة له :

إذا كانت أفكارى تخرج أحيانا من صدرى

وتتفرق أغانى فى العالم أجزاء أجزاء

وإذا طاب لى أن أكتب الحب والالم

فى ثنايا رواية ساخرة هازئة

وإذا كنت أهرز المسرح هذا بخيالى الخصب

وأجعل رجالا يعيشون معا مثلكم يتصادمون

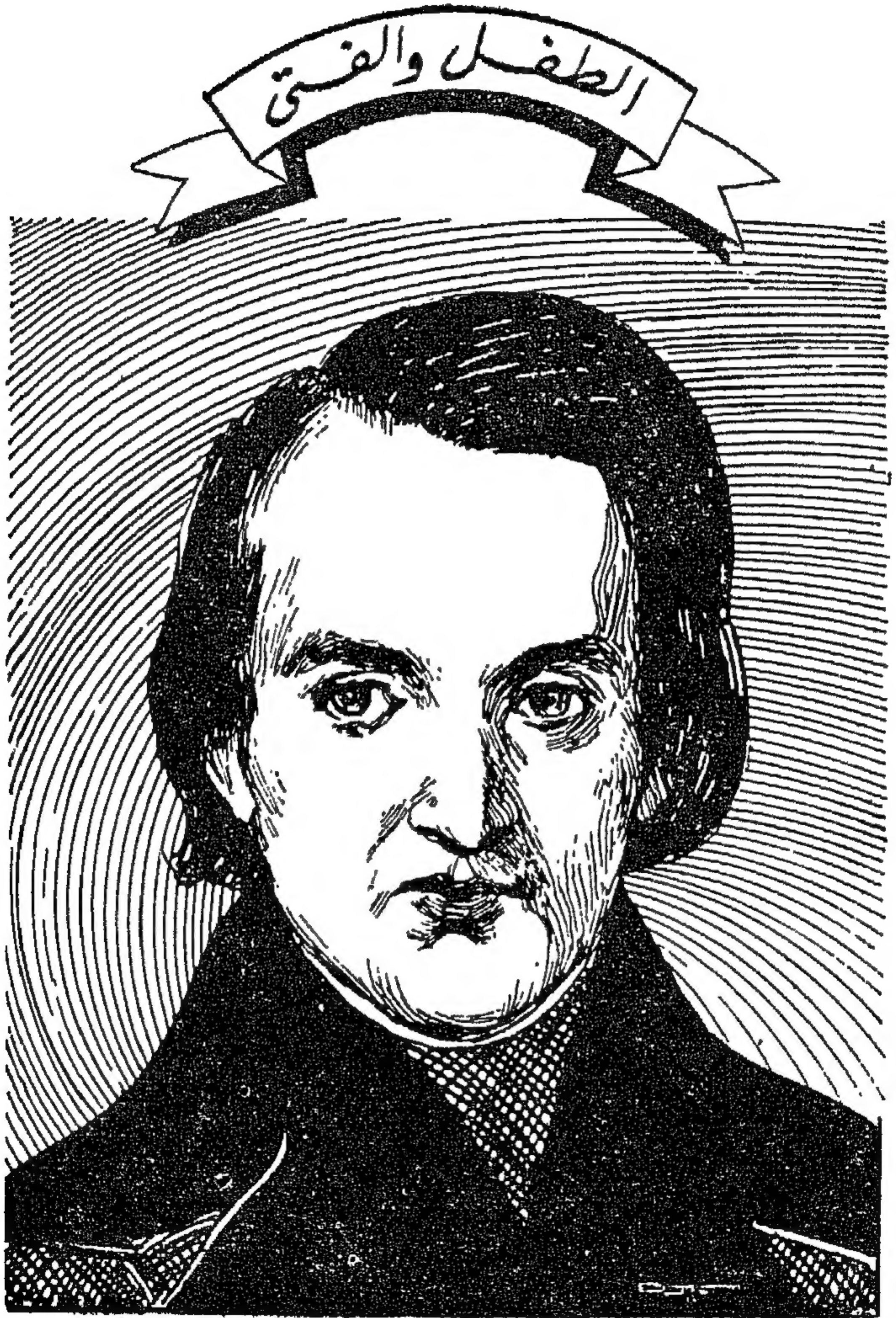
أمام أعين الصفوة من الجمهور  
فإنما أخطب الشعوب بلفتي وصوتي  
والواقع أن من يقص حياة فيكتور هوجو ، عليه أن يُورخ  
للقرن التاسع عشر بأسره ، فهو مرآة لهذا القرن ، يساير  
نشاطه الفكرى والأدبى تطورات وأحداثه ، وتتمشى روحه  
المرنة التى عكست كل الألوان مع المجتمع القلق الذى عاش  
فيه ، ونزوات عصره المضطربة ، ونظمه السياسية غير  
المستقرة

ولم يتأثر أحد قط بالتيارات والمصادمات العنيفة التى  
هزت فرنسا منذ نصف ومائة عام ، كما تأثر هذا الشاعر ذو  
الحساسية المرفهة ، فقد أحس بكل رد فعل ناتج عن الأفكار  
التي قلبت الأوضاع فى زمانه رأسا على عقب ، وعرف السلم  
والحرب ، والنصر والهزيمة ، والاقطاع والثورة ، والملكية  
الارستقراطية والنظام الجمهورى ، وتأثر بعدوى هذه النظم  
جميعا وبما لها من أسس وتقاليد ، وتميزت حياته بسلسلة  
من المآسى ومن التجارب القاسية والأحداث الاليمة انعكست  
آثارها واضحة فى تفكيره ومؤلفاته

فهمتى إذن ليست يسيرة . ولهذا ، فقد رأيت أن أضيق  
دائرة البحث فى ناحيتين لأشك فى أنهما أعمق النواحي أثرا  
فى حياة هوجو : الناحية الفرامية ، والناحية السياسية .  
وقد وجهت أكثر عنايتى الى الناحية الاولى ، فقد عاش  
الرجل عاشقا كل حياته . . وأما الثانية فقد رأيت من الخير  
- حتى لا يتشعب بنا البحث - أن أقصر فيها على القدر  
الذى يمكن القارئ من أن يعيش مع هوجو فى عصره ، وأن  
يتابع مجرى الأحداث التى كانت ذات أثر حاسم فى إنتاجه . .  
وأرجو أن أكون قد وفقت  
والله ولى التوفيق

لطفى سلطان





## الطفل والفتى

لم تعرف زوجة الميجور « ليوبولد هوجو » انها كانت تحمل بين أحشائها جنينا الا في احدى امسيات شهر مايو عام ١٨٠١ م على أعلى قمة فى جبل الفوج أثناء سفرها من « لونيغيل » إلى « بيزانسون » وفى الثامن والعشرين من فبراير عام ١٨٠٢ ، وضعت الزوجة فى بيزانسون طفلا سمته « فيكتور » ، وكان الوليد من الضعف والهزال بحيث استقر فى روع الوالدين والمشرف على الولادة أنه لن يعيش طويلا ، ولكن الصغير قدر له أن يعيش بفضل عناية أمه وكان الجنرال هوجو وزوجته صوفى ، على قدر كبير من الطيبة وكرم الخلق ، ولكنهما لم يكونا دائما على وفاق ، فعاشت الزوجة مع اولادها فى باريس بينما كان زوجها القائد مشغولا بمعاركه فى أوروبا أثناء حروب نابليون

وقضى فيكتور أعوام طفولته مع شقيقه آبل (١) وأوجين فى كنف أمه بيت الأسرة (٢) فى شارع « الفياتين » ، وهو منزل فخم له حديقة واسعة تركت فى نفسه حتى آخر أيامه حينما دائما الى مرتع طفولته ، وما يراه فيه من شجر وطرير وعهدت الام بتربية ولدها الصغير الى قسيس سابق

---

(١) Abel

(٢) دير سابق كان يحمل هذا الاسم استأجرته السيدة صوفى هوجو



يدعى « لاريفير » كان قد خلع مسوح الراهبان ثم تزوج أيام الثورة الفرنسية ، فلما أراد الرجل أن يعلمه القراءة والكتابة ، أدهشه أن يعرف أنه قد تعلمها فعلا من تلقاء نفسه ، فمضى به قدما الى دروس اللغة اللاتينية ، وسرعان ما أحبها الطفل وقد أعجبه عباراتها الدقيقة الموجزة

وفي بداية عام ١٨١١ ، انتزع الصغير فيكتور وأخواه من مرتع طفولتهم بشارع الفياتين ، اذ قررت السيدة صوفي هوجو أن تلحق بزوجها القائد في أسبانيا بناء على طلبه ، وكان نابليون قد عين أخاه جوزيف بوناپرت ملكا لاسبانيا ، فوق اختيار هذا الأخير على الجنرال هوجو ليكون قائدا فيها وحاكما لثلاث مقاطعات ، فأقام القائد مع زوجته وأولاده بقصر « ماسيرانو » بمدريد .

وأحب فيكتور هذه البلاد بطبيعتها الخلابة ومناظرها المتنوعة . والواقع أن أقامته بها قد تركت في نفسه أثرا لازمته مدى الحياة ، فاليها يرجع ميله الى جمال المرأة وافتتانه بسمات الجمال الاسباني بوجه خاص ، كما أن « أشباحا غامضة بلا اسم ستظل تسكر روحه منذ رحلته الى أسبانيا لتصبح فيما بعد أشياء من لحم ودم في مسرحه الرومانتيكي »

وفي صيف عام ١٨١٤ ، غادر الجنرال ليوبولد هوجو وأسرته أسبانيا اثر زوال عهد الامبراطورية ، وعجل بالعودة الى باريس حيث ألحق ولديه أوجين وفيكتور بالقسم الداخلي بمدرسة « كوردييه وديكوت » بشارع « سانت مارجریت » ، وهو طريق ضيق معتم يقع بين سجن « لابی » وزقاق « دراجون » . . فكانت تلك هي نهاية مرحلة

الطفولة بالنسبة الى فيكتور الذى كتب فى سن الرابعة عشرة يقول : « أئننى أريد أن أكون شاتوبريان أو لا شىء ! »

وأعلنت الاكاديمية الفرنسية عزرا مسابقة الشعر لعام ١٨١٦ م ، وكان موضوع المسابقة « السعادة التى تخلقها الدراسة فى كل مواقف الحياة » . فكتب فيكتور قصيدة مؤلفة من ثلثمائة وأربعة وثلاثين بيتا ، قدمها مع أحد أساتذته الى سكرتارية الاكاديمية

وبعد انقضاء أسابيع ، كان فيكتور يلعب فى فناء المدرسة حين رأى شقيقه أبيل مقبلا نحوه ، وكان قد أصبح ضابطا ، وقال له : « لم تصدق الاكاديمية أنك فى الرابعة عشرة من عمرك ، ولولا هذا لفزت بالجائزة الاولى ! »

ولكن فيكتور ما لبث أن عوض الفرصة التى أفلتت منه بأن تقدم لمسابقة « اكاديمية الالعاب الزهرية فى تولوز » (١) . ففاز بالزنبقة الذهبية وبجائزتين من أولى جوائزها على قصيدتين من قصائده ، وتفوق بذلك على كثير من منافسيه من بينهم الشاعر المعروف « الفونس دى لامارتين »

وفى أغسطس من عام ١٨١٨ ، غادر فيكتور مع شقيقه أوجين مدرسة « كورديه وديكوت » وقد غمرتتهما فرحة بالغة ، وأقاما مع والدتهما التى انتقلت فى الشهر نفسه من بيت شارع الفياتين لتقيم فى شقة بالدور الثالث بالمنزل رقم ١٨ بشارع « بيتى أوجيستان » ، لان المعاش الذى كان يتقاضاه زوجها المتقاعد لم يكن يسمح لهما بأن تقيم مع أولادهما فى بيت له حديقة . وبانتقال أسرة هوجو الى هذا السكن الجديد ، بدأت صفحة رائعة فى سجل حياة الفتى فيكتور

---

(١) L'Academie des jeux Floraux de Toulouse





## أول حب

كان فيكتور هوجو لا يزال في السادسة عشرة حين بدأت الصحف تتحدث عنه . وكان ذلك بالطبع مدعاة لفخره ، ولكنه لم يكن كل شيء . . فقد كانت هناك أيضا فتاة نضرة كالزهرة تدعى « آديل فوشيه » ، خميرية اللون ، رقيقة الشفتين . .

وكان فيكتور يعرف آديل منذ أيام الطفولة ، اذ كانت والدتها صديقة لوالدته ، وكانت بين أسرتيهما صلة قديمة ترجع الى ما قبل ميلادهما ، وقد ظلت هذه الصلة قائمة على الرغم من الفارق الذي أصبح كبيرا بين الجنرال هوجو والد فيكتور ، ومسيو بير فوشيه الكاتب الاول في احدى المحاكم وهكذا نشأ أولاد الاسرتين وترعرا معا ، وكثيرا ما كانت آديل تذهب مع شقيقها فيكتور فوشيه عند «مدام هوجو» لتلعب وتضحك مع الاشقاء الثلاثة : آيل ، وأوجين ، وفيكتور ، ساعات طويلة في حديقة بيت الفيانتين ، فكانوا يعاملونها بشيء من الاحتقار الذي يتسم به عادة سلوك الصبيان نحو فتاة من سنهم ، وكانوا يعصبون عينيها بمنديل ويجعلونها تركب عربة البستاني ذات العجلات الثلاث ، ثم يقولون لها : « عليك الان أن تقولى أين أنت » وتعلسو بعد ذلك ضحكاتهم وصيحاتهم !



وكانت أدبل تشاركهم الضحك والصياح ، ولكنها كانت تفضل أن تلعب وحدها مع الصغير فيكتور ، وتوليّه عناية خاصة . . وكان فيكتور من ناحيته ، يأنس اليها ويبادلها رقة برقة ، واهتماما باهتمام . ثم أصبحت تبدو له بعد أعوام وكأنها أميرة أسبانية ، بشعرها الاسود الطويل ، وبشرتها الخمرية المائلة الى السمرة ، وعينيها الواسعتين الصافيتين اللتين تبعثان في النفس الراحة والهدوء . لقد صارت البنت الصغيرة فتاة يافعة ، وأصبحت الان يتبادلان الحديث بدلا من أن يلعبا ألعاب الصغار ، او يقرآن معا ويقرب رأساهما يتابعان نفس السطور . . ومن حين لآخر ، كانت تواتيه القوة ليجري خلفها ، ويلحق بها أخيرا وهو لاهث الانفاس ولكنه منتصر مسرور ، فيمسك بها من خصرها النحيل ! ثم تذهب الفراشة الجميلة الى أمها فتقول : « آه يا أماه ! آه لو تعلمين كم جرينا ! »

أما فيكتور فلم يكن يقول لأمه شيئا ، ولكنه كان يشعر بأن الجنة كانت في قلبه . . !

وقد أشار فيكتور هوجو الى مولد حبه ، فقال ( ١ ) :  
« هأنذا أرى نفسى مرة ثانية فتى حديث السن ، تلميذا فى المدرسة ، مرحا ، لعبا ، أجرى وامزح ضاحكا مع أخوتى فى الممر الاخضر الكبير بحديقة البيت الذى قضينا فيه أيام صبا . . . وكنت لا أزال صبيا ، ولكن كانت تراودنى الاحلام وتملأ الشهوة أعطافى ، وكانت هناك الى جوارى فتاة واسعة العينين ، غزيرة الشعر ، سمراء البشرة ، حمراء الشفتين ،

---

( ١ ) كتاب : « آخر أيام محكوم عليه بالاعدام » نشر فى سلسلة كتاب الهلال

خداها بلون الورد . . . وكانت والدة كل منا تقول لنا : هيا ،  
انطلقا والعبا معا . فكنا نتنزه . . ولكننا لا نلعب ، فقد كنا  
نؤثر أن نتبادل الحديث . كنا من سن واحدة ، ولكننا لم  
نكن من جنس واحد . ومع ذلك ، فقد ظللنا مدة سنة أخرى  
ونحن رفيقان ، بل لقد حاولنا غير مرة أن نعرف أيننا أشد  
بأسا وأصلب عودا من صاحبه . . خطفت منها مرة أكبر  
تفاحة في البستان ، وصفعتها على وجهها مرة أخرى حين  
رفضت أن تعطيني عشب عصفور ، فأخذت تبكي وتنتحب  
فقلت لها : حسنا . . فلنذهب اذن ونخبر والدتيينا بالامر ،  
فتقولان لنا ان كلينا قد أخطأ ، ولكن كل واحدة منهما تعتقد  
في قرارة نفسها أن ولدها كان على صواب !

ولم ينقض وقت طويل ، حتى صارت ، اذا سرنا ، تتكىء على  
ذراعى ، فكنت أشعر حينئذ بفخر كبير ويتمكنى شعور  
غريب ، فكنا نمشي في رفق ونتحدث في رقة ولطف . . سقط  
منها منديلها ذات مرة ، فالتقطته وقدمته لها ، فمست يدي  
يدها وشعر كل منا بهزة ، فأخذت تتحدث عن الطيور ،  
والنجوم في الفضاء ، وحمرة الشفق من وراء الأشجار ، وعن  
زميلاتنا في المدرسة ، وثيابها . . تحدثنا حديثا بريئا في أمور  
عادية ، ولكن وجنتى كل واحد منا كانتا متوردتين . . ذلك  
ان البنت الصغيرة كانت قد أصبحت فتاة شابة .

وفي أغسطس من عام ١٨١٨ م ، انتقلت أسرة هوجو الى  
شقة بالطابق الثالث رقم ١٨ بشارع «بيتى أوجيستان» لتقيم  
الى جوار بيت آل فوشيه ذى الحديقة  
وكانت « مدام هوجو » تذهب بعد العشاء لزيارة صديقتها



مدام فوشيه ، وكان ولداها أوجين وفيكتور يرافقانها في أكثر تلك الزيارات . ويقول بواب « أوتيل دي تولوز » (١) انه كان يرى الشابين الصغيرين مع والدتهما قادمين لزيارة أسرة فوشيه ، وكادت هذه الزيارات أن تكون رتيبة كل ليلة من ليالى شتاء ١٨١٨ - ١٨١٩ . وغالبا ما كان الملل يسود جو تلك السهرات ، فقد كان مسيو فوشيه رجلا ضعيفا معتل الصحة ، فكان يأخذ كتبه وينتحي ركنًا خاصا ، مفضلا الا تعلقه ثروة الحاضرين . وكانت مدام فوشيه وادعة هادئة الطبع لا تميل الى الافاضة في الحديث ، وقد وضعت ذلك نصب عينيها ترفقا بزوجها وراحة له . وكانت مدام هوجو نفسها تقطع ما هي عاكفة عليه من « اشغال الابرّة » بين حين وآخر لتأخذ قليلا من السعوط ، وهو عمل كان مسيو فوشيه يشاركها فيه ، وكانت الام قد ربت ولديها على التزام الصمت في المجالس الا اذا وجه اليهما الكلام

وكان القوم اذا ما فرغوا من العشاء ، كلف الشقيقان بالذهاب الى بيت آل فوشيه ، فاذا تأخر أوجين أستعجله شقيقه فيكتور ، فان حال بينه وبين الذهاب الى بيت آديل حائل ما ، غمرت الكتابة نفسه وأسودت الدنيا أمام عينيه ! وعلى الرغم من جو التزمت والوقار الذى كان يسود تلك السهرات ، فقد كان فيكتور لا يتمنى الا أن يعود اليها ، وذلك حتى يجد نفسه وجها لوجه أمام أميرة قلبه المتعطش الى الحب ويطيل النظر في عينيها الحاليتين . وكانت آديل بدورها تتجاوز عن نظرات أوجين لتنظر خلصة الى فيكتور ،

---

(١) المنزل الذى كان يقيم فيه مسيو فوشيه وأسرته

وقد ملأها الاعجاب بجبينه المرتفع ، وشعره الذهبى ، ونظراته  
البريئة الحانية ، وصعوده السريع الى النجاح  
وما لبث فيكتور أن وجد نفسه ذات يوم وحيدا مع آديل،  
وهما جالسان جنبا الى جنب تحت أشجار الكستناء ، فباح  
كل منهما بـحبه للآخر

كان ذلك يوم ٢٦ ابريل عام ١٨١٩ م ، وكان فيكتور  
وقتئذ فى السابعة عشرة من عمره ، وكانت آديل فى السادسة  
عشرة . وكانت الفتاة أكثر منه جرأة وأشد رغبة فى الاستطلاع  
فأرادت أن تتبين معنى هذا الشعور الصامت الذى كان ينمو  
فى صدرها وينبض به قلبها على الدوام ، فقالت له يومئذ  
بعد أن تأملت وجهه طويلا بنظرة فاحصة :

— لا شك فى أنك تخفى بعض الأسرار . . اليس بينها سر  
يفوقها جميعا ؟

فلما أجابها فيكتور موافقا بعد لحظة صمت ، صاحت  
تقول له فى انفعال :  
— وأنا كذلك !  
— آه يا آديل !

— أطلعنى اذن على أهم أسرارك وأنا أفضى اليك بسرى  
العظيم

— حسنا . . أهم أسرارى أننى أحبك  
فردت آديل قائلة فى بساطة ، وكأن كلامها صدى لكلامه  
— وسرى العظيم هو أنى أحبك . .  
وسرعان ما تحول الميل الحلو المعتدل الى « شعلة » حب  
لا يمكن أن تنطفئ . . !



وكان طبيعيا أن يتبادل الحبيبان الرسائل بين حين وآخر، ولكنها كانت في أغلب الأحيان قصيرة فاترة ، وعلى أية حال فهي لم تحفظ . ثم جاء الصيف وذهبت أسرة فوشيه للاصطياف في « اسي » بالقرب من باريس ، وكان ذلك مصدرا للأسى في نفس فيكتور . وقد حاول الفتى عبثا أن يقنع نفسه بأن الرحلة من بيته بباريس الى « اسي » كالرحلة بينه وبين « أوتيل دي تولوز » ولكن الزيارات اليومية صارت متعذرة ..

فلما جاء الخريف ، رجعت أسرة فوشيه الى بيتها في باريس ، وكان الشوق قد برح بالفتى وملك عليه كل مشاعره، فطرح جانبا التردد والجبن وأصبح عاشقا جريئا ، فصار يطلب من أديل أن توافيه في أماكن يعينها لها في مواعيد محددة ، فكانت تستجيب لطلبه وتصطنع لتحقيق ذلك شيئا من الحيلة . وكان لقاؤهما غالبا ما يتم في حديقة « الاوتيل دي تولوز » حيث تقيم أسرتها ، فكانت أديل اذا ما غابت أمها تنسل للقاء فيكتور المتربص في انتظارها تحت أشجار الكستناء ، وكانت تذهب أحيانا أخرى الى السوق بدلا منها فتسرع الى لقاء حبيبها في أحد الشوارع الهادئة بعد أن تكون قد اشترت ما خرجت من أجله

وكان فيكتور قد نشأ نشأة جادة ، وكانت أديل من ناحيتها فتاة طيبة نقية متذينة تحبه كفتاة بورجوازية بسيطة، وكان هو يحبها حبا رومانتيكيا عظيما ، وكان كثيرا ما يناديها قائلا :

— أديل .. يا ملاكي !

فكانت تجيبه قائلة :

— لا تعتقد أنى ملاك ، فأنا من هذا العالم ..  
ويسود الصمت بينهما لحظة ، ثم تسأله فجأة :

— ترى هل سافهم الشعر ؟

فيجيبها قائلاً فى اصرار :

— ان الشعر يا آديل هو تعبير عن الفضيلة

— وهل ستكون لى يا فيكتور على الدوام ؟

— بكل تأكيد يا عزيزتى ، فأنت الاولى والوحيدة .. وثقى

ان سلطانك عظيم على نفسى ، حتى ان صورتك وحدها أقوى  
من كل ما يضطرم فى أعماقى ..

— آه ! لشد ما أحبك يا فيكتور !

ولما تحسنت صحة مسيو فوشيه ، أصبح يسره استقبال  
أصدقائه فى المساء ، وكثيرا ما كان بين الزائرين صديقات آديل  
وأصدقاءها ، فكان فيكتور يجتمع « بالفتاة ذات الجمال  
الاسبانى » ويتحدث اليها ، ولكن الاجتماع كان بالطبع قصيرا  
يتم تحت أسماع الآخرين وأبصارهم ، وكان الحديث بدوره  
مقتضبا ، فكان لابد من اتمام ذلك عن طريق الكتابة

وكان تبادل الرسائل قد بدأ من قبل ذلك بين الحبيبين ،  
فكان كل منهما يضع فى يد الآخر رسالة غرام . وقال لها  
فيكتور وقتئذ فى رسالة اليها ، بعد ان ردت على إحدى  
رسائله : « بعد ردك على يا آديل صارت عندى شجاعة  
الاسد »

ودام تبادل الرسائل بينهما ثلاث سنوات ، وعلى الرغم من  
ان رسائل فيكتور هوجو التى كتبها الى آديل فى عام ١٨١٩ لم



تحفظ ، فالراجع أنها لا تختلف عن أكثر رسائله التي حفظت .  
وعلى أية حال ففى وسعنا ان نتبين من رسالة وهو فى السابعة  
عشرة أنه كان يفكر تفكير الرجال ، فهو واثق من نفسه ، واثق  
من اخلاصه فى حبه ومن شرف اغراضه ، ولا يخامره أدنى  
شك فى شجاعته وقيامه على عهد الوفاء ، فاذا لم يكن هناك  
مفر من الانتظار فانه ينتظر . . وان اعترضت طريقهم  
العقبات ، فانه يتخطاها فى ثبات وعزم ، فهو لا يسلم بأن هناك  
شيئا مستحيلا ، وهو يعتبر ان أديل زوجته ، فنراه يوقع  
على أول رسالة منه اليها بكلمة : « زوجك » كما سيفعل ذلك  
على الدوام طيلة ثلاثة أعوام !

والواقع ان فيكتور لم يقبل قط فى هذه الفترة من حياته  
تلك العلاقات السافلة التى تتميز بها عادة تصرفات الشباب  
بين سن الخامسة عشرة والعشرين ، ولكى يحفظ الشاب  
طهارته فانه تشبث بحبه العذرى بكل قواه ، وكان يرى فى  
الزواج حفظا له ووقاية من كل سوء ، وكانت أديل تبدو له  
المرأة الوحيدة التى تستطيع ان تطرد عنه « الشياطين » وأن  
تكون له « حصنا ضد جميع النساء الاخريات »

وكانت أديل لا تزال صبية ، على الرغم من أنها كانت تقية  
فاضلة نبيلة الشعور ذكية الفؤاد . . كانت بريئة ورقيقة  
وحنونة ، ولكنها كانت تستجيب لحبه الناضج بحب ساذج  
أقرب ما يكون الى الطفولة ، وكثيرا ما كانت تتساءل : « ترى  
هل أستطيع أن ألعب دور الحبيبة الكبرى الذى يسنده الى ؟ »  
وما المعنى الحقيقى لهذه الكلمات : « انك ستنامين يوما بين  
ذراعى ، وستكون لذاتنا هى واجباتنا وحقوقنا ؟ »

وفى ديسمبر عام ١٨١٩ م ، كتب فيكتور قصيدة بعنوان

« التهنيدات الاولى » ألفها خصيصا لآديل ومطلعها : « دعى زوجك يأخذ منك اثنتى عشرة قبلة كما وعدته » . فلما أهداها اليها وطالبها بانجاز ما وعدت ، ساومته وماطلت ولم تمنحه آخر الامر الا ثلاث قبالات ! وكان بالقصيدة كثير من نغمات الحزن واليأس ، ولكن ما كان أجملها في نظر الفتاة التى قراتها مرارا على انفراد وقد فاض كأس صباها بالفبطة والهناء ومع ذلك ، فما لبثت القصائد والقبالات أن أصبحت مصدر قلق وانزعاج حين أفضت آديل بأمرها الى احدى صديقاتها فتحدثت هذه الى بعض بنات الحى ، وقالت لآديل :

— وهل تحبينه أنت ؟

فأجابتها آديل فى دهشة :

— وهل يسعنى الا أن أحبه ؟

— وهل بحت له بحبك ؟

— وكيف أستطيع أن أخفيه ؟

— ولكنه لا يمكن أن يحترمك ما دمت لا تحترمين نفسك !

وخامر الشك نفس آديل وأخذت تسائل نفسها قائلة :

« ترى هل يؤدى التسليم بالحب الى فقد احترام الحبيب ؟ »

ثم جمعت أمرها أخيرا ، وقالت له فى ألم لما التقت به :

— قل لى يا فيكتور . . صحيح أنك تحتقرنى ؟ هل يمكن

أن تفعل ذلك ؟

فأجابها قائلا فى ذهول ، وقد عصفت الدهشة بفؤاده :

— كيف يخطر ذلك ببالك يا ملاكى العزيز ؟

وراح ينكر فى قوة ، ويجدد مخلصا عهد الوفاء ، وسرعان

ما انقشعت سحب الشك من نفس آديل ، وعادت أوقات

الصفاء . . ولكن الحبيين اتفقا على عدم تبادل الحديث الا



إذا كانا على انفراد ، وعلى ان يتظاهر كل منهما أمام الناس بأنه لا يعرف الآخر ولا يشعر حتى بوجوده !

ولما كان الفتى فيكتور مطبوعا بحكم نشأته - كما سبق ان ذكرنا - على الجد والحزم والطهر ، فقد صمم على ان يعجل بالزواج منها مهما كلفه الامر ، ولكن . . انى لمن كان فى مثل سنه ان يظفر بالزواج ؟ ومن ثم هداه تفكيره الى حل يواجه به الموقف على طريقة « فرتر » ، فيتزوج آديل ولو لليلة واحدة ثم يتركها أرملة فى هذا العالم ، وقال فى نفسه : « لخير لى ان أسعد بزواجها ليلة واحدة من أن أفقدها الى الابد ، ولن يستطيع أحد حينئذ ان يلومها أو يسئ إليها لأنها ستكون أرملتى »

وقال فيكتور لآديل وهو يقنعها بوجهة نظره :  
- صدقيني يا حبيبتي . . ان يوما من السعادة يفضّل  
عمرا كله آلام !

- كن عاقلا يا فيكتور ، وعهدى بك دائما أنك ثابت رزين !  
ورفضت آديل بالطبع ان تتبع فتى أحلامها فى هذا الطريق



و ذات يوم ، حدث ما كان لابد أن يحدث ، فقد انحنت الفتاة الشابة لتلتقط شيئا على مرأى من والدتها ، فسقطت من صدرها ورقة مطوية ما كادت « مدام فوشيه » تلقى عليها نظرة عاجلة حتى احمر وجهها من الغضب ، وأخذت تؤنب ابنتها فى عنف ، وتهدهدها بأن تشكو الفتى الى « مدام هوجو » ولم تخف آديل عن والدتها حقيقة العلاقة التى بينها وبين فيكتور ، واعترفت لها بكل شيء . وتشاور مسيو فوشيه

وزوجته طويلا في الامر ، فاستقر رأيهما أخيرا على أن الشابين  
يجب أن يتزوج كل منهما الآخر أو يقطع علاقته به  
وفي اليوم السادس والعشرين من شهر ابريل عام ١٩٢٠ ،  
أى بعد عام تماما من اعتراف كل من فيكتور وآديل لصاحبه  
بحبه ، ذهب الوالدان الى بيت آل هوجو بشوارع « بتى  
أوجيستان » فى « مهمة خاصة » ، فتوجس فيكتور خيفة من  
تلك الزيارة المفاجئة ، اذ كان يعرف أمه حق المعرفة ويعرف  
مدى الطاعة والاحترام اللذين كانت تتطلبهما من ابنائها  
وذهلت السيدة صوفى هوجو حين علمت ان فيكتور يحب  
.. فيكتور الذى كان حتى الامس القريب يتعلق بأذيالها !  
وفوق هذا ، فمن ذا الذى يقول ان ابن « الجنرال هوجو »  
الفتى اللامع الذى كانت تتوقع له مستقبلا مجيدا ، وتنتظر  
منه أن يكون « شاتوبريان » آخر ، سوف يتزوج فتاة بلا مهر  
« دوطه » ، ويفسد كل شىء من أجل ابنة « بير فوشيه ؟ »  
وضاحت مدام هوجو قائلة فى غضب : « لن يتم الزواج  
مادمت على قيد الحياة » وكان وقع هذا القرار على نفس فيكتور  
كالصاعقة ، فأغلق على نفسه باب غرفته وانخرط فى بكاء  
مرير لم يسبق ان بكى مثله من قبل ، ولكنه مالبت أن استسلم  
آخر الامر وكف عن رؤية آديل أو الكتابة اليها  
وكانت آديل تواجه هذه المشكلة وحدها دون ان تدري  
شيئا عما حدث ، ولم يكن لها من أمل تتعلق به سوى آخر  
خطاب من فيكتور ، وهو الذى قال فيه :  
« انهم لن يستطيعوا ان يفرقوا بيننا ، فأننى لك الى الابد »  
ورأى فيكتور ان يكون خطابه هذا خطابا رسميا ، فوقع عليه  
باسمه الكامل خلافا لعادته



ومنذ ذلك الحين انغمس في العمل ، وأصبح هو المحرك الرئيسي للمجلة «المحافظ في الادب» (١) وحرر فيها مقالات كثيرة بأسماء مختلفة

ومن الطريف ان فيكتور استطاع ان يتصل بآديل من جديد عن طريق المجلة ، اذ نشر فيها قصيدة غرامية لم تكن في حقيقة الامر الا خطابا مقنعا الى خطيبته ، وبهذه الوسيلة استطاع ان يتسلل الى بيتها ، لان « مسيو فوشيه » كان من قراء هذه المجلة

وفي مرة أخرى نشر هو مقالا علق فيه على كتاب « في الادارة » ألفه والد آديل ، ثم أهدها بعد ذلك نسخة مجلدة تجليدا فاخرا من اول ديوان شعر له ، فلم يكن امام مسيو فوشيه هذه المرة الا ان يكتب خطاب شكر لفكتور . وزاد الرجل على ذلك ، ان ذهب لزيارة السيدة صوفي هوجو لمجاملتها

وهكذا بعد ان تحسنت الامور ، استطاع فيكتور ان يخاطب آديل في الشارع بعد عشرة اشهر من الفراق ، ولم تهرب آديل منه ...

يا لتصاريف الاقدار ! ففي اللحظة التي كانت فيها صوفي هوجو على وشك ان تكتشف عدم اطاعة ابنها لاوامرها ، ماتت المرأة المسكينة اثر مرض قصير في السابغ والعشرين من يونيو ١٨٢١

وفي نفس الليلة التي دفنت فيها ، كان فيكتور يحوم حول بيت آديل وحيدا يعتصر قلبه الالم ، وكانت الاضواء الساطعة

تنفذ من خلال النوافذ ، واستطاع فيكتور أن يرى مجموعة  
مرحة من الضيوف يرقصون ، ومن بينهم آديل ، تراقص  
شابا لا يعرفه وقد ارتدت ثوبا أبيض وزينت رأسها بأزهار  
حمراء ! وتصلب قلب فيكتور حتى كاد يكف عن الحركة ! انه  
سوف يتذكر هذا المنظر الكئيب فيما بعد مرات كثيرة . .  
وفي اليوم التالي ، أفهمته آديل ، وهي تبكى بين ذراعيه ،  
أن الحفل لم يكن إلا للاحتفال بعيد ميلاد والدها

ولكن هذا لم يكن معناه أن الطريق قد أصبح ممهدا ليتزوج  
فيكتور من آديل ، فقد كانت هناك عقبات كثيرة لا تزال  
قائمة ، أولها أن فيكتور لا تتوفر فيه كل الشروط المطلوبة ،  
ولذلك قرر مسيو فوشيه أن يسافر فورا مع أسرته ليقضى  
الصيف في بلدة « درو » على مسافة أربعين كيلومترا من  
باريس ، حتى لا يضطر الى استقبال فيكتور في بيته

وكان السفر الى بلدة « درو » يكلف خمسة وعشرين  
فرنكا في عربة نقل المسافرين التي تجرها الجياد ، ولما لم يكن  
فيكتور يملك في حوزته مثل هذا المبلغ ، فقد قرر أن يقطع  
هذه المسافة سيرا على الأقدام ، وبدأ رحلته في اليوم السادس  
والعشرين من يوليو أى في اليوم التالي لرحيل آل فوشيه ،  
فوصل الى « درو » بفضل قوته ونشاطه في ١٩ يوليو . ولما  
كانت « درو » بلدة صغيرة ، فقد استطاع أن يعثر على السيد  
فوشيه وابنته . وأمام إصرار فيكتور ومشابرتة ، لم يملك  
الوالد إلا أن يستقبل - مع زوجته - الشاب الحزين ،  
وحينئذ أخبره فيكتور برغبته في الزواج من ابنته ، مؤيدا  
طلبه بأنه قد استطاع أن يحصل على معاش من الملك ، وكذلك

على موافقة والده . والواقع أنه لم يكن قد حصل على شيء من هذا أو ذاك ، وإنما كانت هي رغبته التي لا تقهر في أن يجعل آذيل أسعد مخلوقة على وجه الأرض

وقبل السيد فوشيه ، بدون اقتناع كبير ، أن تعقد خطوبة فيكتور على ابنته بصفة غير رسمية ، ولكن العراقيل ما لبثت أن أخذت تسد عليه السبيل ، فهو لم يستطع أن يعتمد على أي عون مالي من والده الجنرال ، الذي كان يقطن مدينة بلوا ، والذي كان قد تزوج عشيقته بعد وفاة زوجته بشهر واحد

وكان الوالد يرى أن مهنة الأدب لا يمكن أن تكفل ليفكتور أن يعول أسرة في يوم من الأيام ، ومن ثم فيجب أن يعمل ابنه على أن تكون له وظيفة ما . أما فيكتور ، فقد كان على العكس من والده مقتنعا بأن مستقبله ككاتب سوف يضمن له دخلا كافيا ومعونة من الملك في آن واحد

ولكن كان عليه ، حتى تتحقق هذه الآمال ، أن يعيش في مسكنه الحقير بشارع دراجون ليعرف أقصى أنواع الفقر ، وليعيش حياة طالب بائس يقضي يومه على رغيف من الخبز

وكان فيكتور أثناء ذلك يريد حبيبته كاملة لا يشوبها نقص ، ولا يمكن أن يوجه إليها أي نقد ، فلم يقبل أن تتفوه بكلمة واحدة في غير موضعها ، أو أن يرى زرا واحدا ناقصا في ثوبها . . وإذا حدث وكانت تسير في يوم مطير أو طريق موحل ، ورفعت ذيل ثوبها إلى أعلى أكثر مما يلزم ، كتب إليها يقول :

« استمعي إلى يا آذيل . . انني أحب أن تكوني أقل خوفا



على ثوبك من أن يتسخ بالوحل ، فالحياء أثمن عندي من أى ثوب ... »

وكانت دروس الرسم التى تأخذها ، تجرح مشاعره بما فيها من دراسة للأجسام العارية . وذات يوم جاء ذكر الخيانة الزوجية - أثناء مناقشة معها - وحينئذ عبر فيكتور عن رأيه بقوله : « فى هذه الحالة ، فأنى أما أن أقتل غريمى أو أن أقتل نفسى ... » ، فما كان من آديل حين سماعها ذلك إلا أن أحست بسعادة غامرة من أجل تشدده وغيرته اليقظة ، ولكنها فى الوقت نفسه أحست بالخوف منه ! وانقضى العام الثالث ، منذ أن أعلن كل منهما حبه للآخر ، وبدأ نجم فيكتور فى الصعود بعد نشر ديوانه الأول ، ولم يكف هذا النجم عن الصعود بعد ذلك أبدا . وكانت آديل مصممة على الزواج منه ، سواء وافق على ذلك الجنرال هوجو أم لم يوافق حتى ولو أدى الأمر الى أن يخطفها فيكتور . . . إذ أن هذه الفتاة الشابة المحافظة ، قد أصبحت لا تقل حماسا عن حبيبها

وأخيرا حدثت المعجزة واستطاع فيكتور فى ١٨ أغسطس عام ١٨٢٢ أن يحصل من الملك على معاش سنوى قدره ألف ومائتان من الفرنكات ، فلم يعد عليه بعد ذلك إلا أن يخطو خطوة يتقرب بها الى والده فيعترف بزواجه من عشيقته ، وبعدها يفوز بموافقة على الزواج من آديل . . . ونفذ هوجو الخطه ، ووصله خطاب من والده يوافق فيه على زواجه . .

ولم تتسع الدنيا لفرحة الشاعر الشاب ، فكتب الى آديل يقول :

» عزيزتى آديل ..

بعد ان أمضيت ليلتين سعيدتين ، ليلة أمس وليلة أمس  
الاول ، هأنذا أقضى الليلة فى البيت .. ولا بد لى من أن  
اكتب اليك ، وهل هناك ما يمكن أن اخفيه عنك أيتها  
الانسانة الجديرة بالعبادة ؟

آه ، يا الهى ! .. لقد كنت أسائل نفسى كل دقيقة طيلة  
هذين اليومين : أحلم أم حقيقة ما أشعر به من سعادة ؟ أنه  
ليخيل الى يا عزيزتى أن ما أحسسه ليس مما يتاح لبنى  
البشر ، ولست أستطيع ان أصور صفاء تلك السماء الحلوة  
التي أحيأ فيها !

دعيني ، يا عزيزتى ، أطرح نفسى بكل تواضع عند قدميك ..  
فأنت عظيمة ورقيقة وقوية الى أبعد حد ، وقد كنت اظن أن  
أبعد حد يمكن أن يصل اليه اخلاصى لك هو التضحية  
بحياتى .. ولكنك كنت ، أيتها الحبيبة الكريمة ، على  
استعداد للصبر والاحتمال والتضحية من أجلى . لقد كانت  
هذه الأيام الثمانية تبدو طويلة كالأبد ، وكنت أحيانا على  
استعداد لأن أقبل عطايا حبك النبيل ، وكنت أيضا أنوى ،  
فى حالة ما اذا وضعتنى والدى فى مأزق حرج ، أن أجمع  
بعض المال ، ثم أصطحبك الى مكان بعيد ، حتى نكون بمنأى  
عن أولئك الذين يريدون التفرقة بينى وبينك . وقد تخيلت  
أننا ربما نجتاز فرنسا ، وقد أدعى اسميا اننى زوجك ،  
ونذهب الى بلد آخر نستطيع فيه أن نتمتع بحقوقنا ، وكنت  
أحلم بأننا نسافر سويا فى نفس العربة ، وننام تحت نفس  
السقف !

ولكن ، لا تعتقدى يا حبيبتى النبيلة ، أنى قد أستغل مثل

هذه السعادة .. فلو حدث وسافرنا سويا فسوف تكونين موضع كل احترام وتقدير ، لأنك يا آديل أسسمي مخلوقاً أحترمه ، فكان من الممكن أذن أن تنامى معى فى غرفة واحدة أثناء الطريق ، دون أن تخافى أن أفزعك بلمسة واحدة ، أو حتى بنظرة واحدة ..

آديل ! لا تكبرهينى لأننى كنت تعسا ضعيفا ، فى حين كنت أنت قوية نبيلة .. فكرى فى حرمانى ووحدتى ، وفيما كنت أتوقعه من والدى .. فكرى فى أننى بقيت أسسبوعا بأكمله أتوقع أننى سوف أفقدك .. وحينئذ لن يدهشك يأسى يا حبيبتى . والآن ، ألا أكون على حق لو أننى أعتقدت أننى أتملق الملائكة اذا ما قارنت بينك وبينها ؟ ان ميزتك هى أن الطبيعة قد وهبتك كل شئ : النبيل والجلد والدموع . آه يا آديل ! لا تظنى أن كلماتى هذه تنبع من حب أعمى ، فحبنى لك يا عزيزتى سوف يظل طيلة عمرى ، بل وسيزداد نموا يوما بعد يوم ، ولولا أننى أشعر بأن وجودى كله ملك يديك لفقدت حياتى سر الاتزان ، ولكان الموت نهايتى المحتومة تلك كانت خواطرى يا آديل لما وصلنى الخطاب الذى يحمل بين طياته الأمل .. واذا كنت تشعرين بحوى بالحب ، فلا شك فى أنك سوف تقدرين مبلغ فرحى ، ولن أحاول هنا أن أصف ما أعلم أنك سوف تشعرين به يا آديل .. أيتها المخلوقة العزيزة !

اننى لاتساءل : لماذا لا يوجد فى قاموس اللغة كلمة أو كلمات أخرى غير كلمة الفرح ؟ يا الهى ! أياكون هذا لأن البيان الانسانى ليس من القوة ليعبر عن سعادتنا ؟

ان هذه الوثبة المفاجئة من الحزن والاسستسلام ، الى السعادة الفامرة ، قد أوقعتنى يا عزيزتى فى دوامة من



الاضطراب ! وحتى هذه اللحظة ، لا أزال فاقدا زمام السيطرة على نفسي .. اننى أحيانا أرتجف خشية أن أكون فى حلم قدسى سأصحو منه فجأة ! فهأنتدى يا عزيزتى قد أصبحت أخيرا لى ، وفى خلال بضعة أشهر ، سوف تنامين بين ذراعى وتستيقظين بين ذراعى ، بل وسوف تكون حياتك كلها بينهما أيضا . ان جميع أفكارك فى كل الاوقات ستكون ملكا لى ، وكذا كل أفكارى وأوقاتى ستكون ملكا لك يا آديل .. انك الآن يا عزيزتى على وشك أن تنتسبى الى ، فكأن هذه دعوة لى لأتذوق السعادة السماوية وأنا لا أزال على الأرض .. اننى أتصورك كزوجة صغيرة لى ، ثم كام شابة ، ولكنك دوما ستكونين بالنسبة الى شيئا واحدا : آديل المعبودة الرقيقة .. آديل التى سوف تبقى فى طهارة الحياة الزوجية ، تماما كما كانت عند بداية حبها العذرى وداعا ياملاكى العزيز ، وداعا يا آديل الحبيبة .. دعينى الآن أقبل خصلة شعرك التى أحتفظ بها على الدوام ، ثم أذهب الى فراشى .. حقا اننى لا أزال بعيدا عنك ، ولكننى أستطيع أن أراك فى أحلامي .. وداعا يا حبيبتى ، وكونى على يقين من أن زوجك سوف يكون شغله الشاغل أن يعبدك طيلة هذه الحياة ، والحياة الأخرى «

وتقرر أن يعقد القران فى ١٢ أكتوبر عام ١٨٢٢ وفى اليوم المحدد ، وقف هوجو بين شاهدى زواجه « الفريد دوفينى » و « دوق دى روهان » ، وها هو ذا يصبح أخيرا زوجا لحبيبة قلبه آديل . وأقيم لهذه المناسبة حفل راقص بيت « مسيو بير فوشيه » ، وفى هذه المرة كان فيكتور هو الذى يرقص مع آديل بقلب تغمره السعادة ويطير به الهناء







## الأسرة المقدسة

أخذت الأيام تمر بالزوجين الشساين هائلة وادعة في شقتهم الصغيرة التي استأجرها هوجو بشارع « فوجيرار » ولكن لم تكد تنقضى أيام على ليلة الزفاف حتى ساءت حال « أوجين » ، شقيق فيكتور ، اذ كان المسكين يهيم حبا هو الآخر بآديل فوشيه التي صارت الآن زوجة أخيه ، ولم تمض أسابيع حتى اقتضى الأمر ايداعه بأحد مستشفيات الأمراض العقلية !

وكانت الفترة فيما بين عامي ١٨٢٢ و ١٨٣٠ فترة سعادة بمعنى الكلمة ، نعم بها « الملك فيكتور » و « امرأة الجنة في الأرض » كما كان يسميهما أصداؤهما « ألكسندر دumas » و « ألفريد دوفيني » و « لامرتين » وغيرهم من الشعراء والأدباء الذين كانوا يترددون بين حين وآخر على بيت الشاعر الشاب لمناقشة مسائل الشعر والأدب والنقد ، والذين كانوا يطلقون عليهما اسم « الأسرة المقدسة »

وفي هذا المسكن الصغير الذي ، شهد أعواما ثمانية من السعادة الزوجية ، ولدت آديل ليفكتور هوجو طفلة هي أولى أولادهما - في ٢٨ أغسطس من عام ١٨٢٤ - فسمياها « ليوبولدين » وأطلقا عليها تدليلا اسم « ديدين » Didina وذات يوم من أيام عام ١٨٣٠ ، هبت ريح غير مواتية عصفت بثمانية أعوام من السعادة والوثام !

ففى ذلك اليوم ، دخل حياة أسرة فيكتور هوجو الهائلة  
شاب خجول ، ضعيف البنية ، أحمر الشعر ، لا يتمتع  
بشيء من الوسامة يدعى « سانت بوف » الناقد العبقرى  
والكاتب الشهير ..

وكان سانت بوف قد نشر مقالا فى مجلة « لوجلوب »  
أثنى فيه ثناء عاطرا على فيكتور هوجو وموهبته الشعرية ،  
وما لبث أن أصبح أكبر المدافعين عنه

ولم يكن هوجو يعرفه من قبل ، وسره أن يعرف أن  
الناقد الكبير يقيم على قيد خطوات من بيته بشوارع  
« فوجيرار » ، فدعاه هوجو الى منزله ، وسرعان ما أصبح  
سانت بوف من أصدق أصدقائه ..

فى ذلك الوقت كانت الظروف كلها تمهد لخيانة آديل  
لزوجها ، انها كانت قد أخبرته بعد ولادة أربعة أطفال أنها قد  
تعبت من الأمومة ، ليس هذا فحسب وانما ملت انكسار  
زوجها عليها بطريقة غير عادية ، وأصبحت تشعر بأنها  
تتحمل قبلاته أكثر مما كانت تتجاوب معها ، وكان فيكتور  
حينئذ يقول لها : « حبيبتي آديل : أليست قبلاتي كريهة الى  
نفسك ؟ آه ! اننى أتوسل اليك ان كنت تحبيننى ان تتنازلى  
وتتجاوبى مع مداعبات زوجك »

انها الان ، قد أصبحت سيدة شابة ذات غرائز هادئة ،  
تشعر بأن فيكتور ليس رجلها الذى كانت تحلم به ، فهو  
يخضع حياته كلها لمجده ، ومن ثم فقد رسخ فى ذهنها أنه  
لا يهتم بها .. وبالاختصار ، أصبح من الصعب على آديل أن  
تلعب دور زوجة الرجل العبقرى ، انها هى نفسها فى حاجة  
الى الاهتمام والاطراء ، وهما ذى تجد فى هذا الشاب

الرقيق الساحر الحديث من يحقق لها تلك الرغبة  
كان سانت بوف يتردد على بيت هوجو كل يوم تقريبا ،  
ويجلس أوقاتا طويلة مع أديل ، التي كان زوجها الشاعر  
يظل طيلة الوقت في الخارج ليرتب أمر الحفلة الافتتاحية  
التي ستعرض فيها مسرحية لوكريس بورجيا على مسرح  
« التياتر فرانسيز »

وحدث ما كان متوقعا ، فقد أحببت أديل الناقد الشهير  
الذي يهتم بها ويطرى جمالها وأنوثتها بأسلوب هادئ وزيين  
.. فتلامست أيديهما ، ثم تقابلت شفاههما ، وسرعان ما  
عرفت باريس كلها شقاء الشاعر !

ثم حدث ما هو أكثر من ذلك ، فان أديل التي كتبت  
فيما مضى تقول لفكتور : « لم يبق سوى ثلاثة أشهر وأكون  
الى جوارك دائما » ، تكتب اليه لتطرده من حياتها :  
« اننى لم أفكر في أن تكون حرا وتصبح كمن لم يتزوج »  
ودون هوجو في مفكرته هذه الكلمات التي تقطع نياط  
القلوب :

« انظر الى هذه المرأة ! انها لا تحبك ، وهى فى الوقت  
نفسه لا تكرهك ! انها لا تحبك ، وهذا هو كل شيء ! »

ان حب أديل الكبير قد تضعف وأصبح على وشك أن  
يخمد ، وأصبح الشاعر الان بدافع من يأسه البالغ عرضة  
لان يندفع فى أول مغامرة عاطفية أو جسدية تعوض له هذه  
الخيانة القاسية أو توازنها ، وسرعان ما أقبلت هذه المغامرة





## لقاء في مسرح

ذات ليلة كان فيكتور هوجو في مسرح « التياتر فرانسيه » ليستمتع الى الممثلين ، وهم يقرأون أدوارهم في مسرحية « لوكريس بورجيا » أثناء البروفات التي تجرى على هذه المسرحية استعدادا للحفل الافتتاحي ، وكان من بين الممثلات، ممثلة فاتنة تدعى « جوليت دروييه » قبلت عن طيب خاطر أن تمثل دورا صغيرا في هذه المسرحية ، هو دور الاميرة « نجروني » . ولم يكن هوجو يعرفها ، ولكن سبق له أن رآها من بعيد في حفل راقص ذات ليلة من ليالى شهر مايو عام ١٨٣٢

وكانت جوليت فتاة بيضاء ، في السادسة والعشرين ، ذات عينين سوداوين ، وقوام فارع ، وجمال كان يعد أروع وألمع جمال في باريس ، حتى أن هوجو نفسه لم يجرؤ أن يخاطبها في تلك الليلة .. اما الآن ، فها هي ذى أثناء القراءة ترفع اليه بين حين وآخر نظرات فيها استلطاف واستسلام ، كان لها وقع السحر في قلبه الخالي الحزين .. فأخذ يكثر من الحديث عنها ، ولما سأل عنها عرف الكثير

ولدت جوليت في بلدة فورجير عام ١٨٠٦ ، وكان أبوها يعمل حائكا للثياب ، ومات عنها والداها وهي لم تزل طفلة في المهد ، فعهد بالطفلة اليتيمة الى خال لها يدعى الملازم رينييه دروييه كان يعمل ضابطا بمدفعية السواحل في مقاطعة بريتانى ، وكان هذا سببا في ان تكون طفولتها قاسية ممزقة من كل النواحي

و حين بلغت جوليت العاشرة ، الحقها خالها دروديه  
بالقسم الداخلى من دير خاص باحدى الطوائف الدينية ..  
وهناك سرعان ما فازت بحب الراحبات جميعا ، ونالت من  
عطفهن وتداييلهن الشئ الكثير ، ولكنها كانت مع ذلك فتاة  
لطيفة وادعة حسنة التربية الى حد يثير الاعجاب . وهناك  
ايضا خاطرت بأن تنطق بأمنيات ودعوات تنطوى على عدم  
الحذر وقلة المبالاة ، دون أن يتدخل فى ذلك أسقف باريس  
الذى لاحظ تلك المخلوقة الجميلة ذات يوم أثناء زيارته  
للدير ، فاقنع بعد أن ناقشها وألقى عليها بضعة أسئلة بأن  
الحياة وراء جدران الدير لا تلائم طبيعة هذه الفتاة ، فأطلق  
سراحها ..

وزج بها جمالها الفريد وجسمها البديع كامل التكوين فى  
عالم الفن ، فعملت فى عام ١٨٢٥ م - وكانت حينئذ فى  
التاسعة عشرة - كموديل عند الفنان جيمس براديه ، وهو  
نحات كان فى السادسة والثلاثين من عمره حينما تعرف الى  
جوليت

وكان براديه انسانا مشغوبا بالنساء ، ولكنه كان خفيف  
الظل لا يميل الى القسوة ، وعملت جوليت عنده فترة من  
الوقت ، وقد رسمها وهى عارية ، وحملت منه ، سفاحا ، طفلة  
أسمتها « كلير » ولكنه لم يعترف بها أو ينكرها

وفى عام ١٨٢٦ التحقت جوليت بمعهد التمثيل ، وأخذت  
تعلم بزواج يرجوازى ، وكان براديه قد دفع بها نحو  
المسرح ، وأخذ يزودها بنصائحه الذكية فى هذا المجال .  
ومثلت جوليت بنجاح أدوارا ثانوية فى پروكسل ، ثم فى

باريس ، ولكن نجاحها كان يرجع الى جمالها أكثر مما يرجع الى مواهبها ، اذ كانت ممثلة يعوزها الاعداد

وكثيرا ما كانت جوليت تبكى خشية ألا تصل الى قمة النجاح الذي كانت تنشده ، وكانت تكتب الى براديه لتفضي اليه بمخاوفها ، فكان يرد عليها قائلا : « عليك أن تتغلبى على الظروف ! واحرصى على أن تكونى محبوبة من الناس ولاسيما الممثلات ، فهن فى كل البلاد شيطانات مريدات . . ! » وكان براديه يوقع خطاباتة لها بالصديق ، والعشيق ، والوالد المخلص !

وكانت جوليت قد أعطت نفسها لعشاق كثيرين ، من بينهم رجل ايطالى صفيق فى الثالثة والخمسين من عمره يدعى بارتولوميو بنلى ، ورسام مناظر مفلس يدعى شارل سيشان ، وكاتب صحفى جريء يدعى ألفونس كارل ، ثم الى أمير ثرى عاطل اسمه أناتول ديميدوف أثت لها فى عام ١٨٣٣ شقة فاخرة فى باريس

وعلى الرغم من تلك الحياة العاهرة التى عاشتها جوليت ، إلا أنها كانت تحتفظ فى شعورها بنضارة حقيقية وميل الى الأحلام ، وحب كبير لابنتها ، ونظرات جميلة ساحرة « تفيض أحيانا بمرح سماوى وسحر أخاذ »

وفيما بعد ، سيكتب هوجو فى مفكرة جوليت : « فى اليوم الذى التقت فيه نظرتك بنظرتى لأول مرة ، انبعث شعاع من قلبك الى قلبى كما يطلع ضوء القمر على الخرائب » والواقع أن كلا منهما يجد نفسه دون أن يدري أمام انسان مصدوم محطم ، فقد كان هوجو بسبب فقدانه لاديل فى حاجة لان يستعيد بالحب ثقته فى نفسه ، أما جوليت



التي لم تعرف سوى اللذة الحسية فكانت تريد منذ أن كانت في السادسة عشرة أن تصبح « رفيقة محبة لرجل شريف »

واخذت جوليت ، أثناء بروفات مسرحية لوكريس بورجيا ، تضاعف من دلائها واثارتها لهوجو الذي كان يتخذ موقف المدافع عن نفسه ، فقد كان مركزه ومنزلة أسرته وأولاده يحتمان عليه أن يتخذ هذا الموقف

لقد كان الشاعر يخشى المثلثات « ومضايقات الكواليس » ولهذا كان موقفه يتسم بالحدر والوقار

ان استقبال الجمهور لمسرحية « الملك ياهو » بالصفير ، جعله يرتب الحفل الافتتاحي لمسرحية لوكريس بورجيا بدقة كبيرة تليق بضابط عظيم ، فجاء العرض نصرا رائعا . أما جوليت فقد سحرت لب الجمهور على الرغم من قصر دورها ، وكتب هوجو يقول مسجلا رأيه فيها بسرور : « يا للجمال والروعة ، ويا للقامة الساحرة والكتفين البديعتين . . ! انها مجموعة من التعبيرات المتقنة والانفعالات العميقة ، وستصبح ممثلتنا الاولى في هذا النوع من المسرحيات بعد عام واحد من التدريب ! »

غير أن هوجو كان مخطئا ، لا بالنسبة لجمالها وانمسا بالنسبة الى مواهبها ، فقد كانت جوليت ممثلة غير حاذقة بسبب تكلفها الكبير ، ولكن . . هل يصدر الحب أحكاما عادلة ؟

لقد كان هوجو يحبها ، وكان يذهب الليلة تلو الليلة الى مسرح سان مارتان ليستمتع خلال فصل من فصول مسرحيته بوميض هاتين العينين الجميلتين المتطلعيتين اليه على الدوام !

لقد كان الأغراء ينهش قلبه . . فأدبل ، كانت ترفض في  
أصرار أن تعطى إليه نفسها منذ زمن طويل ، وعلى الرغم  
من انتصاره الظاهري ، كان الشاعر يطوى جناحيه على الم  
دفين

وكان هوجو يزور جوليت كل ليلة في غرفتها الخاصة  
بالمسرح ليزودها بنصائح ، فتشمل نفسه من كل هذا الجمال  
الذي يعرض نفسه عليه . ولم تكذ تنقضى على ليلة افتتاح  
مسرحية لوكريس بورجيا أربعة أيام ، حتى كان يقول لها :  
« أحبك ! » ، وكان هذا ما تنتظره جوليت وتتمناه

وفي ليلة السبت السابع عشر من فبراير - وقد ظل هوجو  
وجوليت طيلة حياتهما يعتقدان مخطئين أن ذلك كان يوم  
ثلاثاء - في تلك الليلة ، توجه الكاتب والممثل بعد عرض لوكريس  
بورجيا إلى حفل راقص كان يقام في المسرح ، وقررا أن يقضيا  
هذه الليلة عند جوليت في مسكنها بشارع سان دنيس ،  
وذلك حتى يتم اعداد « عش غرامهما » في شارع ليشيكويه .  
وكتبت جوليت إلى هوجو تقول :

« أحضر إلى الليلة لتأخذني من عند مدام كرافت يا «مسيو  
هوجو» . أن حبي لك سيمنحني الصبر حتى هذه اللحظة ،  
فالي اللقاء في هذا المساء . . آه ! ياله من مساء سيكون حافلا  
بكل شيء . . اننى سأهبك نفسي بأكملها . . »

وبعد ذلك بثمانية أعوام ، كتب هوجو مذكرا إياها بذلك  
اليوم فقال :

« هل تذكرين ليلتنا الأولى يا حبيبتي ؟ لقد كانت ليلة  
كرنفال ، وكان اليوم هو الثلاثاء من فبراير عام ١٨٣٣ م .  
ولازلت أذكر أن مسرحا ما كان يقيم حفلا راقصا ، وذهبنا معا

الى هناك . . ان ذكرى هذه الليلة لن تنمحي ابد من ذاكرتى ،  
وكل ساعاتها تمر امام مخيلتى فى هذه اللحظة الواحدة تلو  
الآخرى . . لقد كان من الضرورى ان تذهبنى الى ذلك الحفل  
الراقص ، ولكنك لم تفعلى وآثرت ان تنتظرينى . . يا للملاك  
المسكين ! كم انت محبة جميلة . . لقد كان الهدوء الحلو يشمل  
جو غرفتك الصغيرة ، وكانت ضوضاء باريس وهى تفنى  
وتضحك تتناهى الى اسماعنا من الخارج ، وفى وسط هذا  
الاحتفال الكبير كنا قد اخفينا احتفالنا فى الظلال . . لقد  
كانت نشوة باريس زائفة ، اما نشوتنا فكانت هى النشوة  
بمعنى الكلمة !

يا ملاكى العزيز . . لاتدعى هذه الساعة العجيبة تنمحي ابدا  
من ذاكرتك ، فهى التى غيرت مجرى حياتك . . لقد كانت هذه  
الليلة ، ليلة السابع عشر من فبراير عام ١٨٣٣ مقدمة ورمزا  
للشئ المجيد الكبير الذى كان على وشك ان يتم فى نفسك .  
لقد تركت فى تلك الليلة كل الضوضاء الزائفة بعيدا فى الخارج ،  
واتيت لتدخلنى فى الوحدة والحب . . !»

لقد كان هوجو منتشيا ، فاديل التى كان يشتهيها كثيرا  
فيما مضى لم تنجح فى ان تمنحه سوى نوعا من الهدوء الممتزج  
بالخوف : هدوء الزوجات الشابات . . وفجأة ، أصبحت له  
حبيرة نادرة الجمال :

« ان عينيها الصافيتين كاللؤلؤ ، وجبينها الباسم الوضاء ،  
ورقبتها ، وذراعيها ، وكتفيها ، كل ذلك له روعة وكمال  
التمثيل القيمة . ان جوليت ، تستطيع بحق ان تكون مصدر  
الهام للمثاليين . . انها يمكن ان تتفوق على فتيات اثينا الشابات  
فى مسابقات الجمال التى كن يخلعن فيها غللاتهن امام

براكسيتيليس ، وهو يعمل فى تمثال فينوس . .  
وفى تلك الليلة منحت جوليت نفسها لرجل فى الثلاثين من  
عمره لم ينم الا على فراش الزوجية ، رجل موهوب يعرف  
كيف يتذوق اللذة ويمنحها فى آن واحد . . ان مداعبات الحب  
فن كالشعر ، وكانت جوليت رائعة فى هذا الفن !  
وكان الحديث مع جوليت له سحر آخر ، فقد كان هناك  
الكثير مما يمكن أن تحدثه عنه : اقليم بريتانى حيث ولدت ،  
وفتره التلمذة فى مدرسة الراهبات ، والبؤس والشقاء . .  
وكان بدوره لديه الكثير الذى تسمعه منه . .  
وكانت جوليت تشبع فضول الكاتب بما ترويه له من  
اقاصيص كثيرة عن حياتها الشاقة الحافلة بالمغامرات ، وكانت  
تقول له فى لهجة تشيع فى نبرتها رنة فخر : « اننى من  
الشعب » ، وكان « البارون هوجو » رغم ما فيه من غرور  
ساذج لكونه من سلالة نبيلة ، يتوق الى معرفة الشعب . .  
وفضلا عن ذلك ، فالشاعر فى حاجة دائما لان يفهم ، وقد تلقت  
جوليت قصائده من أجلها فى سرور يفوق سرور آديل بكثير ،  
فهذه الزوجة الخاملة لم يكن يبدو أنها مهتمة بمخطوطات زوجها  
ومسوداته . أما جوليت التى تهوى بطبيعتها جمع التحف  
والاثار الادبية ، فانها تحتفظ بكل شىء وفى ولاء وتقديس .  
انها تعطى للمجد طعما ، والمجد وحده عذب المذاق ، ولهذا  
فهى جديرة حقا باهداءاته الجميلة . .  
لقد كان هذا الحب بالنسبة اليه بمثابة عودة الروح بعد  
عام من الذل والهوان ، وكان قضاء الليالى مع عشيقته بعيدا  
عن بيته أمرا يسبب له الخوف ، ولكنه سرعان ما أصبح  
بالنسبة له مدعاة للفخر



وكان يحدث كل الناس عن غزوته تلك ، حتى سانت بوف الذى كان يهز كتفيه ويعقب قائلاً وهو يضحك :

« ان هوجو يروح لى بسره ، وكأنه رجل ليس له من عيب الا حبه للنساء اكثر من اللازم . انه يدعى انه لايفكر فى مجده على الاطلاق ، ان نفوسنا تنطوى دائماً على عيبين اثنين . . العيب الذى نعترف به وذلك الذى نخفيه . . »

وكانت باريس كلها تتحدث بالطبع عن مغامرة الشاعر ، وكان هناك أصدقاء مخلصون من أمثال فيكتور بافى كانوا يحسون بالقلق ، ولكن هوجو كان يريد ان يعتقد أن هذه السعادة لايمكن أن تكون سعادة آئمة . كتب هوجو الى فيكتور بافى يقول :

« اننى لم أخطئ قط فى حياتى مثلما أخطأت هذا العام ، ولكننى لم أكن أبدا سعيدا أكثر مما أنا الان . اننى الان أساوى أكثر مما كنت وأنا برىء ، الامر الذى تشعر له انت بالاسف . حقا اننى كنت فيما مضى انسانا بريثا ولكننى الان شخص متسامح ، فلى صديقة عزيزة طيبة ، وهى ملاك احترامه تماما مثلما تحترمه أنت ، انها تعرف ذلك ولكنها تحبنى وتغفر لى » وكانت أديل هى ملاك الففران الذى يتحدث عنه ، والواقع أن تمثيل دور الملاك كان أمرا سهلا بالنسبة اليها . وكيف تستطيع أن تطالبه بعدم الخيانة وهى التى لم تعد تريد ان تكون زوجته ؟ ومن ناحية أخرى ، كانت الحياة العائلية مستمرة بينهما . .

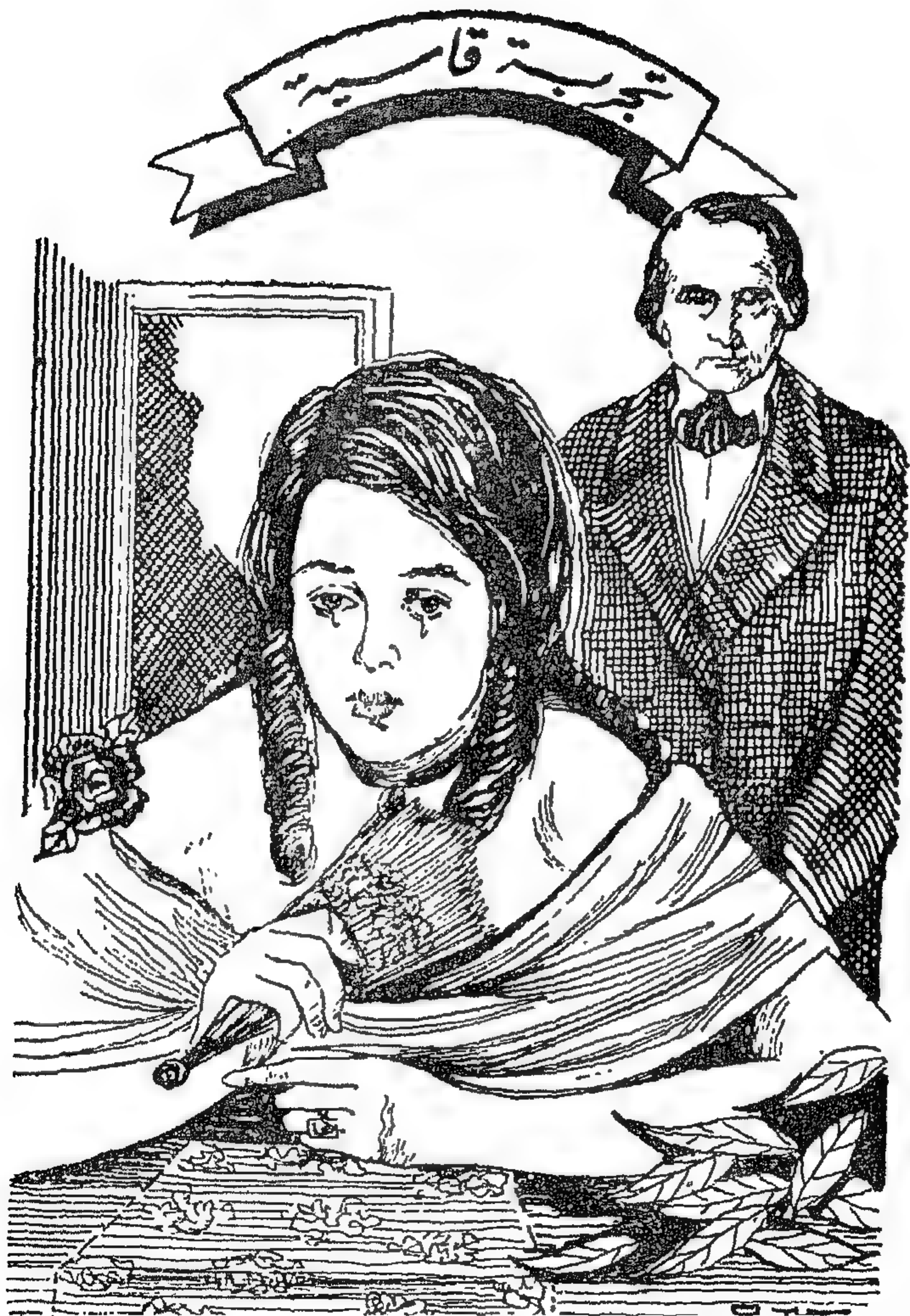
وسافرت أديل فوشيه زوجة هوجو الى المصيف ، وكان هوجو أثناء ذلك فى باريس يصحب جوليت الى شقة ميدان رويال ، وفى اليوم التالى كتبت اليه جوليت تقول :

« كم كان لطيفا أن تفتح لى باب بيتك وتجعلنى أرى ذلك المكان الذى تعيش وتحب وتفكر فيه . لقد كان ذلك بالنسبة الى أكثر من مجرد اشباع الفضول ، واننى لاشكره على ذلك . . وحتى أكون صريحة معك أيها المعبود العزيز ، فاسمح لى أن أخبرك بأننى قد خرجت من هذه الزيارة وأنا أشعر بحزن مريع ويأس قاتل ! لقد أحسست أكثر من أى وقت مضى بمدى انفصالى عنك . ولكن ذلك ليس خطأك ، ولا هو خطئى كذلك ، يا حبيبى المسكين . . ان الأمور هى التى تسير هكذا ، وليس من المعقول أن أنسب اليك قدرا من شقائى أكثر مما تستحق . ومع ذلك ، فليس فى وسعى أن ادعى اننى أتعس النساء

فاذا كنت تشعر نحوى ببعض الشفقة ، فانك حتما ستساعدنى على الخروج من هذا المأزق المذل الذى يعذب نفسى وجسدى فى وقت واحد . . اننى اتوسل اليك أيها الملاك الطيب أن تساعدنى على النهوض ، فذلك يجعلنى أثق فيك وفى المستقبل . . »

ياله من تواضع مخلص لاتنقصه الصراحة ! ان مأساة جوليت كانت أنها قد أصبحت فيما مضى عاهرة بكل «براءة» ولما لم تجد جوليت من الرجال سوى العنف والوقاحة ، كان طبيعيا أن تطلب من الامير ديميدوف وأمثاله أن يوفر لها على الاقل حياة مترفة

والان ، هاهى ذى تحب سيدا يطلب منها الكثير ، سيدا يكره كل ما هو حقير ، ولا يقبل التقسيم لانه قاسى الامر من الفيرة حتى أصبح لايقبل الا كل ما هو ثقة أكيد . لقد كان يحبها حبا كاملا خالدا عميقا حنونا لاحد له ، ولذا كان يريد لها كاملة نقية جميلة . .



## تجربة قاسية

لم يكن لدى جوليت وسيلة تعيش منها سوى أولئك الأشخاص الاثرياء الذين كانوا يحمونها . لقد كان دخلها من المسرح ضئيلا للغاية ، فضلا عن ذلك فقد كانت متكلفة بابنتها كليلر ، ولهذا كانت مترددة في أن تقلب حياتها رأسا على عقب وكان هوجو قد جعلها تقيم في مسكنها الجديد الجميل في شارع دي ليشيكييه ، وكانت لاتزال تستقبل في ذلك المسكن الأمير ديميدوف صاحب الهدايا الفاخرة ، وكذلك كل أصدقائه، ولذا كان هوجو كثيرا ما ينعتها بأنها فتاة ضائعة

ان شخصا مثل بلزاك لو كان في مكانه لابتسم ، أما هوجو فكان يعيش هنا احدى مآسي حياته الكبرى . وكانت جوليت تشعر أحيانا بالآلام من جراء شكوكه حتى أنها تمنّت لو تقطع علاقتها به وتولى هاربة ، ولكنها كانت تعود طالبة الصفح من هذا العشيق المدهش والقاضي الرهيب راجية إياه أن يحيى ما تبقى في نفسها من فضيلة وطيبة

وكان هوجو على استعداد للصفح ، اذا وافقت جوليت على أن تقطع كل علاقة لها بماضيها . ووافقت جوليت أخيرا على ذلك ، فوجدت نفسها فجأة وقد غمرتها الديون . وفي يناير من عام ١٨٣٤ رهنّت : « ٨ » قميصا من الباتستا المشفولة - ٣٥ قميصا من الباتستا - ٢٥ فستانا - ٣١ جونلة مشفولة - ١٢ بلوزة مشفولة - ٢٣ برنصا وروب دي شامبر من الكاشمير المقلم - شال كشمير من الهند ، وأشياء كثيرة غير ذلك . . . »



وأحاط الدائنون بجولييت من كل جانب ، وزادت زياراتهم لها من غيرة هوجو ، وحينما اضطرت في النهاية لان تعترف له بجزء من قلقها ومتاعبها غضب هذا الرجل البرجوازي المحب للاقتصاد ، وأعلن في بطولة رومانتكية انه سوف يتكفل بهذه الديون عن آخرها ، وكتب اليها يقول :

« اننى اعطيك هذا المال . . لقد ربحتك من أجلك منذ لحظات ، وكان يجب ان انتهى مما كان مطلوباً منى هذا الصباح . وفى بادىء الامر ، سقط القلم من يدي أكثر من عشرين مرة ، ولكننى أخذت أعمل من أجلك . .

اننى لست كسائر الرجال ، فأنا أترك للقدر نصيبه فى الحياة ، وحتى فى سقطتك لن أنظر اليك الا كمخلوقة نبيلة كريمة النفس أصابها القدر باحدى ضرباته . اننى لن أسمح لنفسي أبدا بأن أنضم للآخرين كى أوجه اللوم الى امرأة مسكينة أضناها الألم ، ولست أنا بأية حال ذلك الشخص الذى يرمىك بأول حجر ، واذا حدث ورماك أحد بهذا الحجر فسوف أحملك بجسدى وروحي . . . »

ولما كان هوجو قد جعلها تقطع علاقتها بكل معارفها ، ولما كان هو نفسه لا يستطيع أن يعيش معها ، فقد قرر أن يعطيها عملاً فاتخذها سكرتيرة له ، وهى حركة طبيعية لدى الكتاب بالنسبة للمرأة التى يشعرون نحوها بالحب . وكان من واجبها أن تطلع على كل حركاتها وسكناتها ، وهاهى ذى تكتب اليه قائلة :

« بعد أن عدت أمس الى البيت أخذت أطالع قصائدك ، ثم تناولت عشائى وقمت بعمل الحسابات وتمددت فى السرير . . وبعد أن قرأت صحفك فترة من الوقت ، غلبنى النعاس

وأخذت الحلم بك . . . هذا هو تقريرى عن الميدان ياقائدى  
العزیز ، فهل أنت راض مسرور ؟ »

وقبل أن يتركها ليعود الى بيته بميدان رويال ، كان هوجو  
يخط فى مفكرته : « ان ملاطفاتك لى تجعلنى أحب الحياة ،  
أما نظراتك فتساعدنى على أن أفهم السماء . . » - و « فى  
اليوم الاول من السنة سأكتب : أحبك ، أما فى اليوم الاخير  
فسأكتب : أعبدك . » أو « اسمحى لى أن أعرفك فى كلمة  
ياصديقتى المسكينة : انك ملاك فى جهنم . . »

والغريب أن ذلك العنف الذى كانت تتسم به مشاعر  
فيكتور هوجو وعواطفه ، كان يسر جوليت بقدر ما كان  
يضايق آديل ، خاصة وأنه كان عنفا ينطوى على مرح صبياني  
جميل

وكانت جوليت لاتزال تحتفظ ببعض الامل فى أن تصبح  
شيئا مذكورا فى عالم المسرح ، فأعطى لها هوجو دورا هاما فى  
مسرحته الجديدة « مارى تيودور » التى كان التدريب جاريا  
فيها على مسرح « بورت سان مارتان » . وكان دور جوليت  
فى هذه المسرحية مساويا فى الاهمية لدور الممثلة الاولى فى هذا  
المسرح - وتدعى مدموازيل جورج - الامر الذى سبب لهذه  
الممثلة ضيقا بالغا ، فأخذت تشكو من تفاهة تمثيل جوليت  
ورداءته ، وتوغر عليها صدر هاريل مدير ذلك المسرح

ونجحت مدموازيل جورج فى أن تضم الى رأيها صـوت  
سانت بوف والممثل الاول بير بوكاج الذى راح يعامل جوليت  
بوقاحة أثناء البروفات ، وخاصة أنه كان صديقا حميما  
لاسكندر دوماس ، ولم يكن يتمنى أن تنجح مسرحية هوجو  
وبايغاز من سانت بوف وبوكاج وهاريل ، أخذت الصحافة

تهاجم مسرحية هوجو حتى قبل ليلة الافتتاح منددة بأنها مسرحية مليئة بأبشع الجرائم ، وأن الجلاد يظهر فيها على خشبة المسرح . وفي تلك الليلة أخبر هاريل هوجو بأن جوليت غير كفاء للقيام بالدور ، وأن الممثلة أيدا عشيقة دوماس تعرف الدور ومستعدة للقيام به ، ولكن هوجو لم يوافق على ذلك وبدأ الحفل في جو ينذر بالعاصفة . . . ومر الفصل الأول والثاني بسلام ، وفي الفصل الثالث أخذ الجمهور يصفر لجوليت التي اضطربت بسبب عداء زملائها وعداء الجمهور ، تحققت للأسف كلام النقاد

وفي اليوم التالي ، وافق هوجو في غضب وحزن تحت الحاج من آديل وسانت بوف على أن تتخلي جوليت عن دورها في المسرحية بحجة أنها مريضة ، وخاصة أنها كانت قد اضطرت فعلا الى ملازمة الفراش

وكتب هوجو الى جوليت يقول :

« صدقيني ان أدائك كان عاطفيا ومؤثرا . . ان أولئك الذين يشكون يفعلون ذلك لانهم لم ينصتوا . . لقد كنت جميلة وساحرة في البداية ، ولم تفقدي لحظة واحدة احساسك الدقيق بمختلف التعبيرات والفرق بين اللهجات ، وهذا أمر صعب ينذر تحقيقه ، فكوني مطمئنة يا عزيزتي فالعدالة لا بد أن تنصفك في يوم من الايام . . . »

غير أن استقبال الجمهور لجوليت نزع من نفسها البقية القليلة من موهبتها المسرحية ، فخرجت المسكينة من هذه التجربة القاسية وهي تردد قائلة بين حين وآخر :

« اننى لم أعد أجرؤ على الظهور على خشبة المسرح . . لقد نزعوا منى ثقتى في نفسى . والان لن اقوى على التمثيل من جديد ، فقد أصبحت مشلولة تماما . . . »





فرار چو لیست

## فرار جوليت

كان عام ١٨٣٤ بالنسبة لهوجو وجوليت ، عاما مضطربا يجمع بين القمم النبيلة والهوات السحيقة المظلمة . وكانت الظاهرة الوحيدة التي تبدو مستقرة في جو حياتهما المتقلب ، هي الحب المتبادل بينهما عاطفيا وجسديا . وكانت جوليت تعبر عن هذا الحب بطريقة مؤثرة ، فكتبت لهوجو في ٢٦ فبراير من ذلك العام :

« عمت صباحا يا حبيبى العزيز . . عمت صباحا يا الهى وشاعري الكبير ! اليس هذا اليوم الجميل الحافل بالحب والشمس جديرا بأن يذكرنا باليوم الذى ولدت فيه . . اننى أحبك يا عزيزى . . لقد جعلتنى سعيدة جدا فى هذه الليلة . . آه ! لو كان يمكن للانسان أن يشتري سعادته بحياته لكنت أنفقت حياتى منذ زمن طويل . . »

وعلى الرغم من أننا قد نبتسم من أخطائها الهجائية ، إلا أن أسلوبها كان لا يبعث على الابتسام بأية حال . وكانت جوليت لطيفة وهى تقلد فى بداية رسائلها شاعرها الرومانتيكى وهو يعبر عن كلمة : أحبك بألف طريقة مختلفة حاذقة ، وعرف هوجو موهبتها الشاعرية فاحتفظ برسائلها اليه باعزاز كبير

غير أن المرء لا يعيش بالحب والروح فحسب ، فقد كانت جوليت امرأة مسكينة ، أثقلتها الديون . لقد كانت مدينة بخمسة عشر ألفا من الفرنكات للصائع جانيسييه ، وألفين

وخمسمائة للسيدتين ليبروتون وجيرار - وهما بائعتان  
للاقمشة - والفي فرنك لبائع القفازات ، وخمسمائة أخرى  
لفيلان بائع أحمر الشفافة ، وعلى ذلك يكون المجموع حوالى  
عشرين ألف من الفرنكات ، وهى ما يساوى الآن سبعة  
ملايين فرنك !

وحاولت جوليت أن تتفاوض مع دائئها ، وأن ترهن  
ثيابها ، وتقرض من إحدى صديقاتها ، زوجة جاك لانغان ،  
وكانت هذه الالغاز والتحركات الخفية والاجراءات المريبة  
سببا فى اثاره غيرة وشكوك هوجو الذى كان يشبه « رؤساء  
محاكم التفتيش » ، وكانا على وشك ان ينفصلا عدة مرات  
خلال هذا العام ، وقد كتب هوجو فى مذكراته فى الثالث  
عشر من يناير ١٨٣٤ يقول :

« اليوم عشيق جديد .. وغدا .. »

والواقع ان جوليت التى تردت فى هاوية البؤس بمحض  
ارادتها ، وضحت بكل شئ لكى تحتفظ بهذا العشيق ، لابد  
وانها صدمت من قسوته ، فكتبت اليه تقول :

« اننى مهما فعلت ، فلا شئ يرحمنى امام عينيك ..  
انك لا زلت ترانى اليوم كما كنت منذ عام بالنسبة لكل  
الناس : امرأة يمكن ان تلقى نفسها بدافع من الحاجة بين  
ذراعى اول رجل ثرى يرغب فى شرائها ، ولاشك فى ان هذه  
اسباب مؤلمة وقاسية لانفصالنا ، ولكننى لم اعد اقوى على  
الاحتمال .. »

وكان لدى جوليت اسباب اخرى تبعث على الالم ، فقد  
كان هوجو يحيا حياة لامعة بعيدا عنها فى شقته بميدان  
رويال ، وكان يحدث أحيانا ان تتعب من انتظاره فتذهب

لتهيم تحت نوافذ بيته ، وتظل تنظر الى الاضواء وتسمع الضحكات المنبعثة من خلال النوافذ حتى ساعة متأخرة من الليل

ومن ناحية اخرى ، كان هوجو يتقبل في سهولة الوشايات التي تقولها له الانسة جورج عن ماضى جوليت ، وكثيرا ما كانت هذه الانسة تسأله في الحاح خبيث عما دفعه الى اختيار « هذه المرأة المفرورة عذيمة النظام » من دون سائر النساء

وأخيرا ، كان هناك قلة اهتمامه بأمرها كممثلة ، ولكن هوجو استطاع ان يجد لها عملا بمسرح « التياتر فرانسيه » بأجر قدره ثلاثة آلاف من الفريكات في العام ، فمكنها ذلك من أن تسدد ايجار مسكنها بشارع ليشيكويه ، خاصة وأن ديميدوف لم يعد يدفع لها هذا الايجار بالطبع بعد أن قطعت علاقتها به

وفي المسرح ، كانوا لا يسندون اليها أى دور ، وكانت تعتقد في بعض الأحيان أن تقدير عشيقها لها كممثلة لايزيد كثيرا عن تقدير الجمهور في مسرحية ماري تيودور ، فأى مستقبل أمامها اذن ؟ .. أن تبقى فتاة مسكينة لا مستقبل لها ولا أسرة ، وعشيقة لرجل غيور يحتقرها ؟ وحينما طردها الدائنون ورأت أثاث شقتها يوقع عليه بالحجز ، فكرت جديا في أن تقتل نفسها ، وكتبت الى هوجو قائلة :

« يا فيكتور .. لقد أضنيت نفسى هذه الليلة بوشايات الانسة جورج الدنيئة ومصائب حياتى الماضية . لقد سخرت من الخمسة عشر شهرا التى قضيتها معك فى الحب والالم .. اننى أريد منك الا تبعد عن نفسك فكرة انى اكن



لك حبا نقيًا عنيًا .. لا تفعل مثل هؤلاء الصبية الذين يرون في الطريق شيخًا يمر ، فيظنون أنه لم يكن في يوم من الأيام شابًا قويًا .. لقد أحبتك بكل ما في روعي من قوة ، ومعنى هنا كل خطاباتك وكذلك المندبل الذي أعدته الى وهو ليس بمندبل .. »

وفي مرة أخرى كتبت اليه تقول :

« لم يعد الامر اليوم متعلقًا بتمثيل دور في احدي المسرحيات ، وانما يتعلق بحياتي كلها . والآن وقد حطمتني الوشايات ، وحكم على دون ان يسمع دفاعي كما حدث في مسرحيتك .. والآن وقد أنهكت صحتي وعقلي في معركة عديمة الفائدة لا جدوى منها ، وأصبح يشار الى أمام الناس كامرأة بلا مستقبل ، لم أعد أستطيع ولا أجرؤ على العيش ، وقد ولد هذا الخوف في نفسي الحاجة الى الانتحار .. »

ولكن ، بما أن جسد هوجو وقلبه كانا أكثر حكمة من كبريائه ، كان يعود اليها نادما ، وأحيانا يجدها نائمة ويكتب اليها قائلا :

« ستجدين هذا الخطاب الصغير الى جوارك حينما تستيقظين ، وحينئذ سوف تبسمين لي .. أليس كذلك ؟ انني أريد أن تبسم عيناك الجميلتان اللتان أضناها البكاء ، فنامي يا حبيبتي واحلمي بأنني أحبك وأنني تحت قدميك ، وأنني لا أستطيع العيش بدونك ، وحينما تستيقظين ، ستجدين ان الحلم هو الحقيقة . وأخيرا دعيني أقبل قدميك الصغيرتين وعينيك الواسعتين .. »

وكان هوجو يصطحب جوليت أحيانا الى ضواحي باريس ليريهما وادي نهر لابييفر ، ذلك الوادي الذي كان

يحبه . وفي الثالث من يوليو قضيا الليلة في فندق آليكو دي  
فرانس بقرية جوى آن جوزاس ، وكتبت اليه جوليت :  
« حبيبى فيكتور . . اننى لا زلت في أشد حالات  
الانفعال منذ سهرة الامس الثالث من يوليو في العاشرة  
والنصف مساء . لقد كنت أسعد نساء العالم وأشدهن  
فجرا . ان هذا الخطاب وثيقة تكشف حالة قلبى ، وثيقة  
اكتبها اليوم لتنفعنى في بقية حياتى ، ففى وسعى أن أعيد  
بها قلبى - فى الدقيقة التى تحلو لى - الى نفس الحالة التى  
هو عليها اليوم ، يملؤه حب واحد هو حبك وفكرة واحدة  
هى أنت . .

### جوليت

باريس فى الرابع من يوليو عام ١٨٣٤  
- الساعة الثالثة بعد الظهر

وبعد عودة هوجو وجوليت الى بلدة روش أثناء الصيف،  
اخذا يبحثان عن غرفة لا تبعد كثيرا عن قصر برتان ، وأخيرا  
وجدوا غرفة على قمة تل تكسوه الاشجار فى قرية ميتز  
الصغيرة ، مقابل اثنين وتسعين فرنكا فى العام دفعها هوجو  
مقدما ، وكانت فى منزل ريفى أبيض اللون له نوافذ خضراء  
تغطيها شجرة كرم ، وتسكن فيه أسرة تدعى أسرة لابوسير،  
ثم عادا بعد ذلك الى باريس  
وفى التاسع من يوليو من ذلك العام ، كتب هوجو الى  
جوليت يقول :

« يا غرامى وملاكى . . لا شىء يسكرنى كالغناء الذى  
يخرج من فمك ، والقبلة التى أطبعها على شفتيك . ولا تنسى  
أبدا أن هذه السطور قد كتبت فى فراشك وأنت تغنين لى

أشعاراً من تأليف بصوت يسحر روى .. كم كنت تجعلين  
هذه الأشعار الهزيلة أغنيات رائعة .. لقد صنعت أنايباتها  
أما أنت فقد صنعت شاعريتها .. »

وفي التاسع عشر من يوليو ، غادرت جوليت شارع  
دى ليشيكويه وقد احتفظت في نفسها بذكرى خالدة لهذه  
الغرفة التي قضت فيها فترة سعيدة للغاية وشقية للغاية،  
وأقامت في مسكن صغير جداً بشارع بارادى .. ولكن  
سرعان ما أصبحت حياتها جحيماً في ذلك المسكن ، ذلك  
أن الدائنين الذين عرفوا عنوانها راحوا يطاردونها في قسوة  
بالغة حتى اضطرت آخر الأمر إلى الاعتراف لعشيقتها  
بمجموع ديونها ، وكانت تبلغ عشرين ألفاً من الفرنكات !

والواقع أن ابن الجنرال هوجو الذى عاش فترة طويلة  
على بضع فرنكات في اليوم ثار على جوليت ثورة مخيفة ،  
وانتهى به الأمر بأن قال لها أنه سوف يقوم بسداد كل هذا  
المبلغ تدريجياً ، ولو على حساب صحته وحياته ، وإن كان  
هذا الوعد قد امتزج بأقسى ألوان العتاب ، ولكن جوليت  
كتبت إليه تقول :

« آه ! أنك لن تستطيع أبدا أن تحبني حبا نقيا عميقا  
طويل الأمد كما أحبك ، ومع كل ذلك فأننى شقية بائسة،  
فأى نوع من التكفير تطلبه منى بسبب جريمة ليست من  
صنعى وجاءت من حيث لا أدى .. جريمة لم يتواطأ فيها  
جسمى ولا قلبى ! تكلم .. قل شيئاً ، فأننى على استعداد  
لأن أخضع لآى نوع من أنواع العقاب حتى لا يموت  
حبنا .. »

وأخيراً ، وتحت وطأة تلك المشاكل جميعاً ، هربت جوليت

مع ابنتها الصغيرة الى اقليم بريتانى حيث تعيش شقيقتها  
رينيه فى بلدة سان رومان

وقاسى كل من هوجو وجولييت الأمرين من هذا الفراق،  
اذ فيما كان يهم المال أمام كل هذا الحب ؟

وأخذ هوجو يناضل بكل جوارحه فى سبيل انقاذ  
جولييت ، وذهب به الامر الى حد الاستنجاد بالمثال جيمس  
براديه ، وذلك لكى يتكفل على الاقل بنفقات ابنته كلىر ، غير  
أن براديه ساوم هوجو فى قحة على أنه لن يتسنى له أن  
يتكفل بابنته الا اذا حصل له هوجو على خطاب بتكليفه بعمل  
بعض التماثيل لقوس النصر !

أما جولييت ، فقد كانت تكتب لهوجو قائلة :

« فيكتور ! اننى اكاد أموت بعيدا عنك . . هل صحيح  
أنك تكرهنى وتحتقرنى ؟ اننى على استعداد لان أفعل أى  
شئ تطلبه منى . . يا الهى ! قل فقط أنك لا تزال تريدنى؟ »  
وكان هوجو يريد لها ، وكان مستعدا لان يعاونها ، فكتب  
اليها قائلا :

« لقد رأيت براديه منذ قليل ، وتحت ضغط شديد  
منى وافق على أن نفعل كل شئ لانقاذك . . انه سوف يتعهد  
مئلى اذا لزم الامر ، ولكن من أجل تحقيق ذلك لابد أن تكونى  
موجودة فى باريس لتساعدى على ايضاح الامر . ومن ناحيتى  
جمعت حتى الان مبلغ ألف فرنك بمجهود خارق ، فهأنتدى  
ترين ما يمكن ان يفعله الحب . .

اننى سأذهب فى الحال لاحجز لنفسى مكانا للسفر ، فاذا  
نجحت فى ذلك سافرت يوم الثلاثاء ويمكنك رؤيتى يوم  
الجمعة . . اننى لم أتناول طعاما منذ ثلاثين ساعة ، اننى



أحبك يا عزيزتى . . »

وترك هوجو زوجته وأولادها في بلدة روش ، وسافر  
الى اقليم بريتاني . وتلاقى العاشقان في ميناء بريست  
حيث السماء والبحر الازرق يشيعان في الجو جمالا وبهجة  
بعد أيام الضباب . وأقسم كل منهما على الا يحاول أحدهما  
أن يلحق الاذى بزميله

وكان هوجو وهو يتبع عشيقته يحاول أن يهدى أعصاب  
زوجته ، فكتب اليها في السابع من اغسطس من مدينة رين  
يقول :

« وداعا يا عزيزتى آديل . . اننى أحبك ، فالى اللقاء في  
القريب العاجل ، واكتبى الى كثيرا . انك مبعث سرورى ،  
وشرف حياتى ، فدعيني أقبل جبينك الحلو ، وعينيك  
الجميلتين . . »

وكانت آديل تخرج للنزهة بحرية أثناء ذلك مع سانت بوف  
تحت خمائل وادى بيفر ، فكانت ترد عليه قائلة :  
« اننى لا أريد أن أكتب لك شيئا يمكن أن يسبب لك  
الحزن ، بما أنى لا أستطيع أن أكون الى جوارك لأواسيك . .  
ومن ناحية أخرى أعتقد انك تحبنى بعد كل ذلك وأنت تتسلى  
لأنك قد تأخرت في العودة »

وفى الثامن من سبتمبر ، استقرت جوليت في قرية ميتز  
بغرفتها الصغيرة فوق التل ، وأقام فيكتور في قصر دى روش ،  
وبدا الاثنان ستة أسابيع من حياة بسيطة لا مثيل لها . .

وكانت جوليت تقوم بترتيب غرفتها هذه بنفسها ، وتأكل  
في المطبخ ، ولم يكن عندها سوى ثوب من الصوف وثوب آخر  
من قماش أبيض مخطط

والواقع أن هذا الفقر الذى كانت تعيش فيه جوليت ،  
كان خير دليل على حبها وطاعتها .. ومن ناحية أخرى فقد  
كانت هذه الحياة الخشنة وتلك العزلة التى فرضها عليها  
هوجو يشبعان فى نفسه شهية عجيبة للسيطرة ، واهدى  
هوجو نسخة من كتابه « كلودجوه » الى جوليت كتب عليها  
الاهداء التالى :

« الى ملاكى التى ينمو ريش أجنحتها من جديد - مitzer  
فى ٢ سبتمبر عام ١٨٣٤ »

وكان هوجو يأتى كل يوم مخترقا الغابة سيرا على الاقدام،  
وكانت جوليت كثيرا ما تذهب لانتظاره فى الغابة الى جوار  
شجرة عتيقة من اشجار الكستناء ، وكانت بصدرها النافر  
ووجنتيها المتوردتين وجمالها الساحر تبدو كوردة رائعة نابئة  
فى قلب الغابة . وكانت بمجرد أن ترى حبيبها تجرى نحوه  
فى خفة ورشاقة لتلقى نفسها بين ذراعيه ، وبعد أن تطبع على  
شفتيه قبلة حارة تسير فى رفقته تحت الاشجار الضخمة  
التي يغلف قممها الضباب الكثيف

لقد كانا سعيدين .. وكان هوجو ، ذلك الكاتب الذى  
يحلو له دائما أن يشرح العالم ويتحدث عن الله وكل الكائنات،  
يجد فى هذه الحسناء الثابتة تلميذة هادئة مملوءة بالاعجاب .  
وذات مرة فى احدى هذه الجولات ، هبت عليهما عاصفة  
شديدة فاحتما باحدى اشجار الكستناء العتيقة ، وكانت  
جوليت ترتعد من البرد بينما راح هوجو يبذل جهده لكى  
يدفئها ، وأخذت قطرات كبيرة من المطر تتساقط من شعره  
على رقبتها الطويلة ، فكان ذلك بالنسبة لجوليت ذكرى  
ثمينة لم تمنح من ذاكرتها أبدا ..

ولما كانت جوليت من النساء اللاتي يعترفن في قراراتهن  
بجميل الرجل الذي يمدح نبل روحهن لا جمالهن فحسب ،  
ولما كان الناس قد حكموا عليها بقسوة بالغة ، وكانت هي  
نفسها غير راضية عن ماضيها ، لذلك كانت تحب أن ينقلب  
العاشق الى واعظ يحدثها عن الأمل في الله ، وتحب أن تسمع  
الشاعر يقول لها :

« ان أخطأنا قد سببت لنا آلاما كثيرة يا ملاكى المسكينة،  
وحيثما يكون الرب قد بارك جميع الأبرياء ، ثم كل التائبين،  
قربما يباركنا نحن كذلك في النهاية .. »

وكم كانت سعادتها حينما وضع لها في فجوة خطاباتها  
بشجرة الكستناء العتيقة قصيدة تحمل هذا الأهداء :

« اليك يا من أحب وأحترم - ف. ه. »

وكان عنوان هذه القصيدة : « في كنيسة » ، كتبها هوجو  
ذات مساء بعد زيارتهما لكنيسة صغيرة في بلدة بينفر أثناء  
أحدى جولتهما الطويلة ، يقول فيها :

« كانت كنيسة متواضعة وعقود سقفها منخفضة »

« تلك الكنيسة التي دخلناها .. »

« كانت حزينة وهادئة مع احتضار النهار .. »

« تلك الكنيسة التي دخلناها .. »

« وكان المذبح بلا خادم كقلب بلا حب .. »

« وكانت الأنوار مطفأة .. »

هناك ، لا شك في أن جوليت قد صلت ، وهناك ، شكت  
الى ربها الذي كانت تعتقد فيه بكل روحها ، شكت اليه بأسها  
كامرأة تتلفت حولها فلا تجد أثرا « للبيت المرح ولا للأسرة  
الحلوة » ، ولم تكن مع ذلك قد أساءت الى أحد أو فعلت

مكروها لهذا العالم الفولاذى ! وهناك أيضا ، فى تلك الكنيسة الصغيرة المتواضعة ، عزاهـا صديقها الـاديب الشاعر ، وطمانها وهذا نفسـها وقد رآها يومئذ جادة حلوة وجديرة بالمكان المقدس

والواقع أن هذه القصيدة ببساطة مشاعرها ، وبلهجتها الـأليفة الهادئة ، وبحركات أبياتها العذبة ، وبذلك الانسجام التام الذى نلمسه فيها بين الفكرة والقافية كما قرأناها فى النص الفرنسى ، قد جاءت من أجمل القصائد التى كتبها فيكتور هوجو

ولكن أنين جوليت الذى عبر عنه الشاعر فى انسجام ونغم تامين ، كان دليلا على أنها فى علاقتها بفـيكتور هوجو كانت تفتقد السعادة على الرغم من كل هذا الحب المتبادل الذى كان مشبوبا بينهما !









# شاعر.. وعشيق.. وزوجة

## شاعر .. وعشيقة .. وزوجة

وبدأت بالنسبة لجولييت فترة رائعة من التقشف والحرمان ، أقرب ما تكون الى حياة الدير . لقد وعدتها فيكتور هوجو بأن يغفر لها ماضيها ، ولكنه وضع لذلك شروطا بالغة القسوة ، فكان على جولييت - التي كانت حتى أمس القريب أكثر النساء إثارة للاعجاب في باريس بما ترتديه من ثياب موشاة بالدانتيل والاحجار الكريمة - أن كان عليها ألا تعيش إلا من أجله وألا تخرج إلا معه ، وأن تتخلى عن كل ترف ودلال . وقبلت جولييت أن تحيا هذه الحياة الخشنة بدافع من النشوة الدينية ، وحبها لتطهير نفسها عن طريق الحب . وكان سيدها وعشيقتها يعطى لها ثمانمائة فرنك في الشهر على دفعات صغيرة ، وكانت تسجل له مصروفها بكل دقة :

التاريخ	صلى	فرنك
١	نقود ربحها معبودى	٤٠٠
٤	نقود ربحها معبودى	٥٣
٦	نقود الطعام الخاص بحبيبى توتو	٥٠
١٠	نقود ربحها رجلى الصغير	١٠٠
١١	نقود الطعام الخاص بحبيبى	٥٥
١٢	نقود ربحها حبيبى	٥٠
١٤	نقود أخذتها من حافظة توتو صغيرى	٦
٢٤	نقود أخذتها من حافظة توتو حبيبى	١١
٣٠	نقود أخذتها من حافظة معبودى	٣١



وكان على جوليت أن تدخر من هذه النقود القليلة ،  
المبالغ التى تدين بها للدائنين ، وإيجار مسكنها . . وفضلا  
عن ذلك نفقات تعليم ابنتها كير فى المدرسة الداخلية ، فلم  
يكن يتبقى لها بعد ذلك الا اقل القليل

وفى معظم الاحيان لم يكن عند جوليت فى غرفتها نار  
للتدفئة ، فاذا اشتد عليها البرد كانت تظل راقدة فى سريرها  
تحلم وتقرأ أو تسوى الحسابات التى كان سيدها يطالبها بها  
ليراجعها بنفسه كل ليلة

ولم تكن جوليت تأكل الا الجبن والبيض واللبن ، وكانت  
تأكل تفاحة واحدة فى كل ليلة، ولما لم تكن لديها ثياب جديدة،  
كانت تقوم برتق القديم منها لحيائها من جديد ، وكان الكاتب  
الشهير يردد على مسامعها كل ليلة أن « الملبس الفاخر لا يزيد  
من سحر النفوس الجميلة » ، وكان يطلب منها أحيانا ايضاحا  
بخصوص علبة من مسحوق الاسنان ، أو مريلة جديدة  
صنعتها من شال قديم

والغريب أن جوليت قبلت هذه الحياة الاسيرة ، بل انها  
تقبلتها فى مرح ممزوج بعرفان للجميل ، وكتبت اليه ذات  
مرة تقول :

«لم أعرف قط فى حياتى ما هو أكثر بشاعة من الاستدانة!  
يا الهى ! ان الاستدانة شئ كريه يحقر المرء ويذل كرامته ،  
وكم أنت عظيم ونبيس لانك تحبنى على الرغم من ماضى  
يا مبودى العزيز ! »

وكانت جوليت فى اوقات فراغها ، تبيض مسودات  
حبيبها ، أو ترتق له بعض ثيابه ، فتجد فى ذلك متعة كبيرة . .  
وكانت الناحية المؤلمة فى حياتها أنها كانت تضطر أحيانا الى

انتظار عدة أيام وهى تنظر الى السماء وكأنها عصفور حبيس  
فى قفص ، اذ أنه كان لا يأذن لها بالخروج الا معه  
وكان هوجو يصحبها معه فى اوقات فراغه الى سان مانديه  
لزيرة ابنتها كلير بالمدرسة الداخلية ، او الى حى الانفاليد  
حيث يقيم عمها دروييه الذى كان يعانى وقتئذ سكرات  
الموت ، او الى متجر لبيع التحف القديمة .  
وكان الشاعر يحب الصغيرة كلير ، وكثيرا ما كان يكتب  
اليها قائلا :

« عزيزتى كلير .. بما أنك تفكرين قليلا فى صديقك  
القديم ، فهو يحب أن يوجه اليك هنا تحية صغيرة ، ويرجو  
منك أن تعملى بجد وأن تكونى عاقلة وكبيرة ، وذلك كي  
تصبحى شخصية نبيلة جديرة بوالدتك .. »

وكانت هذه العزلة التى تعيش فيها جوليت تتحول  
الى سجن أليم ، اذا تأخر الشاعر فى الحضور أكثر مما ينبغى ،  
فكانت تشكو حينئذ قائلة :

« لقد كنت غبية اذ تركت نفسى أقاد كالكلب الى الحظيرة ..  
ان نصيبى هو الطعام « والعشة » والسلسلة . ومع ذلك ،  
فهناك كلاب يأخذها المرء معه وهو خارج من البيت ، ولكننى  
محرومة حتى من هذه السعادة ! »

وكان لا يزال هناك أمل وحيد آخر يراود نفسها حتى  
بعد كل هذه الصدمات وهو المسرح ! وكان هوجو قد انتهى  
من كتابة مسرحية ثرية جديدة هى : « أنجلو طاغية بادوا » ،  
وهى مأساة هزلية على غرار مسرحية لوكريس بورجيا ،  
وكانت على الرغم من قيمة موضوعها ، متينة التأليف ..  
فقبلها مسرح الكوميدي فرانسيز فى حماس

وكانت جوليت تأمل في أن يعطيها هوجو دورا هاما في هذه المسرحية ، ولكنها لم تجرؤ على مصارحته بذلك مقدرة انه ربما خشى ان يعهد بمسرحيته الى ممثلة كانت مواهبها موضع جدل ، على الرغم من أن النقاد كانوا يتقربون اليها، ولكن الذي حدث ان جوليت تخلت عن رغبتها في نيل وكرم وقالت له :

« لنفصل بين مصيري ومصيرك في المسرح » . وكان ذلك معناه انها تخلت عن مستقبلها الفني ، فتركت «التياتر فرانسيز» دون أن يتاح لها أن تمثل فيه دورا واحدا . وأسند الدوران الأساسيان في المسرحية الى « مدموازيل مارس » و «مدام دورفال » ، فكان ذلك بالنسبة لجوليت أقصى درجة من الاذلال .. لا كممثلة فحسب ، بل كحبيبة كذلك

وكان سحر مدام دورفال وميوعتها المثيرة التي اشتهرت بها يثيران الخوف في نفس جوليت . وكانت مدام دورفال حينئذ عشيقة للشاعر النبيل ألفريد فيني ، ولم تكن تخلص له ، فليس من المستبعد اذن أن تحاول اغراء شاب وسيم كفيكتور هوجو . وصارحت جوليت هوجو بمخاوفها، فكتبت اليه تقول :

« اننى غيورة ، فأنا امرأة من لحم ودم ، امرأة شهوانية كأشد ما تكون المرأة ، وهى معك هناك كل يوم تنظر اليك وتحديثك وتلمسك .. آه ! اننى أغار حقا من هذه المرأة ! وهذه الغيرة تجعلنى أقاسى آلاما شنيعة .. »

وكان التصفيق والحماس المنقطع النظير الذى استقبل به الجمهور مسرحية طاغية بادوا ، بفضل أداء الممثلتين

المحبوبتين من الجمهور ، عذابا اليما بالنسبة لجولييت .  
ولكنها تغلبت على نفسها بفضل اخلاصها لحبيبها ، وكتبت  
اليه تقول :

« آه لو انك علمت بأى اخلاص صفقت لدام دورفال ،  
لما قلت فى هذا المساء شيئا يجرح قلبى المسكين ، الذى  
صدمه ان ترضى بامرأة غيرى لتمثل أنبل افكارك ! ولكن  
هأنذا على الرغم منى أصبح حزينة مضطربة لانك الى  
جوار هذه المرأة .. »

وأحس الشاعر بمبلغ ألم جولييت ففكر فى أن يعوضها  
عن ذلك ، فقام برحلة معها فى الصيف التالى . وعلى الرغم  
من أن مصاريف هوجو كانت كثيرة ، الا أن مؤلفاته كانت تدر  
عليه مالا كثيرا

وفى نهاية شهر يوليو ، أرادت أديل أن تسافر الى  
مقاطعة أنجو لحضور حفل زواج فيكتور بافى صديق الاسرة . .  
وكان هوجو مدعوا للحضور ، ولكنه كان يعلم أن سانت  
بوف سيكون بدوره هناك ففضل ألا يذهب . ومن ناحية  
أخرى كان هوجو يرغب فى أن يسافر مع جولييت ، فأحبر  
زوجته بأن تذهب الى حفل الزواج فى صحبة والدها .  
وافترق هوجو وزوجته كأخوين أكثر منهما زوجين ، ولم  
يكفا عن تبادل الرسائل الودية

وعلى الرغم من أشعة الشمس الساطعة على شواطئ  
نهر اللوار ، ورغم وجود صديقها ذو الشعر الأحمر - سانت  
بوف - الى جوارها ، الا أن ذلك لم يكن يفريها تماما عن غياب  
زوجها ، فكتبت أديل تقول له :

« حين رأيت نهر اللوار تذكرت اننى رأيته معك منذ



عشرة أعوام مضت ، فمتى نسافر معا من جديد . . ؟ اننى  
أشعر بأن ذوقى شاخ واننى حزينة جدا بلا سبب . . »  
وكانت أديل تشعر حينئذ بأنها ملت سانت بوف وملت  
الحياة ، وكل شيء . . كيف لا والفسيرة توقظ فى النفس  
شعورا شبيها بالحب ؟ أما ابنته ديدن التى كانت حينئذ  
فى الحادية عشرة من عمرها ، فكانت تكتب الى والديها  
تقول :

« ان والدتى تبكى حين تفكر فى انها ليست معك . .  
لا تنس ابنتك الصغيرة ، ودع هذه التماثيل المنحوتة لتعود  
الىنا يا والدى العزيز ، فنحن نحبك كثيرا . . »  
وفى نفس الوقت ، كان هوجو وجولييت يستمتعان الى  
أقصى حد بجمال رحلتهم . كتبت جولييت اليه تقول :  
« هل تذكر رحيلنا فى عربة المسافرين التى تجرها  
الحياد ، ويد كل منا فى يد الآخر ؟ أتذكر حين كنا نزور  
المتاحف والكاتدرائيات ونبدى اعجابنا بكل شيء ؟ كم من التحف  
أثارت حماسى لانك كنت تحبها وتشرح لى سر عظمتها  
بنفسك . . ! وكم من الدرجات صعدتها الى مالا نهاية لانك  
كنت تصعدنا أمامى . . ! »

وكانت هذه الاسفار بالنسبة لجولييت تخلق جوا  
شبيها بجو الاستعداد للزواج . . أما بالنسبة لهوجو ،  
فكانت بمثابة النزوة والتجديد والعودة الى الحرية : حريه  
الصبا وانطلاق الطفولة

وكان الشاعر يحب أن يسافر بلا برنامج مهد ولا أمتعة  
ثقل كاهله ، وكان يطيب له أن يشاهد الاطلال والآثار  
ويجمع الازهار ويرسم المناظر ، وكانت جولييت التى ترضى

بكل شيء هي الرفيقة المثالية في هذا الانطلاق . ولم يكن هوجو وهو بعيد عن باريس يلعب معها دور قاضى محائمه التفتيش ، بل كان يغمره المرح وكأنه تلميذ صغير اجتياز امتحانه ويلعب في عطلة الصيف !

وأقامت جوليت بعد عودتها في قرية ميتز ، اما أديل فأقامت في بيتها ببلدة روتش ..

وكان شهرا سبتمبر واکتوبر من عام ١٨٣٥ شهرين مطيرين ، فكانت جوليت في معظم الاحيان تلزم غرفتها الصغيرة أكثر الوقت ، وتنظر الى القاصفة وقد استبد بها القلق على ابنتها الصغيرة التى كثيرا ما كانت تقول عنها انها « تنساها أكثر مما يجب » ، او تعيد قراءة كتاب من مؤلفات « عزيزها الرجل الصغير » . وكانت لا تثعب من ذلك ، بل لقد كانت تجد في ذلك متعة فائقة : « حسنا ! اننى اعرف كل كلمة من مؤلفاتك .. وفي كل مره أعيد قراءتها أشعر بالمتعة والسرور أكثر من ذى قبل ، وهى تشبه وجهك الجميل الذى على الرغم من اننى اعرف كل شعرة فيه ، الا أن ذلك لا يحول دون أن اظل مبهورة كلما أمعنت النظر اليه .. »

وكثيرا ما كانت جوليت تخرج على الرغم من سسيل المطر المنهمر لتذهب الى شجرة الكستناء لانتظار حبيبها ، ولكنها كانت في أغلب الاحيان لا تجد حبيبا ولا خطابا ، فكان ذلك يسبب لها صدمة كبيرة .. ولكن سرعان ما كان الشاعر يرسل اليها قصيدة أو خطابا من خطاباتہ الرائعة ، فيعزيها ذلك عن كل شيء ..

وكان اعجاب جوليت بشاعرها اعجابا يقارب حد

العبادة . . كان يشجعه على أن يتأله ، وكان يعود من ناحية أخرى على أن يتأمل نفسه ، خاصة وأنه كان يمر حينئذ بأحدى فترات حياته الأليمة ، فقد كان يعرف أنه مكروه من الناس ، وأنهم يتربصون به محاولين الوشاية به . ألم يكتب هاينى يقول : « وبالنسبة لشاعرنا ؛ كانت كل هذه المشاعر الممتزجة والعواطف المتباينة تفعل فعل السحر فى تشكيله كشاعر ، فجاء ديوان شعره « أغانى الغسق » الذى نشر فى أواخر أكتوبر عام ١٨٣٥ مجموعة من التحف الأدبية النادرة لقد كان هوجو مؤلف « ديوان أغانى الغسق » يفوق بكثير هوجو مؤلف ديوان « الاغانى » ، وحتى ديوان « أوراق الخريف » والواقع أن ديوان أغانى الغسق الذى نشره الناشر راندويل فى أواخر أكتوبر جاء مجموعة من التحف والروائع ، فالعنوان يشع منه ضوء عذب جميل ، ونرى فيه - بعد شهب وصواريخ أشعار « ديوان الشرقيات » - وثاما عجيبا وانسجاما تاما بين بساطة اللفظ والامتياز فى رصف الابيات ، وكانت الابيات المألوفة تسمو فيه الى حد الملحمة وقد تغنى الشاعر فيه بعمره العقل والجسد مع جوليت دروييه ، فجاءت به ثلاث عشرة قصيدة مهداه اليها بطريقة واضحة أو مستترة، وليس هناك شك فى أن الجياح الى الفضيحة ممن قرأوا هذا الديوان - واتخذوا من مؤلفه موقف القضاة الصارمين اكثر من الاصدقاء المجاملين . . قد أصابتهم دهشة بالغة حين وجدوا فيه أيضا قصائد غاية فى الروعة أوحى بها الزوجة والاولاد الاعزاء ، فقرأوا فى قصيدة تاريخ « ليليا » تمجيذا لفضائل آدىل ، ومحاولة لتكذيب الشائعات التى كانت تروج وقتئذ عن وجود خلاف بين

الشاعر وزوجته ، واعترافاته بالماضى الهادىء الوداع ،  
وتقربا ينطوى على الود فى الحاضر .. يقول فيها الشاعر :  
« آه لو لاقيتم فى موضع ما تحت السماوات »  
« امرأة ذات جبين نقى وخطوة جادة وعينين حلوتين »  
« يتبعها أولاد أربعة يترنح صغيرهم فى مشيته »  
« فإذا مر الى جوارها حين ترقبوههم جميعا جيدا بأعينكم »  
« أعمى يضنيه العمر وتثقل كاهله الأعوام »  
« فأنها تضع احسانا متواضعا فى يد طفلها الصغير »  
« آه ! فليباركها كل واحد منكم ... انها هى »  
« أخت روحى الخبالة التى تراها العيون »  
« هى كبريائى وأملى وملاذى ومأواى ! »  
« وهى سقف أعوام شبابى التى تأمل فيها أيام شيخوختى  
واثارت هذه القصيدة ، التى كانت تتوج الكتاب كما لو  
كانت تقدسه ، الناقد سانت بوف حتى أنه لم يستطع أن  
يكبت غضبه ، فجاءت مقالته عن ديوان أغانى الغسق متجنية  
غير عادلة فى كل فقراتها ، وانتهت بهجوم قاس على هذا  
« الشاعر العائلى » ..

وقد تأثرت آديل الى أبعد حد من نقد سانت بوف  
لديوان زوجها ، وغضبت كثيرا من تعليقه المفضوح . ذلك  
انها وان صدمتها القصائد والاناشيد التى كانت تتفنى  
بجولييت ! فقد تأثرت تأثرا بالغيا بأبيات مثل :

« أنت .. فلتكونى مباركة على الدوام »  
« يا حواء التى لا تغريها أية فاكهة ! »  
« وأنت راضية مسرورة بالفضيلة »  
« وتسكنى فى القمم النقيصة ... »

« حواء التى لا تغريها أية فاكهة » ! . . ان زوجها يعطيها هنا دورا كانت لا تكرهه ، وهاهو ذا حب فيكتور هوجو الجديد يوحى الى زوجته برغبته فى التقرب منها تقربا عاطفيا لاحتيا . . لا بأس اذن ، فهى لم تشعر معه يوما بأنها كانت محبة حقا ، وكانت تقبل عن طيب خاطر الا تكون بالنسبة اليه منذ الآن سوى رفيقة شرف ، فكتبت اليه تقول :

« لا تحرم نفسك من شيء ، فلست فى حاجة الى اللذات ولكن يلزمنى الهدوء . أننى عجزت للغاية . . وليست لى آلا رغبة واحدة : وهى أن يكون كل من أحبهم سعداء . ان السعادة فى هذه الحياة قد انقضت بالنسبة الى وائنى ابحت عنها فى ارضاء الآخرين ، وهو أمر أجد فيه حلاوة على الرغم من كل شيء . ولهذا فأنت على حق تماما حين تقول لى أن لدى ابتسامة متسامحة . يا الهى ! ان فى وسعك أن تفعل كل شيء فى العالم ، وما دمت سعيدا فائنى سعيدة . . لا تحسب أن هذا قلة اكتراث ، فهو اخلاص وعدم تعلق بالحياة . . ولن استفل تلك الحقوق التى يخولها لى الزواج عليك ، ففى نيتى أن أتركك حرا كأنك شاب أعزب يا صديقى المسكين . . أنت الذى تزوجت وأنت فى العشرين من عمرك . . »

وبعد ظهور ديوان « أغانى الغسق » أبعدت آديل صديقها الناقد سانت بوف من حياتها رويدا رويدا ، اذ كانت تلومه لا على مقاله غير اللائق فحسب ، وانما على ما كان يتشدد به فى كل مكان من أن هذا الديوان « ينافى الاخلاق » وفكر هوجو فى أن يتحدى صديقه القديم للمبارزة ،



واضطر الناشر راندويل الى التدخل فى الامر لحسم الخلاف، فقال لهوجو : « هل يليق ان يبارز أحكما الآخر وأنتما شاعران ؟ »

وكتب سانت بوف الى « فيكتور بافى » يقول :  
« ان كل واحد منا غاضب جدا من الآخر ، واعتقد آسفا أن هذا الخلاف سوف يدوم ، ولست أدري أن هناك صلحا ممكنا ، فبيننا كثير من المقالات ، وهى مقالات لا يمكن التراجع عنها أو الفاؤها أو انكارها . . »

ومما يدعو الى الدهشة أن جوليت التى مجدها الشاعر فى ديوانه هذا كل التمجيد قد اظهرت من الغيرة أكثر مما اظهرت آديل ، اذ استولى عليها القلق حين رأت النقاد يرون أن القطعة الأخيرة « تاريخ ليليا » معناها عودة الشاعر الى أسرته ، فكتبت فى ٢ ديسمبر عام ١٨٣٥ الى هوجو تقول :

« لست الوحيدة التى لاحظ انك قد تغيرت منذ عام، وأرى أن عاداتك ومشاعرك قد تغيرت . وقد أكون الانسانة الوحيدة التى يمكن أن تموت من الحزن من جراء ذلك، ولكن هذا لا يهم طالما ان الاسرة مسرورة والبيت سعيد . . ! »  
وكانت جوليت وقتئذ تشكو خاصة من أن هوجو أصبح أقل اشتها لها من قبل ، وقد كتبت اليه تقول : « أوكد لك جادة بلا مزاح يا عزيزى توتو (١) الصغير أننا نسلك سلوكا يثير السخرية والضحك حقا . وقد حان الوقت لنضع حدا لهذه الفضيحة ، فضيحة عاشقين يعيشان فى أتعس حالة من حالات الطهر . . »

---

(١) اسم التذليل الذى كانت تطلقه جوليت على فيكتور هوجو

مَحَبَّةُ قَبِيلِ الْإِسْلَامِ

## تحت قبة الأكاديمية

ان كتابة قصائد الحب أمر طبيعي بالنسبة للشاعر الشاب ، ولكنه حينما يبلغ مرحلة النضج ينتظر من نفسه شيئا آخر . . . وكذلك كان فيكتور هوجو في الفترة ما بين عام ١٨٣٦ وعام ١٨٤٠ يشعر بالقلق لانه لا يلعب أى دور فى الحياة العامة ، حقا ان التفنى بسحر جوليت وجمال الشمس والقابات شىء جميل ، ولكن هذا لا يمكن ان يملأ حياة رجل يريد أن يكون روحا تقود الآخرين . .

لقد كان هوجو حينئذ يريد أن يختلط بأولئك الذين يقررون مصائر الدول ، وكان يرى أنموذجه المفضل شاتوبريان عضوا فى مجلس الشيوخ الفرنسى وسفيرا ووزيرا للخارجية — وكان هوجو يريد بدوره أن يكون عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ، وهو أمر طالما ذكره عنه سانت بوف فى مرارة وسخرية

وكانت جوليت ، وكذلك ابنته ديدن ، لا يروق لهما رؤيته مرتديا ثوب الاكاديمية الاخضر الموشى ، وكانت ديدن قد ربيت على ألا تحب هذه الثياب المزركشة ، أما جوليت فكانت تخشى أن يكون فى قبول حبيبها عضوا بالاكاديمية وما يتبع ذلك من التزامات اجتماعية مايشغل وقته ويبعده عنها

وفى فبراير من عام ١٨٣٦ اقترح على قبول فيكتور هوجو عضوا فى الاكاديمية الفرنسية ليحل محل الفيكونت لينيه ، ومن الغريب أن جوليت دروييه قد تنبأت بفشله قبل عملية الاقتراع بثلاث ساعات ، اذ قالت له فى مزيج من التشفى

والسرور : « بعد ثلاث ساعات لن تقبل عضوا في الاكاديمية يا عزيزي الصغير ، وسوف تستطيع ان تفخر بذلك في يوم من الايام . اما من ناحيتي ، فأنا - كديدين - لا أحب أن أراك مرتديا ثوب الاكاديمية ، لانني لا أتمسك بالمازاي السياسية التي تعود عليك من جراء ذلك ، وأحب أن أظل محتفظة بك » وعاد هوجو الى مجرى حياته اليومية دون أن يشعر بئاس كبير أو بخيبة أمل مريرة من جراء هزيمته التي كانت سببا في أن يزداد ارتباطه بأسرته . .

وكانت أديل لا تزال تتبادل الرسائل مع سانت بوف ، ولكن على فترات طويلة ، فأصبح هذا يشك في أن حبها له لم يعد بالنسبة اليها سوى حلم من أحلام الماضي ، والواقع أن الايام مالبثت أن أثبتت له صحة ظنونه

وسافرت مدام هوجو وأولادها صيف عام ١٨٣٦ بطوله عند والدها السيد فوشيه في فوركوه بغابة مارلي - لافى روش كما كانت تفعل من قبل - وبعد فترة قصيرة فاجأها هوجو بوصوله الى هناك ، فكان ذلك بالنسبة لأولاده عيداً اي عيداً ! وحينما كان هوجو يتركهم ليسافر مع جوليت ، كانت ابنته ديدن تكتب اليه قائلة : « اننى ألومك يا والدى الصغير المسكين لانك تمشى كل هذه المسافات الطويلة على قدميك لتجد في النهاية طعام عشائك وقد أعد اعداداً رديئاً ، وعلى أية حال فلست غاضبة منك لان ذلك سيجعلك تسرع بالعودة الى بيتك في فوركوه حيث لن تجد الا أناسا يحبونك بكل قلوبهم » . . .

ولما كان هوجو يعود الى ميدان رويال ، كانت زوجته تلحق به هناك ، ولكن أولاده كانوا يبقون في فوركوه

وكان قطع العلاقة بين آديل وسانت بوف ، معتساه أن هوجو يجب ان يوزع نفسه بين زوجته وجولييت توزيعا عادلا . ومن ناحية جولييت لم يكن كل شيء بالنسبة لها الا حبا ، غير أنه كان يعيش بين عواطف الفقر

وكان هوجو قد أسكنها في باريس في شقة صغيرة بشارع القديس أنستاس الذى يقع في حي ماريه بالقرب من ميدان رويال . . . وكانت هذه الشقة مملوءة بصور هوجو ورسوماته وكثيرا ما كان العاشقان يخرجان سويا الى محلات بيع التحف القديمة لشراء التماثيل القوطية والاقمشة القديمة . وكانت جولييت قد أعدت للشاعر في غرفة نومها نارا جميلة على مقربة من الفراش ، وركنا للعمل به منضدة عليها كثير من ريش الاوز المبرى ومصباح كبير على أهبة الاستعداد ، ومثونة ضخمة من ورق الكتابة . .

وكانت جولييت كثيرا ما تقضى الليل بطوله راقدة في فراشها تنظر الى رأس شاعرها الصغير يؤلف الاشعار الخالدة

وكانت جولييت كثيرا ماتقضى شطرا كبيرا من الليل راقدة في فراشها ، وهى تنظر دون أن تنطق بكلمة واحدة الى شاعرها الجالس على المنضدة يدون اشعار ، فكانت هذه الساعات بالنسبة اليها بمثابة تعويض رائع عما كانت تحس به من اذلال في اوقات أخرى . وذات مرة قال لها هوجو بعد أن فرغ من كتابة احدى روائعه :

— هل جعلتك تنتظرين طويلا يا عزيزتى ؟

فردت عليه جولييت قائلة ، وهى تنظر اليه فى وله واعجاب :



— انتظر . . لقد كنت طيلة الوقت أنظر ، دون ان أشبع ، الى  
رأسك الصغير اللهم ووجهك الجميل النبيل ، فاستولى  
على نفسى اعجاب لم أعرف له مثيلا . .

و ذات ليلة كتبت له جوليت هذه الابيات :

« كم كنت مخطئة لاننى أردت شيئا أفضل . . »

« فالساعات تنقضى هكذا . . رائعة جميلة »

« حقا انك جالس هناك . . ولكن عينى لا تترك أبدا عينيك

« حقا انك جالس هناك . . ولكننى أرى أفكارك تغدو

وتروح »

« كم أنا صغيرة . . وأنا فى ركنى الى جوارك »

« فأنت أسدى . . وأنا يمامتك الصغيرة »

« اننى أسمع حفيفا هادئا . . ينبعث من أوراقك »

« واذا ماسقطت ريشتك . . فأنا التى التقطها لك »

وكان هوجو يتأثر من أنه معبود على هذا النحو ، غير أن

هذه العبادة لم تكن عمياء . . اذ كانت تتخللها فترات من

الثورة والفضب والفيرة لان جوليت كانت تعرف أن هناك

سردابا سرىا يؤدى مباشرة الى ميدان رويال حيث يسكن

فيكتور هوجو ، ولم يكن يخفى عليها وهى التى ذهبت الى

هناك عدة مرات ، أن هناك نساء أخريات يقعن فى سحر

الشاعر الجميل العظيم . وقد كتبت اليه ذات مرة تقول :

« انك جميل . . جميل أكثر مما ينبغى ، الى حد اننى

أشعر بالغيرة وأنا معك . انى أريد أن تكون لى وحدى لان لى

من الروح ما يكفى أن يعوضك عن حب جميع النساء » . .

كانت هذه « الملذات السرية » تثير قلقها وغيرتها فى آن

واحد ، خاصة وانها ضبطته متلبسا بالكذب أكثر من مرة

كان يقول لها : « اننى مضطر للذهاب لرؤية أسرتى فى الريف  
يا عزيزتى .. »

ولكنها لا تلبث أن تكتشف أن الاسرة لا تزال فى بيته بميدان  
رويال ، فأى النساء كان يخفيهن وراء هذا الكذب ؟ لقد  
غارت من قبل من الممثلتين الجميلتين الأنسة جورج ، ومارى  
دورفال .. وهامى ذى الان تخشى صانعة قبعات مدام  
دورفال ، وتخشى أيضا آنسة تدعى ليزون تعمل راقصة على  
مشرح الاوبرا

وكانت هناك نساء كثيرات يحاولن اغراء هذا الرجل الذى  
كان لا يبذل أى جهد لمقاومتهم ، فمن مشلات يتطلعن الى  
الحصول على أحد الادوار ، الى كاتبات مبتدئات وسيدات  
ضعيفات الخلق من المجتمع الراقى ، كلهن يأتين ويقرعن باب  
ذلك المكان السرى الذى اتخذه هوجو مكتبا له !

ولم يكن من المعقول أن تمنعه جوليت من الخروج بدونها  
فى الوقت الذى كانت فيه سجيننة فى غرفتها ، فلما لم تعد  
تستطيع أن تروض نفسها على هذا الطفيان كتبت اليه تقول :  
« منذ نحو اربع سنوات وأنا أرزح تحت وطأة حبك  
حتى أصبحت فى حالة لا أستطيع معها أن أتنفس أو أتحرك .  
وقد أصبحت ثقتى فىك عرضة لان تدفن تحت أنقاض  
علاقتنا .. »

والواقع أن جوليت ماكانت لتحتمل ذلك كله لولا تلك  
الرحلات اللطيفة الممتعة التى كان يصطحبها فيها معه ، فكانت  
تقضى معه كل صيف أوقاتا رائعة تدوم خمسة أو ستة  
أسابيع يسافران فيها الى بلدة فوجير أو الى بلجيكا حيث  
الحصون العتيقة والابراج العالية

أما آديل ، فكانت تبقى مع أولادها الأربعة في الريف ، وكان يصلها من زوجها خطاب كل يوم . . ولكنها منذ لم يعسد يتردد عليها سانت بوف لتنفس عن مشاعرها ، لم تعد تستطيع أن تقبل اختفاء الزوج بنفس الروح العالية التي كانت تتقبله بها من قبل ، ولهذا فقد كانت تقول له :

« في السنة القادمة ، يجب ألا تسافر بدوتى . . »

وفي ٥ مارس عام ١٨٣٧ ، وقع حادث محزن لم يكن في الحسبان . . فقد توفي المسكين أوجين هوجو مصابا بالجنون ، وكانت وفاته تعطى ليفيكتور هوجو الحق في أن يحمل لقبه فيكونت ، وهي خطوة تؤدي إلى مجلس الشيوخ ، وبدأت آديل بالفعل توقع رسائلها بهذا التوقيع : « الفيكونتيسة فيكتور هوجو »

ولم يكن يخفى على هوجو مدى ما كانت تقاسيه جوليت من جراء انقطاع صلتها بالمرح ، وكان لا ينكر بينه وبين نفسه أنه كان مسئولاً عن ذلك ، ومن ثم فقد أراد بعد أن فرغ من كتابة أروع مسرحياته « روى بلاس Ruy Blas » التي كتبها في شهر واحد ، أن يسند إليها دور الملكة في هذه المسرحية ، فأثار ذلك في نفسها سعادة جارفة

ولكن آديل تدخلت في الموضوع ، فأرسلت دون علم زوجها خطابا إلى جولي مدير المسرح تعبر له عن مخاوفها من جراء إسناد الدور إلى ممثلة ليست أهلا للقيام به ، مما يؤثر تأثيرا سيئا على مسرحية زوجها التي تتوقع لها كل نجاح ، والواقع أن آديل كانت تخفي غيرتها من جوليت تحت ستار من « الفيرة الفنية » على أعمال زوجها الأدبية . ونجحت آديل في تحقيق رغبتها ، ولا سيما أن هوجو كان قد خضع هو

الآخر الى رأى مدير المسرح ، فكان ذلك بالنسبة لجولييت  
ضربة اليمة بالفة القسوة

غير أن المحبة المسكينة المخلصة التي تبدد من نفسها  
آخر شعاع من الامل فى العودة الى المسرح ، وكسب عيشها  
وعيش ابنتها كلى عن هذا الطريق ، تصرفت تصرفا رائعا فى  
ليلة الافتتاح . . فارتدت لتلك المناسبة ثوبا جديدا ، وذهبت  
لمشاهدة المسرحية وكادت تدمى كفيها الجميلتين من كثرة  
التصفيق !

ولكن ماذا يثول اليه مصيرها لو حدث أن هجرها هوجو ؟  
وحتى لو أنه ظل مخلصا اتبقى طيلة حياتها مجرد امرأة مخطئة ؟  
وراحت هذه الفكرة الأخيرة تنمو فى نفسها مقرونة بأمل  
فى أن يعترف هوجو بحبها العظيم بقسم ينطق به ، لا امام  
الناس بل امام الله ، وما دام الزواج الشرعى بينهما مستحيلا ،  
أفلا يحق لها أن تحصل منه على اقرار روحى بهذا « الزواج  
الغرامى » ؟ لقد كانت تقول له أحيانا وهى تحرص على ألا تثير  
غضبه :

« انك انسان غريب لا منطق له ، فأنت تترك ثمرات روحى  
تسقط أمامك لتأكلها الديدان ، بدلا من أن تقتطفها أنت  
وتتذوقها كفاكهة عجيبة آتية من الجنة »

وكان هوجو فى أول الامر يرد على هذه الرغبات العاطفية  
فى شىء من الضيق ، متعللا بأنه مرهق بالعمل . . ولكن  
جولييت كانت لا تصدقه ، فلماذا اذن كل هذا التألق وكل  
هذه السراويل الضيقة وكل تلك العناية بتصفيف شعره ؟

ولكن سرعان ما تحقق الامل ، وفى ليلة ١٨ نوفمبر عام  
١٨٣٩ أقسم لها هوجو على أنه لن يتخلى عنها قط ، ولا عن

ابنتها كلير ، ووعدته جوليت في مقابل ذلك بأن تترك مهنة التمثيل الى الابد

ولم يكن هذا الاتفاق من قبيل البيع والشراء ، وانما كان بالنسبة لجوليت نوعا من الزواج العرفي ، أما بالنسبة لكلير فكان معناه أن يتكفل بها هوجو . وكتبت جوليت لهوجو في اليوم التالي تقول :

« لا شك في أن هذه سعادة لا مثيل لها وأمل قادم من السماء ، حتى أنني لم أنم في الليلة الماضية غير بضع ساعات قليلة ، فلما استيقظت في الصباح كنت أشعر بأننى زوجة جديدة . . آه ! أنك زوجى تقريبا ! نعم اننى زوجتك ، ونستطيع منذ الان ان نترف بذلك بلا خجل . اليس كذلك أيها المعبود ؟ ومع هذا ، فاللقب المفضل الذى اريد ان اظل محتفظة به قبل جميع الالقاب الاخرى هو : عشيقتك . . »  
ولكن ماذا كان شعوره هو ؟ انه كان يعجب بكل هذا الجمال الذى يعرض نفسه عليه ، وهذه المخلوقة النبيلة وهذا الحب العاطفى ، لقد كان الشاعر يعترف بأنه مدين لها بسبعة أعوام من السعادة أعادت اليه ثقته فى نفسه بعد خيانة زوجته ومع ذلك كان مستمرا فى فرض العزلة على زوجته العرفية ، فكانت تقضى الليل سجينه فى غرفتها . . وهى عيشة كانت تعتبر عذابا اليمما بالنسبة لهذه المرأة « من اقليم پريتانى » التى اعتادت أن تحيا فى الهواء الطلق ، هذا فى الوقت الذى كان هوجو لا يزال يستريح فيه لنفسه ان يرتكب كل انواع النزوات . .

وكان هوجو لا يزال يرغب بشدة فى أن يدخل الاكاديمية الفرنسية ، ولما كان من ذلك الصنف من الرجال الذى يحصل



دائما على ما يريد ، فقد رشح نفسه للمرة الخامسة لشغل  
المقعد الذى خلا بوفاة المؤرخ ميشوه فى عام ١٨٣٩  
وفى عام ١٨٤٠ ، كتبت اليه جوليت تقول :

« كم أود الا يكون هناك أكاديمية ولا مسرح .. وانما أريد  
الا يكون فى العالم سوى طرق واسعة وعربات لنقل المسافرين،  
وفنادق فى الطريق ، وفيكتور وجوليت يعبد كل منهما  
الآخر ... »

ولكنها فى الليلة السابقة على يوم الاقتراع ، وبينما كان  
هوجو يهم بالخروج من عندها عائدا الى بيته ، ألقت نفسها  
بين ذراعيه وهى تقول :

« عمت صباحا يا عزيزى عضو الاكاديمية .. هانتسدا  
تجلس على الكرسي فى انتظار أن تصبح رجلا عجوزا !

وكانت جوليت قد أعدت ثوبا جميلا لهذه المناسبة ، وفى  
الموعد المحدد حضر الى غرفتها رجل مرسل من قبل هوجو  
كى يصطحبها الى الحائكة لتحضر ثوبها الجديد ، اذ كان  
الشاعر يحرم عليها أن تخرج وحدها .. فلما فرغت من ذلك،  
انطلقت الى الاكاديمية فبلغتها قبل أن يصل اليها أى مدعو  
آخر ...

وام تكذ تنقضى لحظات حتى ضاق المكان على ساعته  
بالحاضرين الذين كان من بينهم آديل وأولادها وعسدد من  
الشخصيات الكبيرة ، وعدد كبير من الممثلات اللاتى اخذن  
يشرن خفية الى جوليت وآديل ..

وسرعان ما وصل الشاعر الشاب وعلامات الانفعال بادية  
على وجهه ، وكانت ابتسامته الاولى موجهة الى جوليت  
فكاد يغمى عليها من فرط التأثر . وفيما بعد ، كتبت اليه

تقول : « شكرا أيها المعبود .. شكرا لانك فكرت في المرأة المسكينة التي تحبك في مثل تلك اللحظة الجادة السامية .. »



وعلى الرغم من أن هوجو كان وقتئذ على قدر عظيم من الثراء ، فقد كان لا يكف عن وعظ امرأته بالاقتصاد في النفقات ، وكان يردد قائلا :

« ان رأس المال يجب ان يبقى سليما لا يمس ، وعلينا ان نعيش من الدخل .. »

ومع ذلك فقد كان لا يبخل أبدا على نفسه ، فأصبح متأنقا في ملبسه .. الامر الذي كانت جوليت تشعر من أجله بالقلق ، رغم أنها هي التي كانت قد أوعزت اليه بذلك حينما رآته لايهتم بأناقته في بدء علاقتهما .. وفي ذلك كتبت اليه تقول :

« اننى أعض بنان الندم على اليوم الذى نصحت لك فيه بالتأنق ! ولكن هل كان يدور بخلدك أنك سوف تحب يوما هذا تعالى الذى لا يليق برجل مثلك ؟! آه لو أستطيع أن أعيد اليك حمالات سراويلك التى كنت ترتديها فيما مضى ! ، وكذلك شعرك الهائش وأسنانك التى كانت تبدو كأسنان تمساح ! »

وكان هوجو يتركها تقول ما تشاء ، فرجل الدولة المقبل يجب أن يكون عظيم المظهر .. أما أديل التى كانت تشعر بمدى متانة العلاقة بين زوجها وجوليت وتقلق كثيرا من جراء ذلك ، فقد حاولت أن تستغل طموح زوجها لتشن هجوما على جوليت ، فكتبت اليه تقول : « لشد ما أخشى أن

تضطرك هذه الالتزامات التى أخذتها على عاتقك الى سحب جزء من مالك الذى ادخرته بعد جهد جهيد . . ومن ناحيتى تنازلت عن كل حق من حقوقى فيما يختص بالثروة ، ولا اعتبر نفسى أكثر من رئيسة بيتك المكلفة بمراقبة شئونه . . اننى أحدثك كأخت أو كصديقة ولا أسعى أبدا وراء أية مصلحة لنفسى ، ولست أدرى ماذا أستطيع أن أفعل كى تصدق ذلك ، ففكر فى أمر مستقبلك ، وابحث أى الطرق حتى تستطيع أن تخفف من أعبائك . . »

وكان التخفيف من أعبائه معناه أن يقطع علاقته بجولييت، وهو الذى لم يفكر قط فى ذلك . حقا أن الروابط الجنسية بينهما كانت أقل قوة عما كانت عليه فى الماضى، ولكن جولييت كانت تقوم بالدور الذى لم تعرف زوجته أن تقوم به أو لم تشأ أن تقوم به : دور المرأة التى تحب أن تصحبه فى رحلاته وتدون له رواياته وأشعاره ، والخدمة التى تطريه وتمدحه وتمثّل لامره ونهيه . ولهذا ، فإننا نلاحظ بسهولة أن أشعاره التى يشيع فيها روح الاعتراف بالجميل كانت لا تزال تهدى الى جولييت : « جولييت ، هذا الاسم الساحر ، ينمو فى نفسى ويصبح شعرا . . انك لست قلبى وحسب ، وانما كل أفكارى ، وإذا كان لدى شيء من العبقرية فهو آت منك . . » وكان لأدبى وقتئذ بعض علاقات غرامية ، فبعد أن قطعت علاقتها بسانت بوف ، أخذت تغازل فى شيء من الدلال والميوعة صديقا آخر كان قد جاء الى منزل هوجو منذ مدة ، وأصبح الآن ناقدا عظيما فى كل فروع الفن : المسرح ، والأدب ، والتصوير . . هو تيوفيل جوتييه الذى يطلقون عليه اسم : « تيو الطيب »

# محنة عروسين



## محنة عروسين

نحن الان فى يناير من عام ١٨٤٣ م ، والعام الجديد يبدو جميلا حافلا بالأمال الحلوة .. فلأول مرة منذ خمس سنوات ، سيعرض هوجو مسرحية جديدة على مسرح الكوميدي فرانسيز هى مسرحية « لى بروجراف » ، كما أن ابنته الكبرى ديدين « ليوبولدين-وكانت مخطوبة لفتى تحببه الاسرة كثيرا يدعى شارل فاكرى - سوف يعقد قرانها فى فبراير القادم . وأخيرا ، فقد كان هوجو وجولييت يزعمان القيام برحلة الى اسبانيا فى الصيف القادم .. أليس ذلك برنامجا رائعا ؟

وعلى الرغم من كل ذلك ، كانت علامات الكآبة والحزن بادية على وجه الكاتب الكبير .. فهل كان يخفى شيئا ما ؟ أم أنه كان يقاسى من قلق مجهول ؟

وتم زواج ديدين ، وكان لرحيل الابنة الكبرى التى نضجت سريعا أثر كبير على نفس هوجو اذ كانت هى الابنة المفضلة التى يحبها حبا جما ، وكانت من ناحيتها تبادله هذا الحب

ولما رأت جولييت دروييه مدى حزن هوجو على فراق ابنته ، كتبت اليه تقول : « آمل أيها الملاك المسكين أن تكون أكثر شجاعة ، ألا تكون سعادة ابنتك المعبودة بالنسبة اليك ماثارا لليأس والدموع .. »



وحل فصل الصيف ، وسافر هوجو وجولييت كما اتفقا



من قبل الى الجنوب الغربى من اسبانيا ، على الرغم من معارضة آديل . وكان هوجو يتوقع ان تشفيه هذه الرحلة من احزانه التى كان يشعر بها فى باريس منذ زواج ديدى ، التى أصبحت الآن حاملا فى الشهر الثالث ، والتى كانت قد الحت على والدها فى الا يسافر الى اسبانيا مدفوعة بقلق غامض ، وذلك حين ذهب الى مقاطعة نورماندى ليوذعها فى اليوم التاسع من شهر يوليو

وكتب هوجو وقشيد يقول لابنته بعد رحيله : « آه لو تعلمين يا ابنتى كم أصبح كالطفل الصغير لما أفكر فيك .. ان عينى تمتلئان بالدموع حينئذ وأود الا اتركك أبدا .. ان هذا اليوم الذى قضيته عندكم فى بلدة الهافر شعاع مضى فى فكرى لن أنساه قط ما حييت »

ومع ذلك فقد شعر هوجو بسعادة جارفة لما رأى أول مرة تجرها الثيران بأصواتها المتوحشة التى كانت كموسيقى تذكيره بسنوات طفولته العزيزة ! ان اسبانيا قد سحرته بمناظرها الطبيعية العنيفة ، ولغتها الحبيبة ونسائها الرشيقات ..

وعلى مقربة من مدينة سان سباستيان ، شاهد هوجو مكانا بديعا به كثير من المنازل البيضاء العالية ، وآلاف من النوافذ التى علقت فيها الخرق الحمراء والصفراء والزرقاء ، ونساء فائتات يجدفن فى القوارب ، لهن عيون سوداء واسعة وشعر فاحم رائع ...

وبعد أن توغل هوجو وجولييت حتى بلدة بيمولون ، عادا عن طريق جبال البرانس فوصلوا فى الثامن من سبتمبر الى جزيرة اوليرون .. وكان يبدو على هوجو انه يروح تحت وطأة

حزن غريب يقارب حد الانهيار ، وكانت هذه الجزيرة ذات  
منظر كئيب فبذت له كأنها « نعش كبير ممدد في عرض  
البحر »

وفي اليوم التالي ، فرا من الجزيرة واتخذ طريق العودة  
حتى وصلا الى مدينة روشفور ، وكان هوجو يريد أن يذهب  
من هناك الى ميناء الهافر ليرى ابنته الكبرى ديدين وزوجها  
شارل فاكيري ، خاصة وأن زوجته وأولاده كانوا يقيمون  
وقتئذ على مقربة منهما ببلدة جرافيل في فيللا صغيرة كان  
والدها مسيو فوشيه قد أجراها لهم ، وكانت فكرة أن الاسرة  
على وشك أن تكون كلها مجتمعة تعيد الى الكاتب مرحه  
وبهجته

وما كادا يبلغان قرية سوبيز الصغيرة حتى اقترحت عليه  
جولييت أن يستريح بعض الوقت في حانة صغيرة ، يشربان  
فيها زجاجة من البيرة ، ويقرأان الصحف التي لم يطلعا عليها  
منذ أيام

ودخل هوجو وجولييت الحانة ، وكانت خالية تماما إلا  
من شاب كان يجلس وحده الى منضدة صغيرة ، وسيدة  
جالسة الى خزانة النقود ، هي صاحبة المقهى ..

وجلس هوجو وجولييت في ركن بأقصى الحانة ، وكان على  
المائدة مجموعة من الصحف .. وبعد أن طلبا زجاجة من  
البيرة ، تناول هوجو أول صحيفة أمامه وأخذ يتصفحها ، ولم  
تنقض لحظة حتى التفت الى جولييت ، وقال لها في صوت  
مخنوق وهو يشير بأصبعه الى خبر في الصحيفة :

— آه ! ان هذه كارثة رهيبة !

ورفعت جولييت بصرها اليه ، فشاهدت على وجهه

أمارات يأس لا توصف . وكتبت جولييت دروويه في مذكراتها في ٩ سبتمبر تصف هوجو في تلك اللحظة :

« لن أنسى ما حييت تعبير اليأس البالغ الذى كان يكسو وجهه النبيل وهو يشير بإصبعه إلى الصحيفة .. لقد كان منذ لحظة واحدة باسم سعيديا ، وفي أقل من ثانية ، وبلا مقدمات - صار كالمصعوق .. كانت شفاته بيضاوين ، وعيناه الجميلتان تنظران دون أن تريا شيئا وقد بللت الدموع وجنتيه ، وأمسكت يده اليمنى بقلبه كما لو كانت تريد أن تمنعه من أن يشب من صدره ، فأخذت الجريدة ورحت أقرأ الخبر ... »

أما ذلك الخبر الذى أشار إليه هوجو ، فكان يقص حادثا أليما ، وهو غرق ابنته المفضلة ديدن وزوجها شارل فاكرى! ففي ليلة الاثنين الرابع من سبتمبر ، غادرت ديدن وزوجها ميناء الهافر وقصدا إلى قرية فيليكييه لقضاء عطلة آخر الأسبوع . وفي اليوم التالى ، وبينما كانا يركبان قاربا فى نهر السين ، اذ بالقارب ينقلب بهما فجأة فيغرقان فى النهر ومن هذه الحانة الكئيبة فى قرية سوبيز كتب إلى زوجته يقول :

« أيتها المرأة المسكينة ، لاتبكى ، ولنرض بما ادخره لنا القدر .. لقد كنت أحب هذه الفتاة المسكينة حبا لا تستطيع أى كلمات أن تعبر عنه .. أنك تعرفين كم كانت ديدن لطيفة .. انها أجمل وأرق فتاة فى الوجود ..  
وا أسفاه ! لقد كانت ديدن سعيدة أكثر من اللازم ..  
آه ! لشد ما أتألم ! ولشد ما أتوق إلى البكاء معك ومع أولادنا الثلاثة المساكين ! .. اننى قادم توا .. لنذرف الدموع معا

يا أحبائي المساكين ، فالى اللقاء فى القريب العاجل . ياعزيزتى  
آديل . . ان هذه الضربة المروعة يجب على الاقل أن تزيد  
الرابعة بين قلبينا ! »

\*\*\*

وفى ديسمبر - أى بعد انقضاء أكثر من أربعة أشهر  
من الحادث - لم يكن هوجو قد شفى بعد من انهياره . لقد  
هدته كارثة ابنته ، وكان يبدو عليه انه قد شاخ عشر  
سنوات دفعة واحدة ، وفى ذلك كتب الكاتب الكبير بلزاك  
يقول : « من الجائز أن يكون فيكتور قد تقبل موت ابنته  
كعقاب له على علاقته بجولييت . . »

والواقع ان بلزاك لم يكن مبالغا فى قوله ، فقد أخذ هوجو  
يكره جولييت لفترة من الزمن ، وأسرع الى زوجته ليكون  
الى جوارها . .

وعندما كان يذهب لزيارة جولييت . كانت تتوسل اليه ان  
يسرى عن نفسه بعض الشيء ، وأن يهرب من هذا التأمل  
الاليم الذى استغرق فيه . ولما كان هوجو لا يستطيع الكتابة،  
فقد طلب من جولييت أن تدون له مذكرات عن رحلتها الى  
جبال البرانس

وكان هوجو كثيرا ما يذهب الى قرية فيليكييه ليبنى على  
قبر ابنته الذى تحيط به اشجار الورد الصغيرة ، وظل  
يحرص سنوات عديدة على أن يكتب فى الرابع من سبتمبر  
قصيدة فى ذكرى وفاة ابنته الحبيبة . وكان حزنه العظيم  
ينطوى على ندم لم يكن له من سبب الا أنه كان بعيدا عن  
أسرته مع عشيقته ساعة وقوع الكارثة ، وكان لا يقبل ذلك  
على نفسه

فضيحة سان روك



## فضيحة سان روك

من طبيعة بعض النفوس البشرية حين تتردى في مهاوى الحزن والشرود ، أن تبحث عن السلوى والعزاء بالانغماس في الشهوات . وهكذا كان فيكتور هوجو في عام ١٨٤٣ ، اذ كان حزنه البالغ يدفعه الى التماس الخلاص من عاطفة ما . . . ولكن أين . . . ؟

جوليت ؟ . . . انها لم تعد تكفيه . ان هذه المرأة المسكينة التي كانت سجيناً في غرفتها منذ عشر سنوات قد ذبلت . . . انها الان في السابعة والثلاثين ، وكان المشيب قد أخذ يتسلل الى شعرها منذ سبعة أعوام . . .

صحيح انها كانت لا تزال تحتفظ بجمال عينيها وطابعها الراقى الحنون ، ولكنها لم تعد « ذلك الجمال الذي لا يوصف » الذي عرفه حبيبها في قمة روعته أيام الاميرة نجروني . . . وفوق هذا ، فقد كانت جوليت تسبب له بعض الضيق على الرغم من روحها اللطيفة ، فما الذي كان لا يزال لديها لتقوله له ؟ ان رسائلها اليه لا تعدو أن تكون في نهاية الامر الا تراويل طويلة من المديح والشكوى ؟

لقد أصبحت جوليت تشك في أنه يعنى حتى بأن يقرأ رسائلها ، فكتبت اليه تقول : « لم أعد أصلح لشيء في هذه الدنيا حتى لان أجعلك سعيداً ، فمنذ عامين ونصف وانت لا تكاد تعرف أننى في هذا العالم لاجبك . . . لست أنكر أنك انسان نبيل بكل ما في هذه الكلمة من معنى ، ولكن ليس هذا

هو الحب ، فالحب ليس معناه أن تكون طيبا ونبيلًا فقط . .  
انى اشعر باننى لا اخذع نفسى ، ولكننى احبك حبا يفوق  
الحد ، وربما كان هذا سببا فى اننى لا ارى الامور فى وضوح . .  
انى اعرف تماما أنك تحتفظ منذ أكثر من عامين بكل  
مظاهر الحب فى أحاديثك وفى تصرفاتك معى ، ولكن علام  
يدل ذلك ؟ انه يدل فى نظرى على أنك رجل مهذب حسن  
التربية ، فهل هذا كل شيء ؟ . . كلا ، فهناك من المشاجرات  
العنيفة ما هو أكثر بلاغة واقناعا للقلوب المحبة من المديح  
والغزل ، وهناك من الركلات ما هو أكثر حبا وحنانا من بعض  
القبلات التى تطبع على الجبين ، أو حتى على الشفاة » . .

ان جوليت كانت على حق . . فعلى الرغم من أن هوجو  
كان يعترف بمبلغ تضحياتها وقسوة الحياة التى يفرضها  
عليها ، ألا أنه لم يعد يشتهيها ، لقد كان لها الحق فى أن تخرج  
معه فى ثلاث مناسبات تذكارية فقط : أول يناير ، والسابع  
عشر من فبراير ، وهو ذكرى الليلة الأولى لغرامهما ، والتاسع  
عشر من مايو ، وهو عيد القديس جولى

لقد كانت جوليت ترتاب فى أن هناك نساء أخريات يشبعن  
رغبات حبيبها الحسية ، والواقع ، انها لم تعد الحقيقة فى  
شكوكها وهواجسها ، اذ كانت هناك كثيرات من الممثلات  
والفتيات الشابات ممن يعشقن الادب كن يصعدن جميعا  
سلم ميدان رويال الخفى . وكتبت اليه جوليت فى ١٧ يناير  
عام ١٨٤٣ تقول :

« أعرف أن لديك من الفضول ما يدفعك الى رؤية ومعرفة  
تلك النسوة اللاتى ينشغلن بك انشغالا يثير كبرياءك كرجل  
وكشاعر وكاتب . ولست أريد من ناحيتى أن أمنعك من

ذلك ، ولكننى أحس فقط بأننى سأموت عند أول خيانة ، هذا  
كل ما هنالك . . »



وعلى الرغم من ذلك ، فلم تحصل بداية عام ١٨٤٤ حتى  
كانت هناك ملكة جديدة تتربع على قلب هوجو ، وهى الفتاة  
الشقراء ذات العينين الهائمتين « ليونى دونيه »  
كانت ليونى فتاة نبيلة نشأت فى الاوساط الراقية ،  
وهربت وهى فى الثامنة عشرة مع رسام يدعى فرانسوا بيار  
لتقيم معه فى الاستديو الخاص به فى ميدان فاندوم . وكان  
بيار هذا رساما لاموهبة له ، منحل الشخصية بعض الشيء  
. . ولكنه احرز نجاحا كبيرا ، اذ كان لويس فيليب يبحث عن  
لوحات تاريخية كبرى ليزين بها قصر فرساي ، وهو نوع من  
اللوحات كان بيار ينتجه بالجملة

وكان بيار قد سافر الى النرويج وبلاد الاسكيمو ، ومن  
هنا أصاب بعض الشهرة الرومانتيكية التى أثارت إعجاب  
ليونى ، فرافقته فى عام ١٨٣٩ فى رحلة الى شمال أوروبا  
!ظهرت خلالها كثيرا من ضروب الفتنة والشجاعة والميوعة  
وفى العام التالى ، تزوجها الرسام وهى حامل فى الشهر  
السادس ، وأقامت معه على شاطئ السين على مقربة من بلدة  
ساموا ، حيث اشترى لها منزلا جميلا ذا حديقة واسعة ،  
وقاربا صغيرا للنزهة . ولم يأت عام ١٨٤٢ حتى أصبحت  
« مدام بيار » معروفة على أنها أول فرنسية سافرت الى  
منطقة سبتزبرج ، فأخذت تستقبل فى بيتها كثيرا من الكتاب  
والشعراء عن طريق جارة لها تدعى مدام فرتونيه هاملان ،

وهى امرأة فى السابعة والستين من عمرها كانت معروفة  
جيدا أيام حكومة الادارة ، وكان شاتوبريان وهوجو من بين  
اصدقائها

وقدمت مدام هاملان فيكتور هوجو الى زوجة الرسام ،  
فأعجب كل منهما بالآخر وتقابلا عدة مرات ، ولكن سفسر  
هوجو مع جوليت الى جبال البرانس فى عام ١٨٤٣ وغرق  
ابنته ليوبولدين مع زوجها قد ألقيا جوليت من أن يخونها  
هوجو مع هذه السيدة

والآن فى عام ١٨٤٤ ، هاهو ذا هوجو يشن تحت وطأة  
الحزن الذى ألم به من جراء كارثة ابنته ، فيرغب فى أن ينتزع  
نفسه من الالم بأن ينغمس فى العمل والحياة الرسمية ، ومن  
ثم فقد أخذ يواظب على زيارة الاكاديمية الفرنسية والبلاط،  
وبالطبع على حبه الجديد !

ولم تكن مدام بيار سعيدة فى ذلك الوقت مع زوجها الفنان  
الذى كان يسىء معاملتها ، ولما كانت الشفقة بالنسبة لفكتور  
هوجو أمرا يحرك عواطفه ويشير رغبته ، فقد تقابل هذان  
الشخصان اليائسان وأخذا يخرجان فى نزهات ليلية يشاهدان  
فيها باريس التى وصفها فى رواية « نوتردام » ، وأخذ  
الشاعر يكتب القصائد ورسائل الحب من جديد لملاك غير  
جوليت ..

وكانت هذه الرسائل مشابهة للأسف لتلك التى كان يكتبها  
لجوليت ، ذلك أن الرجل لا يستطيع أن يغير نفسه تماما ،  
فبينما يظل دور العاشقة دائما هو نفس الدور ، يوزع الرجل  
هذا الدور على نساء أخريات .. هكذا كان الامر بالنسبة

لهوجو ، الذى كان يوزع دور المحب على « ممثلة » أصفر .  
سنا وأكثر صلاحية

ولما كانت كل « ممثلة » تصبغ دورها بسمات معينة تتفق  
مع طبيعتها الخاصة ، فقد كانت ليونى يسار تؤدى دورها  
بطريقة تختلف عن طريقة جوليت دروييه ، فهى وإن كانت  
تتفق معها فى زعمها بأنها هى الأخرى روح جريحة مسكينة ،  
وهو أمر كان يؤثر تأثيرا بالغا فى نفس الشاعر المرفقة ، إلا  
أنها لم تكن بدائية عنيفة كجوليت . . وإنما كانت من ذلك  
الطراز الذى يمتزج فيه السحر بالميوعة باسمسة كانت أم  
غاضبة

ولما ذكرته جوليت بوعوده ، أجابها قائلا :  
- ماذا أقول لك ؟ لقد كنت دائما مصدر سعادتي ، وانت  
الآن عزائي وسلواي . . فكوني كما أنت سعيدة مباركة ،  
واطردي من قلبك العظيم هذه الغيوم المؤقتة وهذه الأشباح  
التي تمر . . .

وبقدر ما كان هوجو يقلل من زياراته لجوليت ، كان  
يكثُر من التردد على بيت مدام هاملان حيث كان يلتقى بليونى  
يسار . ومن حسن الحظ ، كانت جوليت لا تعرف شيئا عن  
ليونى بسبب العزلة التي كانت تعيش فيها ، ولكن شكوكها  
كانت تتجه الى مدام هاملان ، فكتبت تقول لهوجو فى الرابع  
من ديسمبر عام ١٨٤٤ :

« واأسفاه ! فى الوقت الذى تخصصنى فيه وحدى بكتابة  
رسائلك وتصحيح « بروفات » المطبعة ، تمتنع الآخرين  
بالباقى . . وقد حلمت ليلة أمس أننى أشبع هذه المرأة  
ضربا ، وأتعشم أن أحقق فى النهار ما حلمت به أثناء الليل . »



ان الطموح يجلب الشقاء ، اذ ان صاحبه لا يرضيه شئ . .  
وهكذا كان فيكتور هوجو ، فمنذ ان ارتدى سترة الاكاديمية  
الخضراء اصبح لا يحلم الا بحلة « مجلس الاشراف » الموشاة  
بالذهب . وكانت جوليت لا تريد له ان يشتغل بالسياسة ،  
اما مدام بيار فكانت على العكس تثير فيه هذا الطموح  
وتسانده ، ولما كان هوجو وقتئذ على علاقة طيبة بلويس  
فيليب ، فقد صدر في الثالث عشر من ابريل عام ١٨٤٥  
مرسوم بتعيين « الفيكونت فيكتور ماري هوجو » عضوا في  
مجلس الاشراف : وكان تعليق جوليت الوحيد على ذلك ان  
بعثت اليه برسالة تقول فيها :

« لست أدري لماذا أنعم الله الكريم عليك بهذا الشعر  
الجميل - وهو الذي كان يعرف أنك ستصبح عضوا في  
الاكاديمية وفي مجلس الاشراف - بينما خصني انا بالشعر  
الابيض الذي كان خليقا به ان ينفك في مثل هذه المراكز  
العتيقة ! »

وعلى العكس من ذلك كان مسيو بير فوشيه - ذلك  
الرجل العجوز الطيب - يحلم طيلة حياته باليوم الذي يرى  
فيه ابنته آديل زوجة لرجل من أعضاء مجلس الاشراف ،  
ولكن المقادير قد عجلت بوفاة هذا الرجل المتدين في مايو  
عام ١٨٤٥ فكفته مثونة ان يسمع بفضيحة كانت خليفة بأن  
تسبب له صدمة قاتلة !

ففي فجر يوم ٥ يوليو من ذلك العام ، وبناء على الطلب  
المقدم من الرسام فرانسوا بيار ، قام مأمور قسم حي فاندوم  
بالمهجوم على شقة منزوية بزقاق سنان روك حيث ضبط  
فيكتور هوجو ومام فرانسوا بيار في وضع شائن . .

وكانت عقوبة الزنا حينئذ عقوبة قاسية ، فقبض على مدام بيار على الفور وأودعت سجن سان لازار ، أما هوجو فقد احتج بالحصانة التي يتمتع بها أعضاء مجلس الاشراف ، فتردد مأمور القسم في بادئ الامر ، وما لبث أن أخلى سبيله ولكن فرانسوا بيار لم يسكت على ذلك ، وتقدم بشكوى الى النائب العام باسكييه ، وفي اليوم التالي طلعت جريدة « لا باتري » و « لوناسيونال » و « لاكوتيدييه » وهي تتحدث عن فضيحة يؤسف لها ، ارتكبها أحد أعضاء مجلس الاشراف، وعن اضطرار المجلس الى محاكمة أحد أعضائه بتهمة الزنا وضحك الاصدقاء والاعداء من هذه المفامرة ، ولكن الملك لويس فيليب تدخل في الامر ، فاستدعى الرسام بيار الى قصر سان كلو وطلب منه أن يسحب شكواه ، كما نصح فيكتور هوجو بأن يترك باريس لفترة من الوقت . . ولكن الشاعر فضل أن يعتكف ليكتب عند جوليت دروييه . وقد عقب الناقد سانت بوف على ذلك بقوله : « ان هوجو يعمل الآن في كتاب لا نعرفه ، مؤملا أن تغطي شهرة هذا الكتاب الفضيحة الاخرى »

ولم تكن جوليت تدري شيئا عن هذه المفامرة ، ولما كتبت اليها أختها مدام لويس كوخ من أقصى اقليم بريتانى تستفسر منها عن معنى هذه التلميحات التي ظهرت في الصحف ، كذبتها جوليت في سذاجة وطيبة . .

أما آذيل ، فقد تلقت اعترافات زوجها المذنب في الصباح التالي بصدر رحب ، بل وبلغ من كرم نفسها انها ذهبت لزيارة مدام بيار في السجن

مأساة كليبر

## مأساة كلير

ولكن فضيحة سان روك لم تلحق بفيسكتور هوجو أذى كبيرا في حياته العملية ، اذ سرعان ماتوارت هذه المسألة في زوايا النسيان ، وكانت الضحية الوحيدة فيها هي ليونى بيار ، التى ظلت مسجونة فى سجن سان لازار بين المومسات والمجرمات . وأخيرا ، وبفضل وساطة مدام هاملان ، وافق الزوج على أن يوقف تنفيذ الحكم ، واكتفى بأن تسجن زوجته لعدة أشهر فى أحد الاديرة بشارع بوف دى بيرى . وهناك ، كان عشيقها الشاعر يواصل ارسال قصائده اليها ، وعلى الرغم من شعورها فى الدير بضيق شديد ، فقد استطاعت أن تظفر بحب الراهبات ، ونجحت فى أن تفريهن بقراءة مؤلفات فيكتور هوجو . وفى الرابع عشر من أغسطس عام ١٨٤٥ ، نطقت المحكمة بالانفصال الجسدى والانفصال فى الممتلكات بين الرسام بيار وزوجته ليونى

ولما خرجت هذه المرأة الجميلة من الدير لجأت الى جدتها . . ولفترة ما وجدت الطريق مسدودا أمامها فى بادىء الامر ، ولكن مدام هاملان مالبت أن مدت اليها يد المعونة ، وقبلت أديل من ناحية أخرى أن تستضيفها ، فأصبحت ممن يزدان بهم صالون ميدان رويال بصفة دائمة . والواقع أن من الصعب علينا أن نفسر سلوك أديل الغريب نحو غريمتهما الجديدة . . هل كان ذلك عن رغبة منها فى اظهار تسامحها

ونبل روحها ؟ أم تكفيرا من امرأة مذنبه ؟ أو أنها كانت ترمى الى الانتقام من جوليت ؟ أم تعاوننا من جانب زوجة لم تعد تعتبر زوجها أكثر من شريك في المسكن ؟

وكان دخل هوجو وقتئذ صغيرا الى حد ما ، فقد كان لا ينشر شيئا ، لا لانه كف عن الانتاج ، ولكن لانه استأنف مشروعا قديما هو رواية « البؤساء » . وكانت جوليت هي المكلفة بإعادة كتابة مسودات هذه الرواية التي كان في فية هوجو أولا أن يسميها : جان تريجان

وفي عام ١٨٤٦ ، وجدت جوليت نفسها أمام حادث مروع لا يقل أيلاما عن حادث قرية فيليكييه . . ذلك أن ابنتها كلير براديه - التي لم يسمح والدها بأن تحمل اسمه على الرغم من أنه كان قد تزوج وأصبح رجلا غنيا - نمت وأصبحت فتاة جميلة حزينة ، وكان هوجو من ناحيته يغمرها بالهدايا ويدفع لها نفقات المدرسة الداخلية ويهيئ لها دروسا خاصة في الموسيقى ، وباختصار كان يحبها ويعطف عليها باخلاص كبير

ولكن شعور الفتاة بطبيعة وضعها وإدراكها للكوارث المحيطة بها والتي لم يكن لها يد فيها ، تركا في نفسها ياسا دفينا دفعها لأن تحاول الانتحار طلبا للخلاص . وقبل أن تقدم الفتاة المسكينة على تلك المحاولة كتبت الى هوجو خطابا مؤثرا تقول فيه : « وداعا يا صديقي فيكتور . . اعتن كثيرا بوالدتي العزيزة ، فهي طيبة ولطيفة للغاية ، وكن على يقين من أن ابنتك كلير سوف تقدر جميلك كل التقدير » . وخرجت كلير من محاولتها للانتحار بمرض خطير ، فنقلها والدها جيمس براديه الى بيت قدر في أوتوى يملكه صاحب حانوت صغير ، حيث زارها هوجو عدة مرات . وعلى الرغم



من ان هذا كان امرا طبيعيا ، فقد تقبلت جوليتها عمله هذا وكأنه تفضل عظيم . لقد كانت تحب ابنتها حب عبادة ، ولكن ذلك لم يحل بينها وبين كتابة خطابها اليومي لتقول له : « ان روحى مفعمة باليساس ، ولكننى احبك . ان الله الكريم يستطيع ان يسحق قلبى وقتما يريد ، ولكن آخر صيحة ستخرج منه ستكون صيحة حب لك أيها المخلوق النبيل » وفارقت كلير المسكينة الحياة اثر هذا المرض ، ودفنت فى مقابر سان مانديه ، وتلقى الفيكونت فيكتور هوجو عضو مجلس الاشراف العزاء مع والد الفتاة ، الذى قرب الحزن بين قلبه وقلب هوجو ، وكان ظهور الكاتب الكبير فى مثل هذه الظروف ، وبعد فصيحة سان روك ينطوى على كثير من الخطورة ، ولكنه اقدم على ذلك فى بساطة وجراة ليقدم للفتاة الميتة ولامها المنكوبة اكبر برهان على الاخلاص ..



ومرة أخرى هامو ذا هوجو يجد نفسه ذاهلا حزينا ، فيحاول ان ينسى بالقاء نفسه فى الهاوية من جديد .. انه يجرى وراء المبتدئات والعاشرات ، ويبحث عن المغامرة فى كل صـورها ، وكأنه قد أصيب بشره عجيب للحم الضر ان العاشق الرومانتيكى يدخل الان فى منافسة مع الاديب الناقد تيوفيل جوتييه والرسام شاسيريوه ، وحتى مع ابنه شارل هوجو على أروع جسم فى باريس : جسم « اليس سوزى » . وحدث ماكان يجب أن يحدث ، وانتصرت المبقرية على الشباب ، ورضخ الابن آخر الامر فى ألم ينطوى على الاحترام والتسليم « للوالد العظيم » - كما كان أولاده

يسمونه فيما بينهم - وكتب شارل الى اليس يقول : « انك  
اخترت الوالد بمجسده ، ولست ألومك على ذلك ، فأى  
امراة أخرى كانت خليفة بأن تفعل ما فعلت لو أنها كانت  
مكانك ... »

وفي الوقت الذى كان فيه شارل يشتم اليس سوزى  
بهذه الايات القاسية :

« اننى أحب جسمك وأكرهه .. وأحب حياتك وأكرهها »

« واأسفاه ! .. فحياتك حافلة بالحب والفور »

« انها تمضى تارة فى جمال .. وتارة أخرى فى قبح »

« وأنا .. اذهب معها من النقيض الى النقيض »

« لاننى أحبك وأكرهك .. »

« احبك من أجل حبك .. »

« وأكرهك من أجل عشاقك .. »

فى نفس هذا الوقت ، كان والده فيكتور هوجو يجلس  
أمام هذه الحسنة الساحرة فى غرفة نومها ذات السرير  
الفاخر المصنوع من خشب الورد المطعم « بالسيفر » ، يتمتع  
نظره برقبتها الرائعة التى يتغنى بها الشعراء وساقبيها  
الناعمين البديعتين ، ويكتب لها هذه الايات :

« فى هذه الساعة الجميلة ، حين تشحب شمس الغروب »

« وحين تمتلئ السماء بالضوء الاشقر » ..

« كان أفلاطون يحلم برؤية فينوس تخرج من المحيط .. »

« وأنا أحلم برؤية اليس تدلف الى السرير » ..

## فترة اختبار

كان عام ١٨٥٠ وعام ١٨٥١ بالنسبة لهوجو ، فترة صراع سياسي وعاطفي . وكان هوجو قد انتخب قبل ذلك عضوا في البرلمان بأغلبية كبيرة في شهر مايو ١٨٤٩ ، وحصل في الانتخابات التي أجريت وقتئذ على ١١٧.٦٩ صوتا ، وكان ترتيبه الثامن في باريس . وفي أغسطس من نفس العام ، انعقد في باريس أثناء العطلة البرلمانية مؤتمر للسلام حضره مندوبون عن أكثر دول أوروبا ، وانتخب هوجو رئيسا لهذا المؤتمر باجماع الاصوات

وحين وقعت اضطرابات فبراير المشهورة في عام ١٨٤٨ ، وهي الاضطرابات التي أدت الى اعلان تنازل الملك لويس فيليب عن العرش ، كان هوجو أول من أعلن تنازل الملك على جماهير الشعب في ميدان الباستيل حيث استقبله لامارتين صائحا في حرارة وحماس : « ان هوجو معنا . . وهو جندي عظيم من جنود الجمهورية ! »

ولما انتخب الامير لويس نابليون بونابرت رئيسا للجمهورية في أواخر عام ١٨٤٨ أقام الرئيس الجديد في الثالث والعشرين من ديسمبر أول حفل عشاء له بقصر « الايليزيه » ودعا اليه هوجو ، فحضر هذا متأخرا وكان لويس نابليون قد سبق له أن زار فيكتور هوجو في يونيو من عام ١٨٤٨ في بيته بشارع

دى لاتور دو فرنى (١) ليكسبه الى جانبه، وقال يومئذ للشاعر: « لقد جئت لاتفاهم معك . . انهم يتهموننى ظالما ، فهل تعتقد يامسيو هوجو اننى رجل غير منطقى ؟ انهم يظنون اننى اريد ان افعل ما سبق ان فعله نابليون . ان هناك رجلين يمكن ان يتخذ الرجل الطموح من احدهما نموذجا له : نابليون وجورج واشنطن ، وأولهما رجل عبقرى ، أما الآخر فرجل فضيلة واذا كان نابليون اكثر عظمة الا ان واشنطن اكثر صلاحا . واذا ما خيرتنى بين البطل المذنب والمواطن الصالح فاننى اختار المواطن الصالح . . هذا هو طموحى يامسيو هوجو »

ولكن فيكتور هوجو كان نائبا تقديما فى برلمان يسيطر عليه الرجعيون ، فقام بينه وبين لويس نابليون خلاف سياسى شديد سرعان ما ادى الى قطيعة : ان الجناح اليسارى فى البرلمان كان يستقبل لون خطب هوجو اللامعة عن الحريات بعاصفة من التصفيق ، ولكنه فى نفس الوقت كان يعتبره واحدا من رجاله ، أما الجناح اليميني فكان يلفظه ويعامله على أنه خارج عليه ، وكان نواب اليمين يعاملونه معاملة غاية فى السوء ، فكانوا يلجأون فى الرد عليه الى وسائل عنيفة كالشتائم واطلاق الشائعات الكاذبة . وباختصار ، كان جناح اليمين الذى يمثل الاغلبية الرجعية فى المجلس يستعمل ضد هوجو طريقتين للدفاع : مقاطعة خطبه بالضحكات الساخرة ، وتذكيره بآرائه السابقة

وهكذا بين هذين الجناحين ، ومنذ قطيعته مع قصر

---

(١) كان فيكتور هوجو قد ترك بيته بميدان رويال بعد حرقه فى اضطرابات فبراير سنة ١٨٤٨

الانليزيه ، كان هوجو يجد نفسه في وسط صراع سياسي عنيف ، وفي ذلك كتب في مذكراته يقول :

« يناير ١٨٥٠ ، منذ خمس سنوات ، كنت أوشك أن أصبح الشخص المفضل لدى الملك ، وهأنذا اليوم أصبح الشخص المفضل في نظر الشعب ، ولكنني لن أكون هذا ولاذاك ، فسوف تحين اللحظة التي يبرز فيها استقلالي ، وحينئذ فان اخلاصي لضميري سيثير اعجاب رجل الشارع ويفضب في الوقت نفسه ذلك الرجل الذي يقيم في قصر التويليري (١) »

أما سانت بوف الحذر ، فكان قد رحل قبل تلك الاحداث ليقتضى هذه الفترة القلقة في لياج بلجيكا ، وكانت آديل ترحل الى هناك سرا لتراه بين حين وآخر ، وكانت كلما لامته لانه اهملها واصبح يبدى نحوها كثيرا من التحفظ ، رد سانت بوف قائلا :

« ان صحتي قد أصبحت ضعيفة وجسمي أصبح عصبيا للغاية ، وكثيرا ما تخونني أعضائي » ..

وكان سانت بوف يؤكد لها انه أكثر حاجة الى الصداقة المتينة منها الى أية علاقات أخرى . وكتب اليها ذات يوم يقول : « حين اتحدث كثيرا عن شيخوختي ، فذلك معناه فقط أنني قد تخليت عن هذا النوع الاخير من العلاقات » وبعد ، ألا تثبت لنا هذه العبارة الغريبة ان آديل كانت خاسرة من الناحيتين ؟

وفي الميدان العاطفي ، كان هوجو في تلك الفترة من حياته موزعا بين ثلاث نساء : آديل فوشيه ، وجولييت دروييه ،

---

(١) يعنى لويس فيليب



وليونى دونيه ، وكن جميعا يعيشن على مقربة منه فى دائرة ضيقة  
على مرتفعات مونمارتر

وكان هوجو يجد نفسه مضطرا لأن يكرس لكل واحدة منهن  
جزءا من وقته ، فتراه يجرى من الواحدة الى الاخرى ، وكان  
يحدث فى بعض الاحيان أثناء سيره مع جوليت فى الطريق أن  
يقابل آديل أو ليونى اللتين كانتا قد تحالفتا معا ضد جوليت!  
وكانت حياة جوليت لاتزال على ماهى عليه من الضيق  
والوحدة مع فارق بسيط ، وهو أن هوجو قد أذن لها فى أن  
تخرج أحيانا بمفردها للنزهة سيرا على الاقدام . وكانت جوليت  
لاتزال تجهل الدور الذى كانت تقوم به ليونى فى حياة هوجو  
وفى التاسع والعشرين من ابريل عام ١٨٥١ ماتت مدام  
فورتونيه هاملان بالسكتة القلبية ، وكان ذلك بالنسبة لهوجو  
حادثا حزينا وكان يعدها صديقة مخلصه وكارثة بالنسبة  
لليونى دونيه ، التى كانت منذ أن صدر الحكم بالانفصال  
الجسدى بينها وبين زوجها قد وجدت فى هذه المرأة الذكية خير  
كاتمة لاسرارها ، فكانت تمضى معها أكثر وقتها اما فى البيت  
أو فى الاوبرا . وبموت هذه السيدة التى كانت الاعوام قد  
علمتها شيئا من الحكمة ، وجدت ليونى نفسها محرومة من  
نصائحها فأخذت تتأمل حالتها وتستعرض ماصنعت بها الايام  
وخرجت من تلك معتقدة أنها قد أفسدت حياتها من أجل هوجو ،  
ومن ثم فهى تستحق أن يخصصها بأكبر قسط من اهتمامه ، وأن  
من واجبه على الاقل أن يضحى من أجلها بجوليت دروييه . .  
ولكنها كانت كلما حاولت أن تنال من هوجو هذه التضحية ،  
اصطدمت بمقاومة صلبة من جانب هوجو وقوبلت برفض متزايد

• • ففى محاولتها الاولى فى عام ١٨٤٩ هددته بأن تفضى الى جولييت بكل شىء ، ولكنه رفض أن ينصت اليها • ثم عادت تحاول مرة أخرى أن تضيق عليه الخناق بأسئلة ماهرة كأن تقول له : « اذا لم يكن لى حقوق كعشيقة ، فما الذى يبقى لى فى هذا العالم ؟ » أو « أنك تمنحها حقوقى • • وإننى لافضل أن أموت متنازلة عن هذه الحقوق عن أن أقاسمها اياها ! »

وكانت ليونى تكتب اليه فى بعض الأحيان لتقول :  
« اننى أقبل أن تراها ، ولكن لاتتهمنى بالقسوة اذا ما لجأت معها الى اجراء حاسم يضع كلا منا فى مكانه الحقيقى • • » أو :  
منذ أربعة أعوام وأنا أقوم بدور غير مشرف ، فهى تعتقد أنها المرأة الوحيدة التى تحبها • • ليكون ذلك حسب مشيئتك ، وليحاسبك الله على ذلك • وسوف أعيش فى يأس ولكنى سأكون على الأقل بمنجاة من تأنيب الضمير ، وقد جمعت كل ما يخصك هنا وتستطيع أن ترسل أحدا ليأخذه • •  
لكن ليونى لم تهدأ حتى ضربت ضربتها بعد ذلك بعامين ، ففى صباح ٢٩ يونيو عام ١٨٥١ ، وصلت الى مسكن جولييت بحى روديه رزمة من الرسائل ملفوفة بشريط حريرى ، بخط فيكتور هوجو ومختومة بخاتمه

وما كادت جولييت تتصفح بعض هذه الرسائل حتى هوت على مقعدها فى يأس ، وقد أطبق على صدرها ألم مميت • • اذ كشفت لها هذه الرسائل عن سر رهيب : ان حبيبها يحب امرأة أخرى منذ عام ١٨٤٤ ، ويكتب لها رسائل عاطفية رائعة ، تماما كتلك التى كان يبعث بها اليها طيلة ثمانية عشر عاما : « أنت ملاكى وحياة قلبى • • اننى أقبل دموعك

وقدميك .. « ياللسناعة ! انها نفس الاستعارات التى كان الشاعر يكتبها من أجلها !

وأرقت ليونى بهذه الرسائل كلمة موجزة ، قالت فيها ان علاقتها بهوجو لازالت قائمة ، وانها تتمتع من جانب أسرته بنوع من الاحترام ، وأن من الخير لجولييت ان تقطع علاقتها بالشاعر ، وهى علاقة لم يعد يرغب فيها وان كان يبقى عليها - لا بدافع الحب والاشتهاء - ولكن بدافع من الاحتمال القائم على التضحية !

ونستطيع بالطبع أن نتصور مدى الألم الذى أحدثته هذه الكلمات فى نفس امرأة كرسست حياتها بأسرها لحب واحد ، لقد كان هذا الدليل القاطع على الخيانة الخفية التى استمرت سبع سنوات سببا فى أن تخرج جولييت من بيتها لتتهم على وجهها طيلة اليوم فى شوارع باريس ، وهى فى حالة تقرب من الجنون ، ثم عادت أخيرا الى مسكنها تحت أستار الليل وهى تأمل أن يأتى هوجو لتخبره بعزمها على السفر الى مدينة برست لتقيم بعيدا عن شقيقتها

ولم يحاول هوجو أن ينكر شيئا ، ولكنه توسل إليها كثيرا كي تسامحه ، بل لقد وصل به الامر الى حد أن عرض عليها التضحية بليونى . ومع ذلك ، فلم يفته أن يطرى جمال غريمتها وثافتها ، وان يشير الى أن زوجته وأولاده يعاملونها بروح العطف المنطوى على الود والاستلطاف مما أدى الى اقناع جولييت بخطورة الموقف

وكانت المسكينة على درجة من الاعتزاز والاعتداد بالنفس ، لاتستطيع معها أن تقبل حبا يساق إليها على أنه تضحية ، فأرسلت الى هوجو فى اليوم التالى هذه الرسالة : « باسم

أكثر الأشياء قداسة عندك ، وباسم ألى العظيم ، لا تبذل من  
نفسك كرما زائفا من أجل ، ولا تمزق قلبك لتبقى على سلامة  
قلبي .. وحتى أنك لو أقدمت على هذه التضحية فهي لن  
تخدعنى طويلا ، ولن أغفر لنفسي أنني سمحت لها أن تنخدع  
بتضحيتك على حساب سعادتك ..

« يا الهى ! إذا كان مجيئى الى هذه الدنيا جريمة ارتكبتها  
على الرغم منى ، فقد كفرت عنها بما فيه الكفاية .. فارحمنى  
يا الهى .. ارحمنى ووفر على نفسي مرارة اليوم الذى أرى فيه  
الرجل الذى أحبه أكثر من حياتى يتألم جراء خطأ وقع فيه ، فانى  
أفضل أن أراه سعيدا مع امرأة أخرى عن أن يكون معى بائسا ..  
وأتوسل اليك يا الهى أن تهينى له أن يختار بملء حرите وأن  
تهبه السعادة الحقيقية ، فسوف أباركها حينئذ وأخضع  
لقضائك دون شكوى أو أنين .. »

وبعد تفكير عميق حزين ، فاتحت جوليت حبيبها فى قطع  
العلاقة بينهما ولكنه أخذ يستدر عطفها ويشكو لها ما يقاسيه  
من ألم فى حلقه ، وقلق على أبنائه الذين تضطهدهم  
حكومة لويس نابليون ، فكتبت اليه جوليت تقول : « أقدم  
الشكر لهذه المرأة على أنها لم تلجأ الى الرحمة فى التدليل على  
خيانتك لى . ان حبك لها طيلة هذه الاعوام السبعة طعنة  
وجهتها هذه المرأة بكل جرأة الى قلبي .. حقا ان الطريقة  
التي لجأت اليها كانت وحشية وساخرة ، ولكنها مع ذلك  
طريقة شريفة . ان هذه المرأة جديرة حقا بأن تكون جلادى ،  
لان كل ضرباتها كانت صائبة .. »

وهكذا نرى أنفسنا أمام موقف نادر طريف : فهاتان امرأتان

تحبان رجلا واحدا وتكره كل منهما الاخرى ، ولكنهما تتبادلان التقدير بدافع من حبهما العميق !

وكان هوجو وجولييت عاشقين رومانتيكين ، ولما كان شاعرنا بارعا فى أن يصبح لطيفا مرحا وساحرا حينما يريد ، فقد وقعت جولييت فى حبائله من جديد ووافقته على فكرة عجيبة ، وهى أن يمر ثلاثتهم بفترة اختبار مدتها أربعة أشهر يقرر بعدها هوجو من تلك التى يقع عليها اختياره !

وقد ضمننت هذه الفترة لبطل المأساة شيئا من الراحة وخلو البال ، إذ كان فى وسعه أن يرى كلا من المرأتين على هواه فى حرية تامة . وكانت ليونى من ناحيتها تطالب بحقوقها كاملة غير منقوصة ، أما جولييت فكانت لاتريد أن تأخذ شيئا الا عن طريق الحب : « لست أعترف لنفسى بأى حق عليك ، وعندى أن الاعوام التسعة عشر التى أخذتها من حياتى لاتساوى ذرة اذا قيسست براحتك وسعادتك ومكانتك .. » وفى ٢٢ سبتمبر عام ١٨٥١ كتبت اليه جولييت تقول :

« لست أفهم حتى الآن السر الذى يدفعك الى التخلي عن امرأة تعتبرها شابة جميلة ممتازة لاتشك لحظة فى حبها لك ، وذلك من أجل امرأة مسكينة ضاع منها نصف محاسنها ! لو أنك فعلت ذلك - وأنت الرجل العادل الطيب القلب ذو الروح النبيلة - لقضيت على تلك الشابة التى لها عليك سبعة أعوام من الحقوق وفى يدها الحاضر والمستقبل ، كل هذا من أجل مخلوقة بائسة تبكى على ماضيها بدموع من دم ، لاحاضر لها ولا مستقبل .. »

ونسطيع أن ندرك من الخطاب السابق أن جولييت لابد

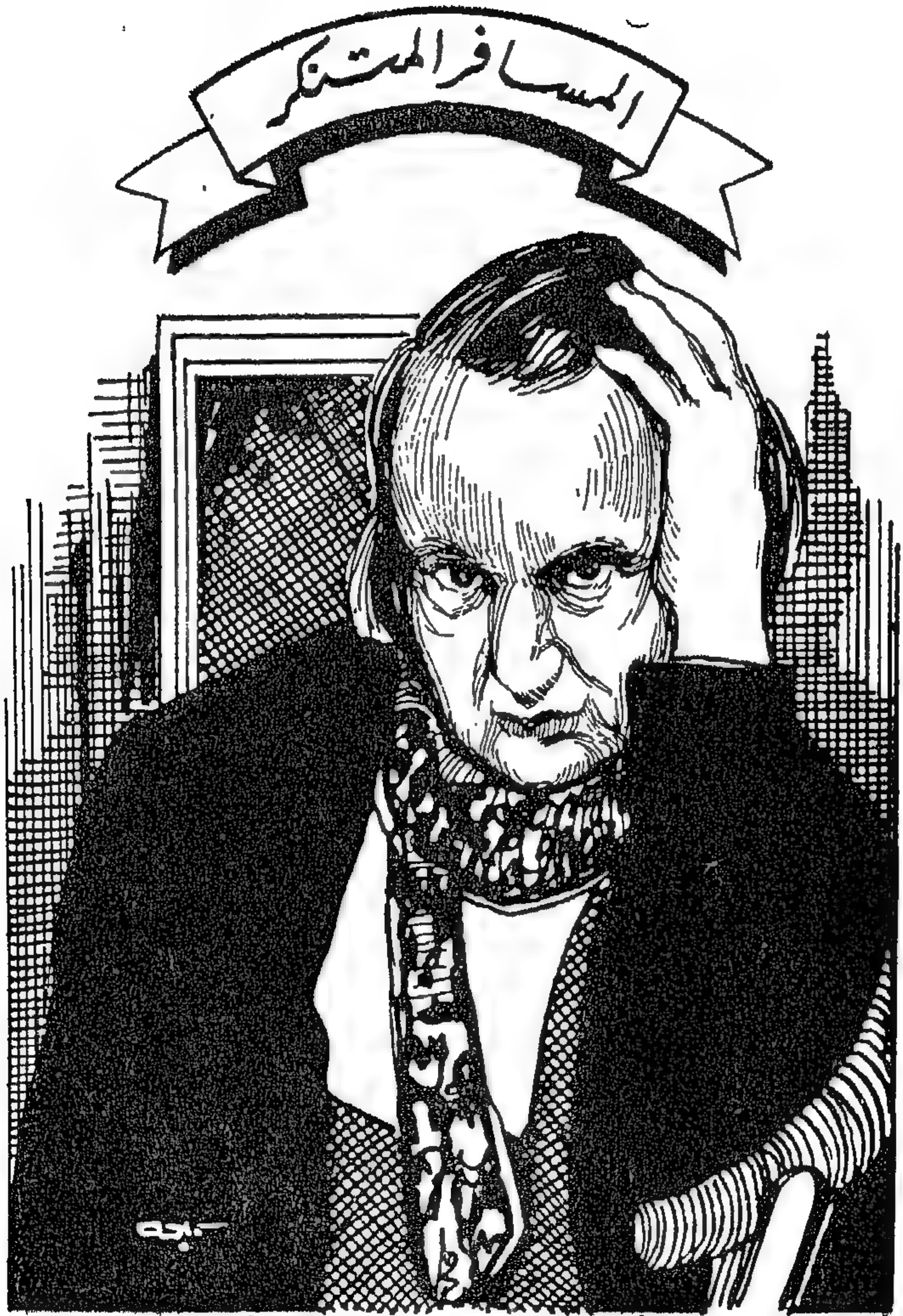


أنها كانت تحس بقوة فوقها لكي تتحدث بمثل هذه اللهجة .  
أما بالنسبة لهوجو ، فإن تلك الفترة كانت بمثابة عقاب له  
لا بأس به ، وكان برنامج اليومى يسير وقتئذ على النحو  
التالى :

فى الصباح : عمل فى بيت الأسرة بينما كانت جوليت  
فى مسكنها تعيد له كتابة مسودات رواية « البؤساء » ، ثم  
لا تلبث أن تلحق به عند مدخل كنيسة نوتردام دى لوريت .  
وبعد الظهر ، كانت ترافقه فى زيارته للاكاديمية أو للمجلس ،  
ثم العشاء مع آديل وأولاده ، أما السهرة فكانت من نصيب  
ليونى دونيه

والواقع أن هذا الاختبار العاطفى كان يتطور لصالح  
جوليت فحبها لهوجو كان له طابع دراماتيكى ، ففى الوقت  
الذى كان لدى جوليت الكثير لتقوله عن ديدن وكليز وغير  
ذلك عن الذكريات الحزينة ، لم يكن لدى ليونى شئ تتحدث  
عنه من هذا

وعلى أية حال ، فقد حدث قبل اليوم الذى كان مقررا أن  
يعطى فيه هوجو اجابته الحاسمة ، أن تكفل القدر بهذه الإجابة  
بطريقة عجيبة عجلت بحل هذا الاشكال ..



## المسافر المتكرر

فى ذلك الوقت ، كان فيكتور هوجو يمر بفترة عصيبة من حياته السياسية ، فمنذ فبراير عام ١٨٥١ كان قد حدد موقفه السياسى من لويس نابليون ومن حكومته ، وأصبح يقول فى البرلمان عبارات من هذا القبيل : « اننا لم ننتخب لويس نابليون لانه نابليون وانما انتخبنا الرجل الذى نضج بسبب السجن السياسى ، وكتب من أجل صالح الطبقات الفقيرة كتباً رائعة مشهورة : لقد أملنا فيه ولكن خدعنا فى آمالنا » . وكانت حكومة لويس نابليون تحقق مع المسئولين عن جريدة « الأحداث » التى كان يحررها ولداه شارل وفرانسوا فيكتور بالاشتراك مع أوجيست فاكرى (١) وصديقهم الصحفى بول موريس (٢) ، وقضت المحكمة بالسجن تسعة أشهر على كل من فرانسوا هوجو وبول موريس ، وستة أشهر على أوجيست فاكرى ، أما شارل فكان مسجوناً من قبل ، كما حكمت بإغلاق الجريدة ، ولكنها عادت الى الظهور من جديد تحت اسم « أحداث الشعب »

وفى ديسمبر من عام ١٨٥١ أصبح الانقلاب ضد لويس نابليون أمراً لا مفر منه ، وكان هوجو يعيش فى انتظار هذه اللحظة الحاسمة ، وكانت جوليت ترهف السمع للشائعات

---

(١) شقيق شارل فاكرى زوج ليوبولدين

(٢) Paul Maurice

انتظارا للحظة التي يحدث فيها الانقلاب ، فقد كانت خائفة على حبيبها الى أقصى حد ..

وفي الثاني من ديسمبر ، استيقظ هوجو في تمام الثامنة صباحا ، وبعد أن تناول افطاره أخذ يعمل في غرفته .. وفجأة ، دخل عليه خادمه ايزودور ، وقد بدت على وجهه علامات الذعر ، وقال :

— سيدى ! إن نائبا من نواب الشعب يطلب مقابلتك ..  
— من هو ؟

— انه يدعى السيد فرسينى ...  
فقال هوجو في صوت حاسم النبرات :  
— فليتفضل ..

وكان السيد فرسينى رجلا شجاعا وناصحا مخلصا ، وما ان دخل على هوجو حتى ابتدره هذا بقوله :

— ماذا حدث ؟  
فأجابه فرسينى قائلا :  
— أن قصر البوربون حوصر ليلة أمس وقبضت الحكومة على بعض نواب الشعب

فقاطعه هوجو قائلا :  
— هل هذا كل شيء ؟  
— كلا .. فالاعلانات التي لصقت على الجدران تعلن الانقلاب ..

— وماذا يقول الشعب ؟  
— انهم يقرأون الاعلانات ويهزون اكتافهم ، ثم يمضون الى أعمالهم ..

فقال هوجو في لهفة :  
— وماذا عن نواب الشعب ؟

— ان الذين صمموا على المقاومة منهم قرروا أن يجتمعوا  
عند البارونه كوينس فى بيتها : رقم ٧٠ بشارع بلانش  
فصاح هوجو قائلاً فى حماس :

— اننا سنقاتل !

وارتدى هوجو ملابساه ، ثم أسرع الى غرفة زوجته وأفهمها  
الموقف باختصار ، فسألته قائلة :

وماذا قررت أن تفعل ؟

— سأقوم بواجبى ..

فقالت له آديل ، وهى تقبله :

— حسنا ! فلتقم بواجبك ..

والواقع أن آديل ، التى كان اثنان من أبنائها فى السجن ،  
لم تكن تنقصها الشجاعة فى تلك اللحظة ، على الرغم من أنها  
كانت تعلم تماما أن الانقلابات نادرة ما تحترم النساء ..

وأسرع هوجو الى المنزل رقم ٧٠ بشارع بلانش ، فوجد  
هناك بعض نواب الشعب .. ولم يمض وقت طويل حتى  
كانت غرفة الاستقبال تفص بالمجتمعين . وتكلم هوجو أولاً ،  
وكان من رأيه أن تبدأ المقاومة الفعلية على الفور ، ولكن  
بعض النواب لم يكونوا من هذا الرأى ، وكانوا يرون أن من  
الأفضل أن يترك للشعب الوقت الكافى لى يفهم

ولما كان هوجو كعادته دائماً لا يصدق الا ما يراه بعينه ،  
فقد أسرع بالخروج الى الشوارع الرئيسية ، وعند بوابة سان  
مارتان شاهد حشدا ضخما من الناس وعرفه أحد الثوار ،  
ولما سأل عما يجب عمله أجابه هوجو بقوله :

— مزق هذه الاعلانات التى تعلن الانقلاب ، واهتف: فليحيا

الدستور !



— واذا أطلقوا علينا النار ؟

فقال هوجو في غضب :

— في هذه الحالة يمكنكم أن تستعملوا أسلحتكم ..

وفي تلك اللحظة ، دوت في أرجاء الميدان صيحة هائلة :  
« يحيا الدستور ! » وعاد هوجو بعد ذلك الى زملائه بشارع  
بلانش ، وأحاطهم علما بما حدث ، واقترح عليهم كتابة بيان  
موجه الى الشعب ، ثم ألقى بنفسه البيان التالى :

« الى الشعب : ان لويس نابليون بونابرت رجل خائن ..  
لقد حنث بقسمه وخرق الدستور .. انه خارج على القانون .  
ليقم الشعب بواجبه .. ان ممثلى الشعب يسرون في  
المقدمة »

وانفض الاجتماع ، ونزل هوجو الى الشارع ، فلاحق به  
صديقة النائب برودون ، وقال له : « اننى أحذرك كصديق  
.. أنك تخدع نفسك ، فالشعب ان يتحرك . » ولكن هوجو  
أصر على رأيه ، وكان يريد أن تبدأ المعركة فى اليوم التالى ..  
كان الليل قد انتصف ، فقضى هوجو الليلة عند أحد  
أصدقائه . وفى الفجر أسرع الى بيته ، وما ان رآه خادمه  
ايزودور حتى صاح قائلاً فى انفعال : « سيدى ! لقد حضروا  
الليلة ليقبضوا عليك .. »

وفى اليوم التالى ، وهو يوم المتاريس ، كان هوجو واقفاً فى  
ميدان الباستيل يخطب فى حماس وسط جماعة من ضباط  
وجنود البوليس

وكان يوم ٤ ديسمبر هو اليوم الفاصل ، فقد وقعت مذبحه  
فى باريس ، وأخمدت الثورة فى غير رحمة ..

\*\*\*

كانت جوليت تتبع حبيبها كظله ، وسط كل هذه الاحداث

الدامية ، ولما رآته يقامر برأسه على هذا النحو صاحت فيه  
قائلة : « انهم سيقتلونك رميا بالرصاص ! »

لقد كانت هذه المرأة الجميلة ذات الشعر الذى وخطه  
الشيب على استعداد لان تلقى بنفسها عند الحاجة لتحول  
بينه وبين الرصاص . لقد كانت هى الاخرى تقامر بنفسها  
وسط هذه المذبحة القاسية ، وكان هوجو يعرف ذلك ويقدره :  
« لقد ضحت مدام دروويه بكل شىء من أجلى ، وأنا مدين لها  
بحياتى فى معارك ديسمبر ١٨٥١ .. ان اخلاصها وشجاعتها  
يستحقان حقا كل اعجاب .. »

وبعد ذلك بثمانية أعوام ، كتب هوجو بخطه على هوامش  
مسودات ديوانه « أسطورة القرون » التى سسيهدىها الى  
جولييت الكلمة التالية :

« اذا كنت لم يقبض على او نجسوت من الموت رميا  
بالرصاص ، واذا كنت حيا أرزق حتى هذه الساعة ، فأنا مدين  
بذلك لمدام جولييت دروويه التى عرضت حريتها وحياتها  
للخطر لتحمينى .. »

« لقد كانت دائما توفرنى المخبأ الامين ، وكان انقاذها  
ايامى يتم بتفان عظيم ، وبطولة لا مثيل لها ، وأن الله الذى  
يعلم ذلك سوف يكافئها عليه ، لقد كانت تقف على قدميها  
طول النهار ، وتهيم على وجهها فى أزقة باريس المظلمة طيلة  
الليل ، لتخدع الحراس ، وتضلل الجواسيس ، وتمرق فى  
شجاعة فائقة خلال الشوارع الرئيسية وسط دوى الرصاص .  
وحين كان الامر يتعلق بانقاذ حياتى ، كانت لا تكف عن البحث  
حتى تعثر على مكانى بحدس عجيب .. انها لا تريد أن نتحدث

أبدا عن هذه الأمور ، ولكننى أقول ذلك كى يكون معروفا  
للجميع .. »

وكان على هوجو أن يختبئ بعد هذا الفشل الذى منيت  
به الثورة ، فاستطاعت جوليت فى السادس من ديسمبر أن  
تجدله ملجأ أميناً عند أسرة من معارفها تدعى أسرة مونتفرييه  
رغم أنها كانت أسرة يمينية متطرفة ! وكانت جوليت تذهب  
إليه تحت جناح الظلام لتزوده بالطعام والأخبار  
ومكث هوجو عند أسرة مونتفرييه خمسة أيام كان عليه  
بعدها أن يغادر البلاد ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك ؟

ومرة أخرى استطاعت جوليت أن تحصل لهوجو على جواز  
سفر باسم فيرمان لانفان ، وهو صديق مخلص لجوليت  
قبل أن يستخرج هذا الجواز من حكمة إدارة البوليس بحجة  
أعمال له فى بلجيكا تتعلق بمطبعة لوتيرو

وهكذا استطاع فيكتور أن يغادر باريس من محطة الشمال  
فى الحادى عشر من ديسمبر قاصدا بروكسل تحت اسم «لانفان  
جاك فيرمان » جامع الحروف المقيم فى باريس بشارع دى  
جونور رقم ٤ ! وكان المسافر يرتدى قبعة مستديرة والحرملة  
السوداء التى يرتديها العمال ! ومن العجيب أنه استطاع  
أن ينجو ، فهل كان ذلك لأنه أجاد التنكر أم أنهم عرفوا حقيقته  
ولكنهم أغضوا النظر عنه ؟

لا أحد يستطيع أن يقطع برأى فى ذلك !

## تصفية الماضى

فى صبيحة ١٢ ديسمبر ١٨٥١ ، نزل من القطار فى محطة بروكسل العامل « فرمان لانفان » (١) فاستقبلته على الرصيف مدام لوتير و زوجة الصحفي الفرنسى المشهور وصديقة جوليت دروييه ، وكانت هذه قد أخطرتها سلفا بموعد وصول حبيبها الشاعر ، ورافقته الى مساكن مفروشة متواضعة ، فذهبت معه أولا الى فندق لمبورج ، ثم الى فندق الباب الاخضر فاستقر بهذا الاخير . . وهكذا بدأت فترة المنفى

وفى الرابع عشر من ديسمبر ، كتب هوجو الى اديل يقول :  
« اننى هنا أعيش عيشة الرهبان ، فعندى سرير فى حجم اليد ، ومقعدان من القش فى غرفة بلا مدفأة . . . ويبلغ مجموع نفقاتى فى اليوم ثلاثة فرنكات وربع الفرنك ويتضمن ذلك كل شئ . . . »

ووصلت جوليت قادمة من باريس فى نفس اليوم ، حاملة معها كل مخطوطات عشيقها المنفى ، وكان فى انتظارها على المحطة الى جوار حظيرة الجمرك . وكانت جوليت تعرف حينئذ انها محاطة بهالة من الود والتقدير نظرا لاخلاصها

---

(١) الاسم المستعار الذى سافر به هوجو

المشبع بالبطولة والتضحية . وها هي ذى قد تخلصت من مضايقات الاسرة المعادية لها ، فاعتقدت أخيرا أنها اكتسبت ما تستحق عليه أن يرد اليها اعتبارها فكتبت اليه غداة وصولها تقول : « اذن فصحيح أنني امرأة سعيدة حقا ومباركة ، وأن لى الحق فى أن أعيش فى ضوء الشمس ، شمس الحب والاخلاص . . »

ولكن . . كلا ! لم يكن ذلك صحيحا لسوء حظ جولييت ، اذ كان هناك « بروتوكول » للمنفى ، ولم يكن فيكتور هوجو يستطيع أن يقيم مع عشيقته له ، وهكذا اضطرت الى أن تذهب لتعيش وحدها فى بيت الصحفى لوتيرو وأسرته بشارع الامير وعنى خاضعة مستسلمة ومجروحة الشعور . وماكادت تستقر هناك حتى كتبت الى هوجو رسالة تقسم له فيها أنها سوف تحتفظ بالعلاقة التى بينهما فى الحدود التى يفرضها عليها مهما كانت ضيقة محدودة ، وتقول له أيضا : « لا تضح بشيء من أجلى ان كان ذلك يترك فى نفسك أى ندم أو أسف ، فحياتى ومماتى وكل شيء هو ملك لك أنت . . لأننى أعبدك يا حبيبى الوحيد ألا أترك نفسى أبدا بعد ذلك أتردى فى هذه الشكاوى المرة . . اننى أريد أن أكون لك صديقة حنونا تثق بها ، ومخلصة بملء شجاعة الرجل وكل رعاية الام ، وبلا أدنى بحث عن مصلحة أو نفع . . » ترى هل هناك بين الزوجات من تصل تضحياتها لزوجها الى هذا الحد ؟!

وكان على جولييت فى الايام الاولى ، أن تكتب ما كان يملئها عليها الشاعر العظيم الذى بدا وقتئذ كأن غضبا مقدسا كان يدفعه ويشير ثأثرته ، فيحاول أن يعبر عنه وهو مصمم على



أن يصبح رجل الواجب والضمير الفاضل من أجل الشعب،  
الذي يرى لزما عليه أن يكتب قصة حقيقية لتلك الأيام  
المؤلمة ، فبدأ يؤلف كتابه « قصة جريمة » منذ اليوم التالي  
لوصوله الى بلجيكا مباشرة . وكان المنفيون يتوافدون تباعا  
على مدينة بروكسل يحملون معهم آخر الأنباء ، وكانت زوجته  
اديل ترسل اليه الوثائق والكتيبات من باريس ، وكان يتصل  
بها تحت أسماء مستعارة وعلى عناوين أخرى غير عنوانها  
الحقيقي ، كما أن الكسندر دوماس الذي كان كثير التنقل  
والسفر بين باريس وبروكسل قد أحضر الى صديقة الشاعر  
عددا من الخطابات

وكان هوجو وقتئذ لا يزال يوصي زوجته وأولاده بالاعتقاد  
معتقدا أنه مفلس ، إذ لم يكن يخافه شك في أن « السيد  
بوناييرت » (١) لابد أن يكون قد أدرج اسمه في القائمة الرسمية  
للمنفين ، وإن أملاكه يمكن أن تصادر ويحجز على أثاث بيته  
بباريس في أية لحظة . . لكن الأيام ما لبثت أن كذبت ما كان  
يتوقعه ، فقد ترك هوجو وشأنه وقبضت اديل مستحقات  
زوجها من جمعية المؤلفين ومرتبته في المعهد دون أن تلاقى  
صعوبة ما ، فقد كانت حكومة فرنسا في ذلك الوقت لا تريد  
أن تشير على نفسها سخرية الناس باضطهادها لشاعر عظيم ،  
بل أن مدام هوجو قد لاقت كل التسهيلات الممكنة لتنقل  
الى زوجها سندات حكومية كان يملكها قيمتها ثلاثمائة ألف  
من الفرنكات كان قد حولها بسرعة ، في لباقة رب الأسرة

---

(١) الملك لويس نابليون ، وهكذا كان هوجو يشير اليه على الدوام

الحذر وحرص الرأسمالى الذكى ، الى أسهم فى البنك  
البلجيكى

.. ومع ذلك فلم يمنع هذا كله هوجو من متابعة الكتابة ،  
وأرسل الى زوجته يقول : اننا فقراء ، ويجب علينا أن نمر  
بكرامة فى طريق ضيق قد ينتهى بسرعة ولكنه أيضا قد يدوم  
طويلا .. اننى لا أجد سوى أحذيتى وملابسى القديمة ،  
وهذا أمر بسيط . وأنت تحتملين الحرمان بل الالام ، وذلك  
أقل بساطة بالنسبة اليك بما أنك زوجة وأم ، ولكنك تفعلين  
ذلك بسعادة وعظمة .. »

وابتسم الناس حينذاك لهذا البؤس الذى كان يرقد على  
كومة من الذهب ، كما ابتسموا من « فقر » صاحب الاسهم  
وغرفته المارية الباردة ، ومن الفرنكات الخمسة والعشرين  
التي كان يمنحها لابنه فرانسوا فيكتور (١) فى الشهر كمصروف  
جيب .. فمن قائل ان الشاعر العظيم كان يحزن الى حياة  
الفقر والحرمان ، فكان يطيب له أن يحرم نفسه من حياة  
الترف والرفاهية التى لم يألّفها أيام شبابه ولم يقبلها قلبه  
بعد ذلك أبدا .. ومن قائل انه كان يريد أن يعيش على دخله  
فقط حرصا منه على أن يترك رأس المال سليما لا يمس ،  
وذلك كى يضمن بعد وفاته حياة طيبة لزوجته وأولاده ،  
وكان من رأيه أنهم لا يستطيعون كسب حياتهم ..

وايس هناك شك فى أن هوجو كان لديه ميل غريزى الى  
الاقتصاد ، وحرص على أن يحتفظ على الدوام بفائض كبير

---

(١) فرانسوا فيكتور ، وليوبولدين « ديدلين » الابنة الكبرى ، و« ديديه »  
الابنة الصغرى . أما شارل فقد لحق بوالده فى بروكسل

فى ميزانيتها . . وعندى أن نزواته العاطفية وحرصه على الاحتفاظ بعلاقات غرامية مع نساء كثيرات كان لا يستطيع أن يقاوم سحر جمالهن ، كانت تغذى هذا الميل الراسب فى أعماق نفسه منذ شبابه الاول

ففى الوقت الذى كانت فيه اديل تتلقى منه وعظا دائما بالاقتصاد فى النفقات ، كان عليها أن تستمر فى معونتها لليونى دونيه ، اذ كتب اليها زوجها من بروكسل يقول : « افعلى كل ما فى وسعك من اجل مدام دونيه . . اننى تأثرت كثيرا من الكلمات البرقيقة الطيبة حقاً التى تقولينها لى فى هذا الشأن » . وكذلك كان هوجو من ناحية أخرى يرأسل مباشرة مدام بريا التى كانت هى الاخرى تطالب بالمعونة . وهكذا كانت هذه الشقراء « ذات العيون الناعسة » تفلت من جمال الوعظ بالاقتصاد ، فكانت تتسلم وحدها من المال من عشيقها المنفى اكثر مما كان يتسلمه اولاده الثلاثة المقيمون مع امهم فى باريس !

والواقع أن اديل كانت تسلك وقتئذ وهى فى باريس سلوكا جديرا بموقفها كزوجة رجل فى المنفى ، وكانت تفخر بدور زوجها السياسى اكثر مما كانت تفخر بمجده الادبى . وكان ثمة بعض اصدقاء مخلصين يزورونها فى بيتها ويستفسرون عنها وعنه ، ويشنون على شجاعته التى قاد بها الانقلاب ضد الملكية فى الشوارع . وقد كتبت اديل الى فيكتور هوجو تقول :

« ان الجمهوريين مدهوشون . . انهم كانوا يقولون : ان هوجو قد سجل تقدما بغير شك ، وهو خطيب عظيم ، ولكن . . ترى اىكون رجل عمل اذا آن الاوان ؟ . وهناك بعض نقط

كانوا يشكون فيك بشأنها . والان قد أفحمتهم تماما وانت تحت الاختبار ، فانهم يأسفون لانهم شكوا فيك . . . »  
وكذلك كانت اديل تجد العزاء في الموقف النبيل ، اذ كتبت تقول : « اننى أشعر بحياتى تصبح مظلمة وبأن قلبى يقاسى بعض الشئ بسبب نفيك ، ومن جراء سجن أنسائى وأصدقائى ، ولكنى أشعر بالرضا والاعتزاز بك وبهم . . . »  
هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد كان وجودها حينئذ فى باريس يمكنها من أن ترشد زوجها وتحيطه علما بتطور الحوادث ومجريات الامور ، فتسجل هكذا لفترة من الوقت تفوقا لذيذا طالما تآقت نفسها اليه على هذا الزوج العملاق ذى النفس المسيطرة

والواقع أن المعلومات التى كانت ترسلها اليه كثيرا ما كانت تفتقر الى الدقة أو خاطئة تماما . . فتارة كانت تقول له ان العهد سيكون قصير الامل ، وأخرى أن لويس نابليون كان يتأهب لغزو بلجيكا والقبض على المنفيين ، كما كانت تقول له : « لن يرتفع صوت واحد فى فرنسا ، ولن يأتى أحد لمعاونتك . . . »

كانت اديل تنصح زوجها اذن بأن يلجأ الى لندن ، ولكنه كان يعارض فى ذلك بحجة جهله باللغة بالانجليزية ، ويقترح عليها أن ينتقل الى الجزر الانجليزية النورماندية فى بحر المانش حيث يتكلم السكان على الاقل اللغة الفرنسية . .  
ولسنا بحاجة أن نقرر أن اديل كانت ثائرة ، فقد كانت على علم بوجود جوليت الى جوار زوجها فى بروكسل ، ولكنها كانت تعرف كذلك أنه كان صلبا لا يلين فى هذا الموضوع بالذات ، فكتب اليها يقول : « ان ما قاله ايل لموريس غير

منطقي . والمرأة التي يتحدث عنها موجودة هنا حقا ، ولكنها  
أنقذت حياتي وسوف تعرفين ذلك كله فيما بعده ، أو لولاها  
لقبض على ولضعت في أكثر الايام ظلاما . . انها تخلص لي  
منذ عشرين عاما اخلاصا تاما ومطلقا لم يكذب أبدا . وفوق  
هذا ، فهي تضحي بكل شيء وتخضع خضوعا عميقا لكل شيء  
.. ولولاها لكنت في هذه الساعة في عداد الموتى أو منفيًا في  
مكان بعيد ، واني أقول لك هذا كما أقوله أمام الله »

وبعد هذا الخطاب ، كفت اديل المسكينة عن لوم زوجها  
بشأن موقفه من جوليت ، وفوق هذا فانها كانت ترى من  
واجبها - وقد عينت كاتمة للسِر - أن تخفي كثيرا من  
الاشياء والاوراق التي كان لا ينبغي اظهارها ، منها خطابات  
خاصة بزوجها كانت في درج « الكمودينو » بفرفته الخاصة،  
وكان عددها من الكثرة بحيث لقيت اديل مقاومة كبيرة لما  
فتحتة !

ولم تبال اديل بكل تلك البراهين الدالة على عدم الاخلاص  
وعلى الخيانة الزوجية ، بقدر ما أسفت لان هذا الدرج لم  
يكن مغلقا بالمفتاح . . . وكتبت الى زوجها تقول له في تسامح:  
« أرى من واجبي أن احذرك ، اذ ربما استطاع الخدم أن  
يعثروا على هذه الخطابات وأن يقرأوها لمن يريدون ، وامل  
مع ذلك ألا يكون هذا قد حدث لان الدرج لم يكن ظاهرا  
تماما »

وكان أولادها لا يزالون بالنسبة اليها مجالا يثير القلق ،  
فأديل « ديديه » ، التي كانت قد بلغت وقتئذ الثانية  
والعشرين ، وهي سن كان ينبغي فيها أن تتزوج ، قد لجأت  
الى الموسيقى وانطوت على نفسها لتفرق آمالها في عالم من



الاحلام المؤلمة . وفي هذا كتب فيكتور هوجو الى زوجته يقول : « قولى لابنتى الصغيرة اديل اننى لا اريد أن يشحب لونها ، ولا أن يصيبها الهزال . . فلتهدأ ، فان المستقبل لذوى الصحة الجيدة . . » وكانت ديديه فى ذلك الوقت تكتب مذكراتها الخاصة ، ولو أن أبائها قدر له أن يطلع على هذه المذكرات لقرأ فيها ما يلى : « أن مسيو سانت بوف قد عاد الى التردد على بيتنا ، وهو يتحدث فيطيل الحديث ، وسوف يبعث الينا بمقالة مسيو دى سالفاندى عن جرزيه » أما ابنها شارل البدين ، فكان قد لحق بوالده فى بروكسل حيث أقاما معا فى غرفتين بالمنزل رقم ٢٧ بالميدان الكبير ، تطلان على منظر رائع من المنازل المذهبة ذات الزخارف . وهناك ، عكف هوجو على العمل بذلك المزيج من النشاط والمتعة الذى تمدنا به العواطف القوية . وفى شهر مايو ، ترك فكرة انهاء كتابه « تاريخ يوم ٢ ديسمبر » اذ كان ينقصه الكثير من المعلومات ، وقرر أن ينشر على وجه الاستعجال كتاب هجاء صغير بعنوان : « نابليون الصغير » (١) كتبه بسرعة كبيرة فجاء ارتجالا ثائرا واتهاما على الطريقة اللاتينية القديمة ، يجمع بين عنف أسلوب « شيشرون » وقوة « اتاكيوس » وشاعرية « جوفينال » ، وتتراوح لهجته بين زجير الكتب المقدسة وفكاهة « سويفت » المرعبة

\*\*\*

وأصبح من الواضح بعد نشر كتاب « نابليون الصغير » فى بلجيكا أن هناك خطرا على أسرة هوجو وممتلكاته التى تركها

(١) Napoléon Le petit

في فرنسا ، خاصة أن حكومتها كانت تعلن وقتئذ عن إصدار قانون بشأن جرائم الصحافة والنشر التي يرتكبها الفرنسيون في الخارج يتضمن عقوبة الغرامة والمصادرة ، كما كان هناك من ناحية أخرى قانون في بلجيكا يحرم مهاجمة رئيس دولة صديقة . ولهذا ، استقر رأي هوجو على استدعاء كل أفراد أسرته للإقامة معه ، أما في بروكسل إذا قبل البلجيكيون إيواؤه بعد أن نشر هذا الكتاب العنيف ، وأما في جزيرة جرزي (١) في بحر المانش ، مفكرا أولا في أن ينقل إليها اثاث منزله الموجود في باريس ، إذ كان شديد التعلق بالتحف والنقائس التي كان قد انتقاها بشغف وعناية من عند تجار التحف والعاديات ، ولكن أدرك رأت أن هذه الفكرة غير معقولة ، وكتبت تقول له في هذا الشأن : « ولماذا نقيم في الخارج بصفة دائمة ؟ ان علينا أن نستطيع أن نرفع قدمنا من ساعة إلى أخرى ، فها هي ذي الاحداث تضطربنا إلى الفرار من مأوانا مرتين ، ويحتمل كثيرا أن تطردنا مرة ثالثة . ولو أننا نقلنا اثاث بيتنا إلى جزيرة جرزي ، لتكبدنا في تغليفه نفقات باهظة . . ولعلك تذكر أنه كان لدينا ما يحمل ثمانية عشر عربة لنقل متاعنا ، وأنه قد تضاعف منذ ذلك الحين . » ونصحت أدرك زوجها بالتنازل عن عقد إيجار بيتها بشارع دي لاتور دو فرني في باريس ، وبيع الاثاث بالمزاد العلني بما في ذلك « الاثاث القوطي البديع » والاطقم والتحف والمكتبة وما تحتويه من كتب ومن بينها كتب «رونسار» وحتى ذكرى سانت بوف لم تنج هي الاخرى من هذه الرغبة العارمة في

---

Jersey (١)

تصفية الماضي بحلوه ومره !

وهكذا كلفت اديل بوصفها ربة العائلة مؤقتا باعداد الترتيبات المتعلقة ببيع الاثاث ونشر الاعلانات اللازمة في الصحف ثم جمع كل النقد السائل . وكان عليها بعد ذلك ان تضع نفسها مع اولادها في مكان أمين ، قبل ان يلقي زوجها المتأمر قنبلته فينشر في بلجيكا كتابه « نابليون الصغير » الذي ارتجله في مدى شهر واحد ، وهي لحظة كان ينتظرها ، في صبر نافذ وشغف عظيم .

وتم كل شيء كما أراد هوجو . . وعلى الرغم من ان بيع المتاع بالمزاد العلني ، كان يمكن ان يكون بالنسبة لهوجو مصدر ألم عميق ، فقد جعلت منه السعادة التي كانت تثيرها التضحية العلنية في نفسه شيئا مقدسا ، بينما كانت اديل تشتق لذة كبرى من خلال الشعور بالانتقام ، وقد استطاعت أخيرا ان تتهم عليه بعض الشيء ، وأن تبتسم منتصرة وهي تبرهن له على أن التمسك بالاقتصاد التام أمر له مساوئه والواقع أن اديل طالما نظرت في ازدراء الى كل تلك التحف « والاشياء القديمة » التي كان هوجو يحرص على شرائها من شارع دي لاب وهو في رفقة جوليت . ومع ذلك ، فقد بلغت حصيلة البيع خمسة عشر ألفا من الفرنكات (١) ، اذ تهافت الهواة والاصدقاء يوم البيع (٢) بأى ثمن على اقتناء الاشياء التي كانت تزين مكتب الشاعر العظيم وفي مساء اليوم نفسه ، توجه الكاتب الصحفي جول جانان

---

(١) أى ما يعادل نحو ثلاثة ملايين من الفرنكات بحسب النقد الفرنسى

عام ١٩٥٣ قبل خفض قيمة الفرنك

(٢) كان ذلك في يوم الاربعاء التاسع من يونيو عام ١٨٥٢

تحت سماء مقمرة صافية الى بيت فيكتور هوجو بشوارع  
دي لا تور دو فرني ، وكتب اليه في اليوم التالي يقول : « كان  
قد خيم حول بيتك صمت كبير ! وكانت نجمة هي نجمتك  
تبعث ضوءها العميق على الحديقة الصغيرة التي كنت تنزل  
اليها اثناء الليل .. وكان بالنافذة المفتوحة ظل شبح ابيض  
أو صورة ملتفة ساكنة كانت تتأمل في صمت وهدوء المدينة  
التي كان يجب ان تغادرها في اليوم التالي ! وأعتقد تماما أنها  
كانت هي ابنتك التي تحلم هكذا . وفي النافذة المفلقة ، كانت  
هناك زوجتك تتبادل الحديث مع ابنك بصوت خفيض ، وكان  
حديثهما هادئا وحزينا . كان حديثا لا يمكن سماعه ، ولكن  
كان من السهل فهمه . لقد كانا يودعان هذا العش اللطيف  
الذي كان يضم مجد الاب .. آه ! من ذا الذي كان يستطيع  
ان يقول لنا أيام المعارك الادبية العظيمة حين كنا نحيا مدام  
هوجو كأنها ملكة .. من ذا الذي كان يستطيع ان يقول لنا  
اننا سنفقدنا وأنها سترحل الى المنفى ؟ »

ذلك أن القرار كان قد اتخذ ، وأرسل هوجو في اليوم  
الخامس والعشرين من يوليو يتعجل زوجته أن ترحل مباشرة  
الى بلدة سانت هيليه في جزيرة جيرزي ، ورحل هو نفسه الى  
هناك في يوم أول أغسطس ومعه ابنه شارل .. اذ لم يشأ أن  
يحمل حكومة بلجيكا عبء كتابه « نابليون الصغير » ، فسبق  
برحيله قانون « فايدر » الذي كان سيترد بمقتضاه من الاراضي  
البلجيكية

ولم تكن جوليت ترى حبيبها في بروكسل أكثر مما كانت  
تراه في باريس ، فكانت تعيش على مقربة منه قناعة بأن  
ترسل اليه خادماتها سوزان حاملة أطباقا لذينة الى مسكنه

بالميدان الكبير . لقد كانت تعبد ذكريات الايام الجميلة ، ولكنها أصبحت تسائل نفسها الآن قائلة : « ماجدوى المحافظة على تقاليد الحب الاول مادام لم يعد ثمة حب اول ؟ يا للأسف ! اذ لم يعد هناك سوى الواجبات والشفقة واحترام الانسان ؟ . . أليس من الأفضل اذن أن أترك كل تلك الامور العاطفية الصبيانية التى لم تعد تلائم أبداً شعري الابيض ؟ ان هناك انواعا من مساحيق الزينة تصبح غير ملائمة بعد سن معينة . . . »

وها هى ذى تصبح فى سن السادسة والاربعين قبل الاوان، اذ أخذ جسمها يسمن ويثقل وأصبحت تشعر بأنه فى تقهقر مستمر ، فكانت تبذل جهدا مؤثرا فى سبيل التنازل عن نداء العاطفة ومقاومة مطالب البدن . وكان هوجو من ناحية أخرى يضحى بها فى قسوة لكى يظهر بالمظهر الذى يليق بعظيم فى المنفى فكان يمنعها من ان تذهب لتزوره فى مسكنه فى الوقت الذى كان يستقبل فيه أفواجا من الفضوليين والذين لاعمل لهم ، ومن غير هؤلاء وهؤلاء ممن لايعنيهم أمره ، فكتبت اليه تقول : « انك تلاحظ حتى مافى انكارك لشخصى من القسوة والظلم ، فأنت تعنى بكرامتك أكثر مما ينبغى على حساب قلبى المسكين ! »

والواقع أن عشيقها كان وهو فى بروكسل « يضاعف من طهارته » ، وكان يزداد على الايام امعانا فى هذا الاعتدال الذى كان قد درج عليه معها سنوات . . ولكن ، ترى هل كان يلزم نفس هذا الاعتدال أيضا مع النساء اللاتى يصغرنها فى السن ؟

لقد كان لدى جوليت من الاسباب ما يدفعها الى الشك



فى ذلك ، فأرسلت اليه خطابا تقول فيه : « لتكن لديك  
الشجاعة مرة واحدة فتعلن خيانتك الجسمية والمعنوية .. اننى  
أذكر الوقت الذى كنت لاتحب فيه سوى ، كما أذكر أيضا  
ذلك اليوم الذى اتخذت فيه من صحتك عذرا لانفصال جسدى  
.. لقد كنت تعبد امرأة أخرى .. » وأثناء فترات الانتظار  
الطويلة ، كانت العشيقة الخادمة تنسخ قصة يوم ٢ ديسمبر،  
وترتق جوارب « رجلها الصغير » ، وتنظر طويلا الى السحب  
وهى تمر فى السماء !

ومهما يكن من أمر ، فقد جنبها على الاقل مرارة الاذلال بأن  
أعفاها من رؤية صديقه ليونى دونيه التى أرادت أن تلحق به  
فى بروكسل فى يناير عام ١٨٥٢ ، اذ كتب الى زوجته وحليفته  
يقول : « انها تنوى السفر يوم ٢٤ يناير ! فاذهبى للقائها على  
الفور واحملها على أن تلزم جانب التعقل ، فأى اجراء طائش  
فى الوقت الحاضر قد يؤدى الى أوخم العواقب .. ان كل  
العيون اليوم مثبتة على ، وأنا أعيش أمام الجمهور عيشة تقشف  
قوامها العمل والحرمان . ومن هنا كان الاحترام العام الذى  
أقابل به حتى فى الشوارع .. ولا ينبغي أن يتزعزع أى شئ  
فى هذا الموقف . فقولى لها هذا كله ، وعاملها فى حنان ..  
لاتريها هذا بل أحرقه فى الحال ، وقولى لها اننى ساكتب  
اليها على العنوان الذى أعطته لى .. احترسى من الاعمال  
الطائشة .. »

وتكفلت أديل بهذا كله وبكثير غيره .. وتكفلت بكل شئ  
وقد أخذ فخرها يزداد بدورها هذا الذى تضخم فجأة وردت  
على زوجها لتقول له : « كن مطمئنا تماما فانى ذاهبة الى مدام  
دونيه فى الحال ، وأنا أكفل لك أنها لن تسافر .. اننى  
ساهرة يا صديقى الكبير العزيز فاعمل فى سلام وكن هادئا »



## عظيم فى المنفى

فى أغسطس من عام ١٨٥٢ ، وصل إلى جزيرة جوزى أول  
فوج من المغتربين مؤلف من مدام فيكتور هوجو وابنتها آديل  
( ديديه ) وأوجيست فاكرى ، فحسبوا لأول وهلة أن بلدة  
سانت هيليه التى تحرقها الشمس تشبه إلى حد كبير جزيرة  
سانت هيلانة . وبعد ذلك بيومين ، لحق بهم فيكتور هوجو  
وابنه شارل فى « فندق التفاحة الذهبية » ، وكان فى  
استقبالهما بالميناء عدد كبير من المنفيين راحوا يحيون الكاتب  
الكبير فى حرارة وحماس ، وقد اختلطوا بسكان المدينة . .  
ولاول مرة منذ ثمانية أشهر ، وقعت عينا آديل على زوجها  
المنفى وهو ينزل من السفينة ومعه ابنه شارل ، فراعهما منظر  
الاثنين : فقد سمن فيكتور هوجو كثيراً ، وكذلك ابنها الحبيب ،  
وتغير مظهره فأصبح يهمل عمداً فى هندامه ، وتحول رجل  
المجتمع الانيق المصقول المصفف الشعر إلى رجل عمل خشن  
أقرب إلى الصناع منه إلى عظماء الرجال ، وكان الحزن يمتزج  
بالصرامة والوقار فى قسَمات وجهه المعذب المكدود ، ويلمع  
فى عينيه المفتوحتين بريق لم تر فيهما مثله من قبل . . كان  
يجعله كإنسان تمر به رؤيا ، ولكن لم تنقض لحظات حتى  
ذهبت عنها الدهشة وهداً روعها وقد لاحظت أن زوجها قد عاد  
بسرعة إلى مرحه ومنطقه الواقعى

وبدت الجزيرة لأفراد الأسرة أقل وحشة ، حين طوفوا

بأرجائها وعرفوا معالمها ، وكانت تشسبه حديقة كبيرة  
شديدة الخضرة انتشرت عليها بيوت نظيفة يترامى البحر من  
تحت سفحها على مدى البصر

وانقسم الراى على الفور فى محيط الاسرة بشأن اختيار  
المسكن ، فكان من رآى الابنة ديديه ( آديل الصغيرة ) أن تظل  
قريبة من بلدة سانت هيليه ، بينما كان شقيقها شارل يتمنى  
أن يعيش فى مكان مرتفع - أما هوجو ألاب فقد ظل متمسكا  
بفكرة إقامته على شاطئ البحر ، وانتصر رأيه من النهاية ،  
فاستأجربيتا منعزلا تماما على الشاطئ يدعى « البيت ذو  
الشرفة البحرية » وهو بناء مكعب ثقيل ذو زوايا قائمة ويبدو  
شكله كالقبر

أما جوليت دروييه ، فقد وصلت من بلجيكا على سفينة  
أخرى واستأجرت لنفسها شقة صغيرة فى بيت خشبي يقال له  
« نلسن هول » لان هذا كان هو العرف المتبع ، ولأن آديل  
قد أبدت رغبتها فى ذلك . وفى اليوم العاشر من أغسطس  
كتبت الى هوجو تقول : « سوف نرى ما اذا كان منظر المحيط  
سيثير عندك ألوحى أكثر من الميدان الكبير فى بروكسل ،  
وسوف نرى أيضا ما اذا كنت ستحتفل بمسكنى الخشبي أكثر  
مما كنت تفعل بفرفتي فى ممر سان هوبير ( ١ ) »

وهكذا استقرت هذه الجماعة الصغيرة فى جزيرة المنفى  
حيث كانت حياتها مرتبطة بعقل وقلم . ولقد كان هوجو  
يشعر منذ اللحظة التى وطأت قدماه فيها أرض الجزيرة انه  
كان عليه أن ينشر ، ولكن . . ماذا ينشر ؟ ديوان التأملات ( ٢ )

( ١ ) فى بروكسل حيث أقامت مع أسرة صديقتها مدام لوتيرو زوجة  
الصحفى الشهير .

( ٢ ) Les Contemplations

وهو عبارة عن مجموعته من قصائده حب وأحزان تدور  
موضوعاتها حول جوليت وابنته الميتة «ديدين» ؟ ترى أكان  
الوقت مواتيا في خضم هذا الصراع السياسى لان يقدم  
للجمهور أشعارا تدور حول شخصه ؟

كان من رأى هوجو أن الوقت غير ملائم ، وكذلك قرر  
الناشر هتزل لما أراد الشاعر أن يسترشد برأيه . ومن ثم فقد  
استقر رأيه على أن يتمسك في أيام الخصومة والفضب بنفس  
القريحة التى أملت عليه كتاب « نابليون الصغير » الذى كان  
يدخل فرنسا خلسة على شكل ملازم مطبوعة على ورق خفيف  
للفاية ، فقبل فى كل مكان بحماس منقطع النظر ، وطبعت منه  
مليون نسخة فى كل أنحاء العالم ، وترجم الى الانجليزية  
والاسبانية

وكان على هوجو أن يواصل الكتابة ، ولكن بالشعر فى هذه  
المرّة على عادته فى أكثر مؤلفاته ، فكان هذا الشاعر البليغ  
الثائر يرى آناء الليل وأطراف النهار وهو يهيم كشبح مأخوذ  
على شواطئ جرزى وفوق الربى والصخور . وما ان حل  
شهر ديسمبر من عام ١٨٥٢ حتى كان يمسك فى يده بكتاب  
فريد من نوعه فى الأدب الفرنسى هو ديوان « العقاب » (١)  
الذى فرغ منه ورقة ورقة فى الأسابيع الأولى من عام ١٨٥٣ ،  
وهو ديوان يذكرنا بكتاب « المآسى » (٢) للشاعر دويينييه، ولكن  
هوجو قد تفوق عليه بقوة ضرباته وجمال لغته وجمال قوافيه ،  
كما تفوق عليه بعظمة السخرية فى أسلوبه : وخاصة بلهجة  
الملحمة التى صاغ بها الكتاب ، وفيه يقول الشاعر انه واثق

---

(١) Le Châtiment

(٢) Le magique d'Aubigne



من أن الحق هو الذى سينتصر فى النهاية ، وأن ما يلمحه وهو  
نائم على شاطئ المحيط كان « ملاك الحرية » :

« آه ! انظروا ! ان الليل ينقشع »  
« عن العالم الذى يتحرر .. »  
« والامم التى بلغت رشدتها .. »  
« تفتح فى زرقة السماء الجامدة .. »  
« أجنحة السلام الشاسعة ! »

\*\*\*

« ألا أيها الرداء الأبيض بعد العريضة ! .. »  
« يا للنصر بعد الآلام ! .. »  
« ان العمل يطنطن فى الاكوار .. »  
« وتضحك السماء .. والطيور تغرد »  
« فى شجر الشوك الذى ازدهر بالورود »

\*\*\*

« هناك نقطة تلمع فى آخر السماوات »  
« انظروا .. انها تكبر وتسطم »  
« انك لست الى الآن سوى الشرر »  
« وغدا تصبحين الشمس .. »

\*\*\*

« وفى انتظار ذلك يجب على أن أصمد .. »  
« انى اقبل المنفى المر ، حتى ولو لم تكن له نهاية .. »  
« دون أن أحاول أن أعرف ، ودون أن لاحظ .. »  
« اذا كان شخص آخر قد انحنى ، وكنا نظن أنه أكثر  
ثباتا .. »

« فاذا كان الكثيرون يرحلون ممن كان ينبغي أن يمكثوا . . »  
« واذا لم نعد سوى ألف فأننى من بينهم . . وحتى اذا لم  
يكونوا »

« سوى مائة فلا زلت أتحدى اسيللا »  
« وان بقى عشرة ، فسوف أكون عاشرهم »  
« فاذا لم يبق سوى رجل واحد فسوف يكون أنا »



وهكذا كان فيكتور هوجو يصهر الغضب والصفينة ويصبهما  
فى أبيات منظومة وهو مستند الى صخور الشاطئ يتأمل  
البحر طويلا بنظرات شاردة . ولم يبلغ انتاجه من الروعة  
مثما كان عليه فى تلك الفترة من حياته ، ولا عمل أبدا بمثل  
هذه الهمة التى لا تفر ، والقريحة النفاذة الصافية . ولهذا  
فان الوقت كان يمر بسرعة بالنسبة اليه ، واما بالنسبة لافراد  
أسرته فلم يكن المنفى يمد لهم بمثل هذه القوة

فأدبل الزوجة والام ، التى حرمت من مملكتها الباريسية ،  
تقبل فى غير حماس أو سرور على تدير شئون البيت التى  
« لامجد فيها » ، فأخذت تحاول أن تكتب كتابا بعنوان :  
« فيكتور هوجو كما يعرفه شخص شاهد حياته » ولم تكن أدبل  
قد لمعت ككاتبة منذ أن كتبت أيام خطوبتها رسائل الحب  
الى خطيبها الشاب ، ولكنها قد سجلت الآن بعض التقدم من  
جاء احتكاكها برجال الادب والشعراء والندوات التى كانت  
تحضرها فى المحافل والصالونات . ثم ان زوجها كان هناك ،  
الى جوارها ، وهو نموذج يحتذى وحجة فى هذا الميدان . ومع

ذلك ، فقد لاقت أديل فى البدء صعوبة كبيرة ، وهى تعبر عن ذلك حين تقول : ان ما اكتبه عن زوجى يسير ببطء ، فأنا لست كاتبة .. والمذكرات ليست شيئا ، ولكن حينما يكون الامر متعلقا بالتحريير كما يقولون فان فكرى يدور كثيرا .. »

أما شارل هوجو وأجيسست فاكرى ، وكلاهما كان شاعرا مرتجلا وكثير الكلام طائق اللسان ، فقد كانا يلعبان أمام مجموعة محدودة العدد من المستمعين ، وكانت هواية التصوير الفوتغرافى تستهلك من وقتهما قدرا لا بأس به ، والتقطت آلاتهما البدائية « للوالد العظيم » عشرات من الصور كان لها الفضل فى أن تثبت لنا مظهر الشاعر فى ذلك الوقت ، وأن تنقله الينا عبر السنين ، وهو - على حد تعبير بول كلوديل - « مظهر محزن يفرض نفسه على الآخرين ، ولكن تكمن من ورائه روح تتألم »

وأما أديل الصغيرة ( ديديه ) التى كانت وقتئذ فتاة فى السادسة والعشرين ، فقد كانت تحتل حياة المنفى فى مشقة كبيرة ، وتضم بين جنببيها نفسا معذبة ، فكانت أكثر الوقت مكتئبة شاردة النظر ، وكانت تدفن أحزانها فى الموسيقى من وقت لآخر أو تحلم بحب مستحيل

لم يبق أمامنا من الجماعة الصغيرة الا جوليت ، وكان وجودها على مقربة من الاسرة يزيد بها بؤسا ويشقيها الى حد لم تعرفه من قبل .. انها كانت تلمح حبيبها من النافذة ، ولكن كان محرما عليها أن تكلمه حين يكون مع زوجته . وكانت هى من ناحية أخرى لاتفكر فى ذلك ، وكان يمنعها من أن تفعله وخز ضمير لاتستطيع أن تتغلب عليه .. ولكنها لما كانت ترى مدام فيكتور هوجو تمر مرتدية ثوبا من الحرير الجميل

ومتأبطة ذراع زوجها ، فانها كانت تتألم وهي تقارن بين هذا الترف وبين ثيابها المهلهلة . وكانت جوليت لا تكره جزيرة جرزى لانها نشأت في مقاطعة بريتانى المطلة على البحر فكانت تجد فيها مراتع طفولتها ، ولكنها كانت لا تحب أن تظل دائما وحدها هكذا في « نلسون هول » بين همومها ونسخ مخطوطات عشيقها الاديب . وقد كتبت اليه وقتئذ تقول : « تستطيع أن تخرج معي لو أنك أردت ذلك بدلا من أن تقف إلى مالا نهاية أمام آلة التصوير . . »



وكانت أيام جرزى بالنسبة ليفيكتور هوجو أيام تأمل وعمل وفترة راحة وسعادة ، فائن كان سوء الحظ قد انتزع الشاعر من محيطه ووطنه ، فقد أتاح له فرصة نادرة عاد فيها الى نفسه ، فلم تعد هناك جلسات أكاديمية ولا مناقشات في الجمعيات ، ولا نساء يطمعن في وقته وفي قواه . والواقع أن هوجو لم يسبق له أن كتب قط بمثل هذه الحرية ، وبنفس تلك القوة والسهولة ، فأضاف في غير جهد وهو في جزيرة جرزى جزءا آخر الى ديوانه « التأملات » الذي كانت قصائده الرائعة الموجهة الى ابنته ليوبولدين والى جوليت دروييه تختلط بقصائد أخرى فلسفية صب فيها مذهبه في الحياة . وكثب في الفترة ما بين ١٨٥٣ - ١٨٥٦ أهم القصائد اللاهوتية في التأملات والقصيدتين الكبيرتين : « نهاية الشيطان » ، و « الله » ، وكان من الممكن أن تخرج الى الوجود تحف أخرى نادرة لولا أن وقع حادث جلل أوقف انتاج الشاعر الاديب فترة من الوقت وأدى الى أبعاده عن الجزيرة

## فى جزيرة جيرنىزى

لسنا بحاجة الى أن نقرر أن ظروف اللاجئ السياسى  
تزداد صعوبة اذا حدث تقارب بين بلده الاصلى والبلد الذى  
ينفى اليه . .

والواقع أن حكومة انجلترا ، كانت تقبل وجود هوجو فى  
جزيرة جرزى ، ولكنها كانت لاتتبناه . ولم تحب السلطات  
الانجليزية هذه المجموعة الصغيرة من الفرنسيين الثرثارين ،  
وهذا الشاعر الذى كان يتنقل بين زوجته وعشيقتة ، وتلك  
النصائح التى كان يوجهها من منزل الشرفة البحرية الى لورد  
بالمريستون كأنها وعظ كبار القساوسة

وفى مجلس العموم البريطانى ، كان سير روبرت بيل قد  
لام فيكتور هوجو فى عام ١٨٥٤ فى كلمات لاتنطوى على مراعاة  
أو احترام ، فقال : « ان هذا الشخص لديه ضرب من الخلاف  
الشخصى مع الشخصية الممتازة التى وقع عليها اختيار  
الشعب الفرنسى لتكون ملكا له . . »

وفى عام ١٨٥٥ أصبح الخلاف حاداً ، اذ توثقت علاقات  
المودة والصداقة بين ملكة انجلترا وامبراطور فرنسا المتحدين  
ضد روسيا ، وانتهت حرب القرم بزيارة قام بها نابليون  
الثالث للملكة فيكتوريا فى لندن - وكان الاستقبال فى دوفر  
جميلاً حسن التنظيم الا من خطاب من الكاتب المنفى موجه الى



الامبراطور ، كان هذا يستطيع بسهولة حين وصوله الى دوفر  
أن يراه ملصقا على الجدران :

من فيكتور هوجو الى لويس بوناپرت : « ماذا جئت تفعل  
هنا ؟ على من تحقد ؟ ومن جئت لتسبب ؟ أهى انجلترا فى  
شعبها أم فرنسا فيمن نفى منها ؟ ٠٠٠ دع الحرية فى سلام  
وأترك المنفى هادئا ٠٠٠ » (١)

ولما ردت الملكة فيكتوريا الزيارة بعد ذلك للامبراطور ،  
هاجمها فليكس بيات (٢) بطريقة غير حاذقة ، فوجه اليها خطابا  
مفتوحا نشرته صحيفه « الانسان » (٣) قال فيه : « لقد  
ضحيت بكل شئ : كرامة الملكة ، وتحفظ المرأة ، وغرور  
الارستقراطية ، وعواطفك كانجليزية ، وبالمكانة ، والجنس ،  
والانوثة .. كل شئ حتى الحياة ، فى سبيل حب هذا  
الحليف .. »

وقد طرد شارل بييرول رئيس تحرير الجريدة، والكولونيل  
بيانسينى مدير الادارة ، وثالث يدعى تاماس ويعمل موزعا  
بسيطا ، بأمر من الحكومة الانجليزية

ولم يحبذ فيكتور هوجو الخطاب الموجه الى الملكة ، ورأى  
أنه ينطوى على فساد قدمه المنفيون بالجزيرة الى السلطات ذات  
الشان

وفى يوم ٢٧ اكتوبر ، زار نائب حاكم جزيرة جرزى  
فيكتور هوجو فى بيته ، وقال له فى أدب جم :

---

(١) Victor Hugo : Actes et Paroles, t. II (Pendant l'exil) p. 116

(٢) لاجىء سياسى فرنسى فى لندن

(٣) جريده عدد ١٠ اكتوبر عام ١٨٥٥

- انك ممنوع ياسيدى من الاقامة فى الجزيرة أنت وولديك  
شارل وفرانسوا فيكتور بمقتضى قرار صادر من إلتاج ، وقد  
حدد لكم القرار مهلة تنتهى فى يوم ٤ نوفمبر كى تستعدوا  
للرحيل ..  
فقال له هوجو :

- حسنا ياسيدى نائب الحاكم .. تستطيع أن تنسحب  
لتخبر رئيسك الحاكم العام بأننا سننفذ هذا القرار ، وسيخبر  
به الحاكم العام رئيسة الحكومة البريطانية التى ستخبر به  
بدورها رئيسها السيد بونابرت !

وعبر كثير من الاحرار الانجليز عن سخطهم من هذا الاجراء  
فى مظاهرات عديدة ، ولكن أسرة هوجو اضطرت الى مغادرة  
الجزيرة لتقيم فى جزيرة جيرنيزى .. وكان رحيلها  
على دفعات .. فقد رحل فيكتور هوجو أولا يوم ٣١ أكتوبر،  
وبصحبه فرانسوا فيكتور وجولييت وخادمتها الخاصة  
سوزان الطيبة القلب . وبعد ذلك يومين لحق بهم شارل  
هوجو ، ثم جاء دور اديل الام واديل الابنة « ديديه »  
واوجيست فاكرى الذين لم يكن يشملهم امر الطرد ، وكان  
عليهم أن يتكفلوا بنقل الاثاث . وقد غادر هؤلاء الجزيرة فيما بعد ،  
وهم يحملون من بين متاعهم حقيبة كبيرة ثقيلة فى قارب  
صغير كانت تتلقفه الامواج فى بحر هائج فتثير فى نفوسهم  
أشد القلق ، اذ كانت تضم مخطوطات كتبه : « التأملات » ،  
و « البؤساء » ، و « ونهاية الشيطان » ، و « الله » ،  
و « أغاني الشوارع والغابات » ، ولم يحدث قط من قبل  
ان كانت مثل هذه المؤلفات الخالدة عرضة هكذا للضياع  
ولم يكن هوجو يملك وقت نزوله بجزيرة جيرنيزى سوى

القليل من المال ، غدا الاحتياطي المودع في بلجيكا الذي كان لا يريد أن تمسكه يده . . . ذلك أنه لم يقبض شيئا من حق التأليف عن كتاب « نابليون الصغير » وديوان « العقاب » ، فهما من كتب الكفاح ، وقد بيعا سرا لصالح الذين تولوا توزيعها فقط . واستأجر الكاتب منزلا يقيم فيه لقاء إيجار شهري خوفا من أن يطرد من جديد « إذا ما أصر السيد بونايرت على ذلك » وكان البيت يطل على منظر رائع وقد كتبت أديل تقول : « اتينا نرى من نوافذنا كل جزر بحر المانش والميناء الجاثم تحت أقدامنا . وفي المساء ، تحت ضوء القمر ، يكون ذلك مما يثير الأحلام . . . »

واستأنف رب الأسرة العمل في الحال ، إذ لم يكن بحاجة دائما لغير منضدة وورق وزجاجة من الملائد ليغرق في تدوين خواطره الى اذنيه . أما الآخرون الذين كان يعظهم بمضاعفة الاقتصاد ، على الدوام ، فقد كانت الحال بالنسبة اليهم مختلفة كل الاختلاف !

وجاءت معجزة ديوان « التأملات » لتنقذ الموقف في تلك الايام ، إذ كان هوجو يرتب أدراج مكتبه ذات صباح حين وقعت عيناه على نحو أحد عشر بيتا تقريبا من الشعر كتب بعضها منذ زمن بعيد أيام السعادة التي ولت ، وبعضها الآخر من انتاج الحاضر ووحى السعادة وهو عبارة من أشعار الذكرى والتأمل . وكان الناشر هتزيل - « ذلك الزميل العزيز في المنفى » وكان منغيا مثله - يتمنى أن يتكفل بالنشر . فأراد هوجو أن يضرب ضربة كبرى وأن ينشر الكل في جزئين ، إذا كان يريد أن يصرع أعداءه بعدد ضخم من التحف الأدبية النادرة

ونجح ديوان التأملات نجاحا غير منتظر ، لا بفضل النقاد .. اذ بقى سانت بوف ، ولامارتين صامتين لا يعلقان عليه بكلمة واحدة ، ولكن يرجع نجاحه الى نفسه ، فان جميع الذين يحبون الشعر قد تعرفوا في هذا الديوان على أجمل الاشعار التي صيغت باللغة الفرنسية

واشتري هوجو في العاشر من شهر مايو بالعشرين ألف فرنك التي قبضها من هتزيل ، لقاء حق التأليف ، بيتا كبيرا يدعى « منزل المدينة العالية » ودفع ثمنه كله فورا من كتاب « التأملات » .. اذ كان تواقا الى ان يصبح مالكا من بين الملاك في الجزيرة يدفع « الاموال المقررة للتاج » ، ومن ثم يصبح من غير الممكن طرده كما كان يقضى القانون المحلي . وكان هوجو وقتئذ قليل الامل في أن تحدث تغيرات في فرنسا ، اذ كان يرى أن الناس هناك تشغلهم الاعمال أكثر مما تشغلهم الحريات ، ولكن .. ترى أكان يريد حقا أن يغادر جيرنيزى ؟ اننا لنتردد قليلا قبل أن نجيب بنعم عن هذا السؤال ، فقد كانت صحة الكاتب هناك مدهشة ، وكان ينتج انتاجا لم يسبق له نظير . أما بالنسبة لزوجته ولابنتها ديديه بصفة خاصة ، فقد كانت تلك الإقامة الدائمة بالجزيرة مصدرا دائما للحزن والاكتئاب . وكانت آديل تدرك بالطبع أن كرامة زوجها تأبى عليه أن يعود الى فرنسا ما دام عهد الامبراطورية قائما ، ولكن ألم يكن هناك مكان آخر للمنفى أقل وحشة ، ويستطيعون فيه أن يستمتعوا بعلاقات لطيفة مع الناس ، ويتاح لهم أخيرا أن يجدوا زوجا لديديه ؟ والواقع أن الارهاق الصامت الذي كانت تعيش فيه هذه الفتاة ، كان يؤرق بال الام .. ولكنها لم تكن تجرؤ مع ذلك

على أن تصارح زوجها بمخاوفها لأنها كانت تعرف تماما أنه يواجه دائما مثل هذه الامور بحجج رنانة لا تقبل الجدل . ولهذا فكرت الام المسكينة في أن تفتحه كتابة في هذا الشأن، فكتبت اليه تقول : « ان الحياة التي تحياها هذه الابنة يمكن ان تستمر بعض الوقت ، ولكن اذا دام المنفى زمنا طويلا فان هذه الحياة تصبح مستحيلة .. اننى ألفت نظرك الى ذلك وأنا ساهرة على ابنتى ، وأرى ان حالة ركودها وتوتر أعصابها قد عادت اليها ، وانى مصممة على أن أؤدى ما سيمليه على الواجب كى أحميها فى المستقبل .. ان حياتكم أنتم الثلاثة (١) ليست فارغة ، وابنتى وحدها هى التى تفقد حياتها ، وهى عاجزة بلا سلاح .. ومن واجبى ان أضحي لأرعاها . ان صنع السجاد وزرع حديقة صغيرة ليسا طعاما معنويا كافيا لفتاة فى السادسة والعشرين .. »

وصدم هوجو من جراء خطاب زوجته ، فأفهمها أن شعوره قد جرح ، واتهم هذه « الاسيرة » الشابة بالانانية والجحود، فكتبت اليه زوجته تقول : « لقد قلت لى هذا الصباح ان ابنتك لا تحب الا نفسها ، ولم اشأ ان أعلق على هذه الكلمة .. ان آديل قد منحتك شبابها دون أن تشكو ، ودون أن تطلب منك اعترافا بالجميل ، وهأنذا تجذ أنها انانية ! .. فمن ذا الذى يعرف ما قاسته ، وما سوف تقاسيه ، حين ترى مستقبلها وهو يغلت منها ، وحين تتطلع الى المستقبل فتري أن الغد سيكون مثل اليوم ؟ .. كل شىء هنا يعتبر ضارا بآديل .. ولما كنت أشعر بما يجب نحوها ، وبما يمكن

---

(١) تعنى زوجها هوجو وابنيه شارل وفرانسوا فيكتور



اصلاحه ، فأننى أضحي كلية في سبيل هذه البنت المسكينة .  
ان العدالة تعمل لدى أكثر مما تعمل الامومة ، وكيف لا يفعل  
المرء من أجل ابنته ما يفعل من أجل عشيقته ؟ . . »  
وكانت الام على حق ، الا أن هوجو الفارق في عمله  
وتأملاته لم تكن لديه بقية من الوقت يتاح له فيها أن يفكر  
في آلام أسرته ، اذ كان كل وقته ونشاطه الفياض في الفترة  
ما بين عامي ١٨٥٦ ، ١٨٥٩ موزعين بين مؤلفاته ، وعشيقتيه  
جولييت ، وتهيئة جو فنى يرضى مزاجه بمنزل « المدينة  
العالية » الذى صار ملكا له

وكان هوجو يحب أفراد أسرته ولكنه كان قاسيا في  
معاملتهم ، فما ان حل عام ١٨٥٨ حتى كانت روح التمرد  
قد استولت على نفوس المنفيين . وفى يناير من ذلك العام ،  
رحلت آديل مع ابنتها « اديل الصغيرة » الى باريس لتقضى  
بها مدة شهرين امتدت الى أربعة . ان آديل كانت تكتب  
الى زوجها في عصبية :

« اننى أحبك بالطبع يا صديقى العزيز ، وأنا ملك لك ولا  
أريد أن تتألم ، ولكن فلنحاول أن نتفاهم بصراحة :

« لقد اخترت جزيرة جرزيه مكانا لاقامتك فذهبت معك  
الى هناك . وحينما أصبحت الإقامة مستحيلة في جزيرة  
جرزيه جئت الى جيرنيزى دون أن تسألنى عما اذا كان  
ذلك يروق لى ، ولكننى جئت معك . وبعد ذلك اشتريت  
منزلك ولم تستشرنى في هذه المسألة ، ومع هذا تبعتك الى  
هذا المنزل . . وهكذا ترى اننى خاضعة لك ، ولكننى في  
الوقت نفسه لا أستطيع أن أكون عبدة تماما . . »

وعادت آديل وابنتها في شهر مايو لان هوجو مرض لأول

مرة في حياته ، ولمدة أسابيع ظل ملازما للفراش في حالة  
خطرة . وكانت جوليت طبقا للتقاليد الاخلاقية السائدة  
في منزل المدينة العالية لاتستطيع أن تزوره ، فكتبت اليه  
تقول : « آه يا عزيزي المسكين . . كم أود أن أكون خادمة  
عندك في هذا الوقت الذي تحتاج فيه الى انسان يقوم لك  
بالخدمات الصغيرة التي لاشك أنك في أمس الحاجة اليها »  
واستمر جو الحزن والكتابة يخيم على هؤلاء المنفيين طيلة  
البقية الباقية من عام ١٨٥٨ ، وليس أدل على ذلك مما  
كتبه فرانسوا فيكتور الى أحد أصدقائه . . كتب فرانسوا  
الى صديقه يقول : « أنك لاتستطيع أن تتصور مدى الحزن  
الذي يخيم على منزل المدينة العالية . اننى أخشى أن تتفكك  
هذه المجموعة الصغيرة نهائيا في هذه المرة ، وعلى أية حال  
فاننا نمر في المرحلة المظلمة من المنفى ولست أرى فيما يلوح  
لى نهاية النفق . . »

أما أوجيست فاكرى فرحل الى فيليبيكيه بعد أن أصبح  
لا يطيق العيش في الجزيرة ، وفي ٩ مايو عام ١٨٥٩ رحلت  
آديل وابنتها يصحبهما شارل هوجو الى انجلترا . .  
ولكن هذه الشكاوى وأمثالها ، لم تكن تشغل في عقل  
هوجو مكانا كبيرا . ان ما يهيمه ويشغل باله هو انتاجه  
الادبي ، وبصفة خاصة « أسطورة القرون » التي كانت قد  
نشرت في باريس وأحدثت هناك دويّا هائلا . ان هوجو في  
عام ١٨٦٠ أديب تغلى نفسه — بعيدا عن كل هذه المشاكل —  
بالافكار والمشروعات ، وهما هو ذا يطلق لحيته بعد مرض عضال  
أصاب حنجرتة ، ويأخذ شكل الجد الشيخ الذي سيعرف  
به في التاريخ . وعلى الرغم من أنه قد أصبح الان في الحلقة

السادسة من عمره ، الا أن جسمه الذى كان لا يريد أن يشيخ أبدا كان يعذبه ويقوده الى رمال الشواطئ لمقابلة الفتيات وحتى الى سرائر القش التى تنام عليها الخادومات وكانت آديل تعود الى جيرنيزى لترحل عنها من جديد الى انجلترا أو فرنسا ، انها الآن سيدة ممتلئة فى حوالى الستين من عمرها تحب أن تزور أسرتها آل فوشيه ، وأحيانا تصعد سرا الى السلم المؤدى الى شقة سانت بوف فى شارع مونبارناس . أن سانت بوف قد أصبح بدوره رجلا عجوزا ، ولكنه كان لا يزال يحتفظ بجاذبية كبيرة فى الحديث ، وقدرة على توجيه الاطراء والفزل الرقيق . . أوليست هذه فترات لطيفة للراحة بعد هذه الحياة القاسية مع « وحش »

جزيرة جيرنيزى الذى يحب السيطرة ؟

ان الاسرة كلها كانت تتفكك . . ان آديل الصغيرة (١) التى أصبحت الآن فتاة عانسا قد انتهزت فرصة غياب والدتها فى باريس ، وفرت هاربة كي تتبع ملازما انجليزيا يدعى البرت بنسون وكانت لها مأساة طويلة انتهت بدخولها مستشفى الامراض العقلية . أما شارل هوجو فقد سافر الى باريس واستقر بها دون أن يخطر والده . وفى نهاية عام ١٨٦٥ ، غادر باريس الى بروكسل حيث تزوج فى عام ١٨٦٥ فتاة يتيمة لطيفة فى الثامنة عشرة من عمرها تدعى آليس لاهين . ولما كانت مدام هوجو قد أصبحت لا تطيق العيش فى جزيرة جيرنيزى بعد هروب ابنتها ، فقد ذهبت لتعيش مع ابنها شارل وزوجته . وبالنسبة لفرانسوا فيكتور ، فقد

---

(١) ديديه

أمره والده بالرحيل بعد أن خشي على عقله اثر وفاة خطيبة له كان على وشك أن يتزوجها ..

وهكذا لم يبق في المنفى سوى هوجو وجولييت .. ان الاسرة قد هجرت ربها ، وكلما خلا الجو لرب الاسرة غدا ملكا لعشيقتة . وها هي ذى جولييت تكتب اليه تقول :

« اننى أطلب من السماء ان تمد فى إقامتنا هنا وان تتمد فى أعمارنا .. »

وكان هوجو يرد عليها بقوله :

« فى ٣١ ديسمبر عام ١٨٦٧ : ان شمساً جميلة تشرق الآن فى آخر أيام هذه السنة التى انتهت ، وغدا يصحو مستقبلنا فى أول يوم من أيام العام الذى سوف يبدأ توا . لقد قضينا سبعة عشر عاماً فى المنفى وأربعة وثلاثين عاماً من الحب .. أى الضعف تماماً يا عزيزتى . وبفضل حبك أيها الملاك الحلو لم يكن هناك منفى ، فقد كنت لى وطننا وشعاعاً مضيئاً فى وحدتى المظلمة .. »



البؤساء



## البؤساء

وكان هوجو منذ مدة طويلة ، يعمل في رواية اجتماعية كبرى تعالج موضوع العقوبات وظلم القوانين وعدم منطقيتها، وتطالب برد الاعتبار الى من يخرجون من السجن بعد قضاء العقوبة والتكفير عن أخطائهم . والواقع أن هذه الافكار وامثالها كانت تشغل تفكيره وروحه منذ أن كان يؤلف كتابه « آخر أيام محكوم عليه بالاعدام » . وكانت روح العصر تشجع هذا الاتجاه ، فجورج صاند ، ودوماس ، وفريدريك سوليه ، كانوا يؤلفون الروايات الاجتماعية التي تصف آلام الشعب ، فضلا عن أن غرائز هوجو الطبيعية كانت تجتذبه الى الكتابة في مثل هذه الموضوعات . . وكثيرا ما كان يردد :

كيف نحتلم الالم في هذه الدنيا ؟

وكذلك الجوع والعمل الشاق والبؤس والشر . .

هذه المشاكل كلها تمسكني بمخالبها

والواقع أن هذه الايات كانت تعبر عن مشاعر قوية ثابتة أصيلة في نفس فيكتور هوجو . لقد كان يؤمن ايمانا مخلصا بالفن ولكنه لم يؤمن أبدا بالفن من أجل الفن

والواقع أن هوجو قد كرس نفسه لكتابة « البؤساء » منذ عام ١٨٤٥ حتى عام ١٨٤٨ ثم انقطع عن الكتابة حتى عام

١٨٦٠ ، وفي هذا العام عاود الكتابة من جديد حتى اتم  
الرواية ، وكتب الى اوجيست فاكيرى يقول :  
« في هذا الصباح ، وفي الساعة الثامنة والنصف من ٣٠  
يونيو عام ١٨٦١ فرغت من كتابة « البؤساء » والشمس  
ترسل اشعتها الجميلة من خلال نافذة غرفتي . . »  
وكانت جوليت خير سند لهوجو طيلة المدة التي استغرقتها  
كتابة هذه الرواية ، فهي التي تقوم بنسخ مسوداتها ،  
وكانت تتابع شخصياتها في شغف بالغ . . وقد كتبت اليه في  
٢٣ ديسمبر ١٨٤٥ تقول : « اعطني كل مسوداتك لايضها  
لك . . اننى اود أن أعرف ماذا سيحدث بعد ذلك للمطران  
الطيب . . » وفي ٣ فبراير عام ١٨٤٨ كتبت تقول :

« اننى أشعر بمدى ما يقاسيه جان تريجان (١) المسكين  
من ألم وعذاب ، حتى اننى أبكى على الرغم منى على مصير  
هذا الشهيد المسكين . ولست أعرف مايمكن أن يؤثر في النفس  
أكثر من فانتين المسكينة ، ولا ما يؤلم كهذا الانسان الخامل  
شانماثيو . . انى أعيش مع هؤلاء الاشخاص واقاسمهم آلامهم  
كما لو كانوا أناسا حقيقيين من دم ولحم ، لانك تخلقهم  
بطريقة طبيعية للغاية . . ولست أعرف ماذا أقول لك ،  
ولكننى بكل ما أملك من عقل وقلب أحب هذه الرواية التي  
تسميها بحق رواية البؤس . . »

وفي مايو من عام ١٨٦١ ، كانت جوليت سعيدة الحظ  
بمصاحبة هوجو في رحلة لمدة شهرين ، أقاما خلالها في فندق  
« دى كلون » ببلدة « مون سان ميشيل » حيث أراد الكاتب

---

(١) الاسم الذي كان يطلقه هوجو في بادئ الامر على « جان فالجان »

أن يكتب الجزء الخاص بمعركة واترلو في نفس المكان الذي دارت فيه المعركة . وكانت جوليت تذهب معه الى كل مكان لتقطف له الازهار التي يحبها ، وتفحص معه الاشجار التي كانت كل شجرة منها تحمل اثرا لرصاصة أو طعنة من طعنات السونكى . وأحيانا كان يتركها بمفردها في الفندق ويذهب الى بروكسل لزيارة الاسرة ، فكانت تنصرف الى « تبييض » مسودات الاجزاء التي فرغ من كتابتها ، وكانت تقول له حين يعود :

« التبييض هو خير دواء لآلامى . . انه عملى الصغير العزيز الذى أوثره على كل شىء آخر بعدك . . »

وكان هوجو يعرف سلفا أن جمهورا كبيرا سوف يقرأ روايته التى أنهك فى كتابتها قواه زمنا طويلا ، فأراد أن يستفيد من هذه الفرصة بأن يحصل على دخل يضمن به مستقبله المادى بصفة نهائية . وعرض على أحد الناشرين أن يدفع له فى الرواية ثلاثمائة ألف من الفرنكات (١) ، على أن يتنازل له هوجو فى مقابل ذلك عن حق النشر لمدة اثنى عشر عاما ، وكانت تلك هى أول مرة يتقاضى فيها هوجو مثل هذا المبلغ ، وان كان لامرتين ودوماس الاب وأوجين ، قد ربحوا حتى ذلك الوقت أكثر من ذلك بكثير !

ونشرت الرواية وكتب بول موريس الى هوجو فى ٦ يوليو عام ١٨٦٥ يقول :

« ان باريس تلتهم منذ ستة أيام رواية البؤساء ، وتنبىء التعليقات الاولى وبعض المقالات التى ظهرت فى الصحف

---

(١) أى ما يعادل على الاقل مئتين مليون فرنك قبل تخفيض قيمة الفرنك الفرنسى فى عام ١٩٥٣.

بأنها سوف تحرز نجاحا ضخما ، وهو أمر كنا نتوقعه مقدما .  
أن الناس يكادون يطرون من الفرح ! ولم تعد هناك اعتراضات  
سخيفة ولا تحفظات تنم عن ضيق الأفق ، فهذا البناء الضخم  
من العظمة والعدالة والرحمة النبيلة تفرض نفسها بنفسها  
على الجميع بطريقة حتمية . . »

ومن الطريف أن ناشر الرواية قد ربح منها في الفترة ما بين  
عامي ١٨٦٢ ، ١٨٦٨ ربحا صافيا مقداره ٥١٧ ألفا من  
الفرنكات !

وأقيم في بروكسل حفل تكريم ، كان المؤلف فيه ضيف  
الشرف . . أما سانت بوف الحذر ، فلم يكتب نقدا علنيا في  
الصحف خوفا من التورط ، ولكنه كتب في مذكراته الخاصة  
يقول : « في الوقت الذي كان كل المؤلفين المعاصرين قد  
أصبحوا شيوخا لا يهم لهم الا تدفئة عظامهم العجوزة تحت  
أشعة الشمس على مقاعد قصر الانفاليد ، يعطى فيكتور  
هوجو برهانا ساطعا على شبابه . وكان من واجبه أن يعطى  
براهين أخرى كثيرة على ذلك ، ولكن الوقت لا يتسع هنا  
لاتحدث عن « وليام شكسبير » و « عمال البحر » و « الملك  
يلهو » ، وسأفعل ذلك في الكتاب الذي سأكتبه فيما بعد من  
سلسلة هذه المحاضرات »

واليوم ، تعد رواية البؤساء من أبرز المؤلفات التي نالت  
شهرة انسانية ، ويحتل أبطالها « جان فالجان » و « ميريل »  
و « جافير » و « فانتين » وأسرة « تيناردييه » ، وكذلك  
« ماريوس » و « كوزيت » مكانهم الى جوار أبطال الروايات  
العالمية الأخرى ، كالاب « جرانديه » و « أوليفر تويست »  
و « ناتاشا روستوف » و « الأخوة كارامازوف »



# وفاء آدیل

— ۱۶۳ — ۱۱ — غرامیات فیکتور ھوجو



## وفاة آديل

لن نستطيع أن نجد ما يصور لنا حياة فيكتور هوجو فيما بين عامي ١٨٦٦ ، ١٨٦٩ خيراً من شهادة « بول ستابفير » ، وهو مدرس شاب للغة الفرنسية ، كان يتردد على جزيرة جيرنيزي لتدريس الادب في إحدى مدارسها ، وكان ممن يتردد على بيت الشاعر ..

ويذكر ستابفير أن هوجو كان دائماً بمفرده أو جالساً مع شقيقة زوجته « جولي فوشيه » ، وكان أهالي الجزيرة يبدون اهتماماً كبيراً بأمر الشاعر الفرنسي الذي كانت أفكاره الجمهورية وآراؤه عن الملكة فيكتوريا تجرح مشاعرهم

وكان ستابفير يحب طريقة هذا الشيخ النبيلة في المشي ، فقد كان يسير منتصب القامة ، في خطوات ثابتة مستقيمة ويرتدي قبعة لينة ذات حافة عريضة ، وكان يحمل على كتفه دائماً معطفاً كما لو أنه يتوقع أن ينهمر المطر في أية لحظة

وكان حديثه يبدو طبيعياً بسيطاً ويتسم بخفة روح فرنسية إذا ما تحدث مع شخص آخر على انفراد ، أما إذا كان هناك مستمعون كثيرون ، فتأخذ الشخصية حينئذ مكانها بدلاً من الشخص ، ويصبح هذا الرجل البسيط متحدثاً بليفاً ، فيهاجم المادية ، ويسخر سخريّة مرة من قول تين (١) : « ان الفضيلة والرذيلة هما بدورهما منتجبات كالسكر وماء النار » ، فيقول في عصبية ظاهرة : « انه انكار

---

(١) ناقل من أعلام النقد العلمى : : Toine

بشع للفرق بين الخير والشر ، ولكم أود لو كنت الآن في  
الأكاديمية كي أصوت مع مطران مدينة أورليان ضد هذا  
الإنسان ! »

وكان هوجو يكره «راسين» أشد الكره ويقول عنه : « انه  
إنسان غير واثق من نفسه ، يكتب أحيانا بأسلوب رديء  
للفاية . . » وكان يعلن رأيه في كتاب عصره بلا أدنى حرج  
كأن يقول : « ان موسيه أقل بكثير من لامارتين » أو « ليس  
هناك سوى كاتب كلاسيكي واحد في قرننا هذا ، هل  
تفهمون ؟ انه أنا . . اننى أحسن كاتب يعرف الفرنسية في  
هذا العصر ، ويأتى بعدى سانت بوف وميريميه ، ولكن  
ميريميه كاتب قصير النفس . . انه قنوع كما يقال عنه .  
أما « تير » فهو بواب وجذ قراء من البوابين ، ولدى  
شاتوبريان كثير من الأشياء الرائعة ولكن ليس فى  
قلبه ذرة من حب الإنسانية . . ان له طبيعة كريهة . انهم  
يتهموننى بأننى متكبر وهذا صحيح ، ولكن كبريائى هى  
سبب قوتى . . »

أما عن أديل ، فيقول « ستافير » أنها تتمتع بشخصية  
عظيمة تبعث على الاحترام ، وكانت تبدو جميلة بثيابها  
الأنيقة وشعرها المصفف على شكل « يريمات » عريضة ،  
وكانت تصحح لشقيقتها جولى بين حين وآخر بعض الأخطاء  
اللغوية كأن تقول :

— آه ! انت تستطيعين يا جولى ان تقولى انه ميدوك ان  
الصحيح هو أن تقولى : بليز ميدوك

\*\*\*

وقد شهد عام ١٨٦٧ حادثا هاما فى المحيط العائلى لفكتور

هوجو : أعنى ذلك التقرب بين مدام هوجو وجولييت دروويه، وكانت الاولى غائبة عن جزيرة جيرنيزى منذ عامين ، فلما عادت اليها قامت بزيارة مدام دروويه لتشكرها على أنها حلت مكانها أثناء غيابها . وتأثرت جولييت تأثراً شديداً بأن تبدى « مدام هوجو » نحوها مثل هذا الاحترام « فبادرت برد هذه الزيارة فى سرور كبير ..

وانقضى بعض الوقت ، ثم وجه شارل هوجو وزوجته دعوة لـ مدام دروويه لقضاء فترة من الوقت فى بيتها ببروكسل، فلبت جولييت الدعوة وهى تشعر بسعادة بالغة ، وكتبت الى هوجو فى ١٢ سبتمبر سنة ١٨٦٧ تقول :

« ان قلبى لم يعد يدرى أيكما يحب .. اننى مسرورة للغاية وأشعر بحنان وسعادة أكثر مما ينبغى أن تشعر به امرأة عجوز مثلى ، لقد كنت أحس بسعادة غامرة طيلة الايام الخمسة عشر التى قضيتها فى بروكسل ، والتى حفلت بحب الاسرة وحنانها .. اننى أباركك وأعبدك .. »

وكانت زيارة مدام هوجو لجولييت ، وكذلك الدعوة التى وجهتها اليها أسرة شارل بمثابة رد اعتبار نه وقع السحر فى نفس هذه السيدة المسكينة التى عاشت حتى سن الواحدة الستين فى حرمان طويل شاق وخاصة حينما أذن لها فى أن تزور منزل المدينة العالية ، وكتبت جولييت الى هوجو فى ١٢ ابريل من عام ١٨٦٨ تقول : « أريد أن أنتهز كل اللحظات والفرص التى يمنحها لى الله ، اننى أشكركما وأعبدكما .. » وقضت جولييت صيف عام ١٨٦٨ فى بروكسل مع هوجو كما حدث فى العام السابق

في ذلك الوقت ، كانت آديل تسير بخطى سريعة نحو  
الشيخوخة ، ان عينيها أصبحتا لا تساعدانها على القراءة . .  
وكانت آديل قد أمضت قبل ذلك مدة طويلة في باريس  
لتحضر إعادة عرض مسرحية « هارناني » في عام ١٨٦٧ التي  
كانت الرقابة قد أذنت بعرضها أخيرا . وكان شقيقها فيكتور  
فوشيه قد مات منذ وقت قريب بالسكتة القلبية ،  
وكانت بدورها مصابة بلفظ في القلب وتشعر بأنها مهددة في  
أية لحظة ، وكثير حديثها عن نهايتها التي باتت وشيكة ،  
ولكن تفكيرها في هذا الامر كان يتسم برحابة صدر كبيرة ،  
وكانت تقول : « ان ما يحزنني فقط اننى اوشك ان أموت  
في اللحظة التي بدأت فيها أقدر مؤلفات زوجي المجيدة  
واتذوقها . يا للأسف ! اننى أموت في اللحظة التي يأتيني  
فيها العقل ! »

وكان هوجو يعرف انها مريضة ، فكتب اليها ينصحها  
بالا تذهب الى مسرح الكوميدي فرانسيز لمشاهدة الحفلة  
الافتتاحية لمسرحية هرناني ، وذلك خوفا عليها من الانفعال،  
ولكن آديل ردت عليه بخطاب مؤثر تقول فيه :

« لم يعد أمامي وقت طويل أعيشه حتى أضيع هذه  
الفرصة التي تعيد الى ذكريات شبابي الجميلة . . أطلب  
منى أن أتخلف عن حضور الحفل ؟ كلا يا سيدى . . ! أولا ،  
لان هرناني لن يصفروا لها في هذه المرة ، وثانيا لاننى اعرف  
كيف أواجه الضوضاء . حقا ان عيني ضعيفتان للغاية ،  
ولكننى سأتابع المسرحية حتى لو فقدت البصر . تماما . . اننى  
سأذهب لمشاهدة هرناني حتى ولو اضطررت الى أن أرهن  
شخصي العجوز ، وان كان أحد للأسف لن يعطيني شيئا  
كبيرا لقاء ذلك . . . »

والواقع أن أديل كانت شديدة الرغبة فى أن تشاهد مرة ثانية هذه المسرحية التى كانت تذكرها بآخر عام سعيد فى حياتها الزوجية ، فلم تقتصر على حضور الحفل الافتتاحى فقط . . بل شاهدت كذلك بروفات المسرحية جميعا . وكانت الصحف تشير الى وجود « مدام فيكتور هوجو » فى باريس ، وكانت أديل تحب ذلك وتقول : « يا له من اسم مشهور ذلك الذى أحمله ! . . » وكان الطلبة اذا شاهدوها يتجهرون حولها ، ولقد قال لها أحدهم ذات مرة : « ان فيكتور هوجو هو ديننا ! »

وكان النجاح عظيما . . وبعثت أديل الى زوجها تقول : « انه حماس جنونى ! ان الناس كانوا يقبلون بعضهم بعضا . . وقد فاقت حماسة الشباب كل حد . لقد أثبت الشباب الله شجاع وعالى استعداد لكل شيء . اننى سعيدة . . بل اننى فى السماء ! »

وكتب سانت بوف الى أديل يقول : « سيدتى العزيزة . . ان هذه شهادة رائعة يقدمها شبابنا ، وهكذا فان لكل عبقرى ساعته ، وعبقرية زوجك الآن فى وضوح النهار . ولشد ما أشعر بالندم المر وانا مسمر هكذا فى مقعدى لاننى لم استطع أن أشارك فى هذا المهرجان الشمسى ولو بزيارة الى المسرح ، كى أسمع عن قرب هذا التصفيق الحاد الجميل الذى يوقظ فى انفسنا كثيرا من الأصدقاء ، وذلك كى اثبت أننى متمسك بالأفقد مكانى بين المدافعين القدماء عن مسرحية هرنانى . . »

وكان سانت بوف بدوره ، يحس بأن شبح الموت قد بات قريبا منه هو الآخر ، ولم يعد للكرامية والخلافات مكان فى

القلب ولا متسع من الوقت . . . وها هو ذا يرسل خطابا الى الشاعر شارل بودلير ، الذى كان من الأصدقاء الذين يترددون على بيت هوجو ، يقول فيه :

« ان حب هوجو للانسانية موجود دائما فى أصغر شيء يكتبه . وكم هو لطيف منك أن تتحدث عنى أحيانا الى مدام هوجو . . . انها الصديقة الوحيدة المثابرة التى كانت لى فى هذا العالم . ان الاخريات لم يغفرن لى أبدا ان افترقت عنهن فى لحظة معينة . . . اننى أجد تلاميذ الطريقة الاخيرة ثقيلى الدم للغاية ، وأعتقد أنهم لم يولدوا الا للتهريج على المدرسة التى توشك أن تنتهى (١) ، وليطبعوها بطابع ثابت من السخرية . . . ولكن هوجو يحلق فوق هذا كله فى غير اهتمام . اننى مقتنع بأننا لو كنا قد تقابلنا معا مباشرة ودون تدخل من أحد ، لاستيقظت الشاعر القديمة فى أليافها الدفينة ، اذ لم يحدث قط أن رأيته مرة دون أن نتفاهم بعد بضع ثوان ، كما كان يحدث فى الزمان الماضى . . . »

وقام « بودلير » بإيصال هذا الخطاب الى آديل التى أطلعت عليه زوجها ، ولكن آديل وسانت بوف سرعان ما استراحا من خلافات ومصالحات هذا العالم . . . وفى ٢٦ أغسطس عام ١٨٦٨ ، خرجت آديل مع زوجها فى المركبة ، وكان هوجو يبدو رقيقا جدا وكذلك كانت آديل مرحة للغاية . وفى اليوم التالى أصيبت آديل بأزمة قلبية فارقت على أثرها الحياة ! وكانت آديل قد كتبت الى زوجها قبل وفاتها بشهر واحد تقول :

---

(١) يعنى « سانت بوف » بذلك المدرسة الرومانتيكية



« حين أمسك بك ، سأعلق بك دون أن أسألك الاذن . .  
اننى حينئذ سأكون حلوة ولطيفة جدا لدرجة أنك لن تجد  
الشجاعة لتهجرنى . . ان آخر أحلامي هو أن اموت بين  
ذراعيك . . »

وقد تحققت هذه الأمنية . .

ودفنت آديل كـرغبتها فى فيليكييه الى جـوار ابنتها  
ليوبولدين . ولم يستطع هوجو أن يرافق جثمانها الا الى  
الحدود ، ولكنه أمر بأن يحفر على شاهد قبرها هذه العبارة :

« آديل زوجة فيكتور هوجو »

ترى هل كان ذلك كبرياء منه ؟ أو هى رغبته فى أن يستعيد  
بعد الممات تلك المرأة التى أفلتت منه فى حياتها يوما ما ؟ أو  
أطراء لاخلاص الزوجة الصديقة ؟ أم أنه اعتراف بجميل  
جولييت ؟

لا أحد يعلم ! . .

وحين عادت جولييت الى جزيرة جيرنيزى ، لم تحاول أبدا  
أن تغرى الرجل الأرمل بالزواج منها . . بل لقد احتفظت  
بذكرى آديل حتى آخر أيامها باحترام يقارب حد العبادة .  
وكتبت فى ١٠ اكتوبر من عام ١٨٦٨ تقول :

« اننى أود من هذه الشاهدة على حياتك فى الدنيا أن  
تفضل على بأن تكون شاهدتى أمام الله فى السماء . . اننى  
أطلب الاذن من الله بأن يدعنى أحبك حتى آخر أيامى فى هذه  
الدنيا ، وفى الآخرة . . اننى أطلب منها كذلك أن تهبنى بعض  
هذه الموهبة التى كانت تجعلك سعيدا ، وأتشم أنها ستمنحها  
لى لأنها تعرف الآن ما يدور فى أعماق قلبى . . »

## جنية نهر الأور

دخل القطار الذى يحمل جثة شارل هوجو باريس والاضطرابات تسود العاصمة ، وكانت حكومة باريس الثورية فى الحكم ..

وفى محطة أورليان بباريس ، كان هناك جمهور غفير ينتظر وصول فيكتور هوجو مع جثمان ابنه الميت ، وما أن أنزل النعش من القطار حتى تجمع حول عربة نقل الموتى حرس شرف منكس السلاح .. وعلى طول المسافة من ميدان الباستيل حتى مقبرة بير لاشير اصطف جنود من الحرس الوطنى لتحية الكاتب الكبير وابنه الميت

وقبل انزال النعش الى القبر ، ركع هوجو على ركبتيه كعادته ، وقبل الصندوق فى خشوع .. ولما انتهت مراسيم الدفن ، كان الناس يحيطون به من كل جانب وقد أمسكوا بيديه مواسين فى رفق ، وكان لكل تلك العناية فى نفس هوجو ابلغ الأثر فتمتم يقول : « كم يحبني هذا الشعب وكم أحبه ! »

وكان على هوجو أن يرحل فجأة الى بروكسل فى صحبة جوليت وأرملة ابنه شارل وولديها ، وقد لأمه الكثيرون على ذلك ظنا منهم أنه يؤثر الابتعاد بدلا من أن يختار بين حكومة بوردو للجمهورية الثالثة وحكومة باريس الثورية ، والواقع أن وجود هوجو فى بلجيكا فى هذه اللحظة كان ضرورة ملحة

.. اذ أن شارل وزوجته أليس قد اعتادا أن يلعبا القمار في مدينة « سبا » (١) ، وخسرا في ذلك مبالغ ضخمة ، ومن ثم فكان يجب تسديد هذه الديون ..



ومن بروكسل ، كان هوجو يتتبع الأحداث التي تجري في باريس في اهتمام واهتمام ، فقد كانت الحرب الأهلية تمزق البلاد .. وفي كل يوم تقريرا ، كان يبلغه نبأ موت أحد الأصدقاء أو القبض على أحد المعارف

ونشر مقال هوجو عن حق « الالتجاء السياسي » في جريدة الاستقلال البلجيكية ، وتلقى الكاتب كثيرا من خطابات التهئة والاعجاب ، ولكن حدث في نفس الليلة أن استيقظ أثناء الليل على صوت أحجار تحطم زجاج النوافذ ، وهتافات تنادى قائلة : « الى الموت يا فيكتور هوجو ! الى المشنقة ايها المجرم .. ! »

كان المتظاهرون حوالى خمسين شابا من الرعاع جساءوا بتحريض من البروسيين ، وحاولوا تحطيم أبواب البيت للدخول ولكنهم لم يفلحوا ، فعادوا أدراجهم وهم يسبون .. والواقع أن هذا الحادث لم يكن على جانب يذكر من الخطورة ، غير أن هوجو فوجيء في اليوم التالي بمرسوم صادر من الحكومة البلجيكية يأمر : « مسيو فيكتور هوجو المشتغل بالأدب والبالغ من العمر تسعة وستين عاما بمغادرة البلاد في الحال ، ومنعه من العودة اليها في المستقبل »  
والآن ما العمل ؟ .. ان العودة الى فرنسا في تلك اللحظة

معناها أن يعرض نفسه لأحداث عنيفة لا جدوى منها ، وبعد ساعات من التفكير قرر أن يذهب الى لوكسمبرج ..

ان هوجو كان قد سبق له زيارة لوكسمبرج أربع مرات مع جوليت خلال رحلات الصيف ، وكان قد توقف أربع مرات في مدينة فيانندن الصغيرة ، حيث عرفه أهل البلدة ، وازدحموا تحت نافذة بيته هاتفين بحياته ، فلم لا يذهب ليعيش هناك في سلام ؟

ورحل هوجو الى لوكسمبرج ، وكان في انتظاره على رصيف المحطة جمهور غفير استقبله أروع استقبال . وكان هناك كثير من النساء الجميلات جئن يشاهدن الكاتب الرومانتيكى الشهير ، ويصفقن له في حماس

وفي بلدة فيانندن ، استأجر هوجو منزلين أحدهما لنفسه وهو بيت قديم مزخرف يطل على نهر الأور ، والآخر لاسرته، ويقع أمام البيت الاول . وما أن استقر هوجو في فيانندن حتى عكف على قصائده ورواياته من جديد ، وراح يعمل فيها بسعادة بالغة لم يكن يعكر صفوها سوى انباء باريس التى جاءته تقول أن بول موريس قد القى القبض عليه ، وأن أوجيست فاكرى موضوع تحت المراقبة . وأصبح من المعروف عن هوجو أنه يستقبل اللاجئين من موطنيه ، ويمد لهم يد العون ..

و ذات يوم ، جاءه خطاب من أرملة شابة لم تتجاوز الثامنة عشرة من عمرها تدعى مارى مرسية تطلب منه المأوى، وكان لها حبيب يدعى موريس جارو وكان يعمل صائعا للأقفال ، وقتل رميا بالرصاص أثناء الاضطرابات ، وكانت مارى ترجو الكاتب المعروف أيضا أن يجد لها عملا تعيش منه

وقبلت زوجة شارل أن تأخذ الفتاة خادمة عندها ،  
واتخذها هوجو عشيقة له ..

كانت ماري مرسية فتاة خميرية اللون ذات جمال رائع،  
ووجه مستدير ذي شفتين ممتلئتين ، وكانت باهمالها لنفسها  
ودموعها وسحرها الحزين الذي يختفى تحت نقاب الحداد  
المصنوع من «الدانتل» ذات جاذبية خاصة بالنسبة لعاشقنا  
الرومانتيكي !

والواقع أن ماري قد ترددت أول الأمر في أن تمنح نفسها  
لحب جديد .. ولكنها في غمرة يأسها وشبابها الفائر ، لم  
تلبث أن استسلمت لجاذبية الكاتب الشهير ، ولباقته الأسرة،  
وفي ذلك تقول : « لقد كانت لمسيو هوجو طريقة خاصة  
لا يسمع المرء معها إلا أن يقع في حبه »

وكان هوجو يحدثها عن الأزهار والحب والخلود ، مثلما  
كان يفعل في الماضي مع جوليت ، وكانت ماري من ناحيتها  
تحب هوجو حبا جما ، وتسبح أمامه عارية في مياه نهر  
« الأور » الصافية كي تبعث في نفسه السرور ، وكانت أمنيتها  
أن تلد له طفلا جميلا

وكان « الشيخ الشاب » يصحبها في نزهات طويلة يتسلق  
فيها الجبال والتلال المجاورة في شغف ونشاط يحسده  
عليهما الفتیان ، ثم يعود من نزهات الغرام فيعتكف وحده  
في غرفة مكتبه ليكتب : « السنة الرهيبة » (١) ، وقصائد  
لديوانه « أسطورة القرون » الجديدة

وكانت ذكريات ماري مرسية الدامية وقصصها الحزينة  
التي كانت ترويها للكاتب ، توحى إليه بأشعار رائعة كثية

---

L'Année Terrible (١)

يتحدث فيها عن فتيات شبابات يقابلن الموت في احتقار متعال  
وليس هناك شك في أن علاقته بماري مرسية ، نشطت  
روحه الى درجة عجيبة .. حتى أنه استغرق في عمل متصل  
طيلة شهرين كتب خلالهما مجموعة من أروع أشعاره . وكان  
هوجو يكتب مذكراته عن ماري باللغة الاسبانية كي يجنبها  
غيرة جوليت وفضولها ، وأخيرا أعطى الارملة الشابة مبلغا  
من المال وأشار عليها بالسذهاب الى « ألتويز » حيث فتحت  
هناك محلا لبيع القبعات ..

وفي سبتمبر من عام ١٨٧١ ، تلقى هوجو برقية من صديقه  
بول موريس يخطره فيها بأنه قد استأجر له مسكنا بشارع  
لاروشفوكو لمدة عام ، وكان هوجو قد علم قبل ذلك بأن كاتبها  
يدعى اكزافييه دي مونتبان قد قدم طلبا الى « جمعية الكتاب  
المسرحيين » يطالب فيه بفصله من الجمعية ، فقرر العودة الى  
باريس وأرسل الى موريس يخطره بهذا القرار

ووصل هوجو الى باريس في أكتوبر ، فبدأ له عام ١٨٧١-  
١٨٧٢ الى حد ما كئيبا كالحا ، وأحزنه أن يرى جميع المنازل  
التي عاش فيها من قبل قد تحولت الى كومة من الانقاض . ومع  
ذلك ، كان هوجو يصر على ان يذهب لزيارتها في صحبة  
جوليت ..

ولم يكن هناك شيء يستطيع أن ينتزع الكاتب من أحزائه  
غير العمل والنساء . ان الحسان كن لايزلن يلعبن دورا كبيرا  
في حياته على الرغم من بلوغه السبعين من عمره !



وفي يناير من نفس العام ، تقرر إعادة عرض مسرحيته  
« روى بلاس » من جديد على مسرح أوديون ، فكان ذلك سببا



فى أن يصبح الكاتب مرة أخرى قريباً من الممثلات • بالتصاريّف  
الاقدار ! ان الدور الذى كانت آديل قد فوتت على جوليت  
دروويه فرصة القيام به منذ خمسة وثلاثين عاماً هو الآن من  
نصيب ساره برنار ، الممثلة الناعمة ذات الصوت الذهبى  
والعينين الواسعتين

كانت سارة تبدو أثناء البروفات كطفلة مدللة ، وكان  
لا يروق لها أن تستمع الى الملاحظات الكثيرة التى كان يبديها  
« الاستاذ العجوز » أثناء التمثيل • ولكن هذا الاستاذ الذى  
كبح جماح عشرات من الممثلات غيرها جعلها تسير كما يشاء ،  
ولكنها ما لبثت أن استلطفّت هذا « الوحش » العجيب ،  
وكتبت فى مذكراتها تقول : « • • كان الوحش لطيفاً خفيف  
الظل ورقيقاً للغاية وخاصة مع النساء • • ان رقتـه التى  
أبداها ، كانت لى بمشابة الاطراء لا تعالى والغرور ، وهو  
انسان طيب مع المتواضعين • حقا انه لم يكن نموذجاً للاناقة ،  
ولكنه كان جذاباً حلو الحديث حتى أن المرء ليفطن لاول وهلة  
الى أنه عضو سابق فى مجلس الاشراف • ولما كان يريد أن  
ينهر أحد الممثلين فانه كان يزجره بالشعر • • • وكنت أجلس  
ذات مرة أثناء البروفة على احدى المناضد وأنا أهز ساقى ،  
وفجأة رأيته يقف وسط الفرقة الموسيقية ويصيح فى قائلاً :  
ان ملكة اسبانيا المحترمة الشريفة لا تجلس هكذا بهذه  
الطريقة ! »

وفى ٢٠ فبراير عام ١٨٧٢ ، دون هوجو فى مذكراته هذه  
الملاحظة : « صالة المسرح ممثلة عن آخرها • وكانت ساره  
برنار رائعة ، وقد هنأتها • • • كما دون فى ٢٨ مارس من نفس  
العام : « لقد ذهبت الى مسرح أوديون ورأيت الأنسة ساره

برنار فى غرفتها الخاصة ، وكانت ترتدى ملابس التمثيل ٠٠ «  
وفى حفل عشاء أقيم فى مطعم بريبان بمناسبة نجساح  
مسرحيته ، كان الكاتب الكبير محاطا بعدد من النساء الحسنان  
من بينهم ساره برنار التى قالت له فى صوت يفيض رقة  
وأنوثة : « هيا قبلنا جميعا ٠٠ وأبدأ بى أنا ! » • فلما فرغ  
هوجو من تقبيل الحاضرات جميعا ، أضافت ساره تقول :  
« والآن ، فلتختم بى أنا ! »

هذا ، وقد سجل هوجو فى مذكراته فقرات يفهم منها أن  
ساره قد زارته أكثر من مرة ، وفى احدى هذه الفقرات كتب  
يقول : « إنها لن تحمل ٠٠ » - ترى أكانت ساره ترغب فى  
نفس الشىء الذى كانت تتمناه الارملة الشابة مارى مرسييه؟  
لقد كتبت بعد ذلك فى مذكراتها : « تأجل السفر ، والسبب  
الحقيقى فى ذلك هو خوفى من أن أسبب إزعاجا لفيكتور  
هوجو ٠٠ اننى مريضة وعصبية وثائرة بسبب أنانية الناس  
وغباثهم ، وسوف أبذل غدا آخر محاولة ٠٠ »





# مغامرة جديدة

— ١٧٩ — ١٢ — غراميات فيكتور هوجو

## مغامرة جديدة

وكان هناك عدد كبير من الممثلات والآديات الناشئات  
وسيدات الصالونات ، يعرضن أنفسهن على الكاتب الشيخ  
الذى كان يتدفق شبابا وحيوية . وكان العاشق الرومانتيكى  
لا يستثنى منهن واحدة ما دام الجمال من صفاتها

أما ملكة الساعة ، فكانت « جوديت جوتييه » ، (١) وهى  
حسنة ذات جمال رائع وفتنة طاغية ، تملك ثروة من الشعر  
الفاحم والرموش الطويلة . .

وكانت جوديت شابة فى الثانية والعشرين من عمرها ،  
رشيقة القوام ، وأسعة العينين ، وردية البشرة ، يمتزج فى  
نظراتها السحر بالخمول المثير . وكان هوجو يعرف جوديت  
ويغازلها منذ أن كان فى بروكسل حيث كانت مع زوجها  
« كاتول مانديس » . وفى عام ١٨٧٢ ، التقيا فى باريس من  
جديد فحدثته جوديت كثيرا عن والدها الذى كان يعاني  
مرضا خطيرا فى القلب ، وكان مضطرا مع ذلك الى مواصلة  
الكتابة فى سبيل العيش

وعرض هوجو مخلصا أن يأخذ الوالد المريض معه الى جزيرة  
جيرنيزى ، ولكنه حين علم أن هناك خطورة على حياته من  
السفر ، لم يهدأ حتى حصل له على معاش  
وفى ١٢ يوليو عام ١٨٧٢ كتب هوجو لجوديت هذه  
القصيدة :

---

(١) ابنة الكاتب الناقد تيوفيل جوتييه المعروف باسم « تيو الطيب »

« ان الموت والجمال شيثان عميقان »  
« وفيهما من الظلال وزرقة السماء الكثير »  
« انهما شقيقان فى العنف وفى الخصوبة »



« وفيهما نفس الغز ونفس السر .. »  
« آه ! يا جوديت ! .. ان مصيرينا قريبان جدا الواحد من الآخر »

« حتى أن الناس حين يرون وجهى ووجهك »  
« يعتقدون أن الهوة الالهية كلها موجودة فى عينيك »



« إئننى أشعر فى روحى بهوة كلها نجوم »  
« ونحن قريبان ياسيدتى من السماء »  
« لانك جميلة وأنا عجوز .. »

كان هوجو فى ذلك الوقت فى السبعين من عمره ، وكانت جوديت كما قلنا فى الثانية والعشرين ، ولكنها كانت له .. انها وعدت بأن تهب له نفسها فى رقة ، وهى تذكره ببنت من احدى قصائده فى مسرحية روى بلاس : « أيها الأستاذ .. إن رجلا هناك فى الظل تحت قدميك .. انه ينتظر ! »  
وأخيرا كتبت إليه تقول : « لقد فكرت .. اننى مصممة ، وشكرا .. جوديت .. »

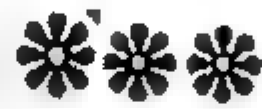
وكانت غزوة مليئة بالنشوة ، حتى أن هوجو تمنى لو أنها رحلت معه إلى « منزل المدينة العالية » ، فقد كان يفكر جديا فى العودة الى جيرنيزى ويحن اليها . وكانت جوليت من ناحيتها تلح عليه فى ذلك بدافع من غيرتها وعشقها للهواء الطلق ، وكثيرا ما كانت تقول له : « آه ! جيرنيزى .. يالها



من جزيرة جميلة . . . « وكان هوجو نفسه يحزن الى ذلك :  
« بما أننى أصبحت غريبا وسط المدينة . . .  
« وبما أننى أهذى الى هذه الدرجة لما أفكر . . .  
« فلا نصر هناك غير نصر الحب . . . »

الواقع أن هوجو كان لا يجد لنفسه فى ذلك الوقت مكانا  
من حوله ليجعل الرحيل أمرا مرغوبا فيه . وما ان حل شهر  
أغسطس عام ١٨٧٢ حتى أصبح هوجو يتمنى أن يعود الى  
المنفى « ذلك المنقذ الآمين » !

وفى اليوم السابع من نفس الشهر ، كان هوجو مرة أخرى  
فى طريقه الى جزيرة جيرنيزى



نحن الآن من جديد فى « منزل المدينة العالية » وأمامنا  
الامواج العالية والمناظر المكشوفة التى يغمرها الضوء . .  
وهاهى ذى جوليت مرة أخرى تقف كل صباح ، على  
عادتها فيما مضى ، لتتقرب الإشارة المألوفة ، وتحس بالسعادة  
اذ ترى حبيبها يسير فى عمله بخطوات واسعة ، ويكتب القصائد  
لاسطورة القرون الجديدة ، ويمضى قدما فى تأليف رواية من  
أجمل رواياته « ثلاثة وتسعون » (١)

وكان يشيع فى أرجاء المنزل ، فى أول الامر ، جو المرح  
والوئام ، بفضل وجود أليس وولديها حفيدى الكاتب الشيخ ،  
ولكن الارملة الشابة كانت لاتطبق العيش تحت سيطرة  
جوليت ، هذه العجوز التى يحبها والد زوجها . وكانت  
جوليت بدورها تبادله نفس الشعور ، فقررت أليس بعد

شهر وإحد أن تعود مع جورج وجان الى باريس . وكتبت  
جولييت الى هوجو تقول : « ان الالم يعصر قلبي كلما فكرت  
فيما سيثيره في نفسك رحيلهما من حزن ، اذ أنني أشعر على  
الرغم من حبي لك بأن هذا الحب لا يستطيع أن يمنعك من أن  
تكون أشقى الآباء جميعا في هذه اللحظة .. »

وفي أول أكتوبر ركت أليس الباخرة مع ابنها جورج وابنتها  
جان ، وسافر معهم أيضا فرانسوا فيكتور الذي كان مريضا  
بالسل .. وكتب هوجو في مذكراته يقول : « لقد ركبوا  
العربة .. وبينما كنت أقبل جان ، قالت لي وقد ارتسمت  
علامات الدهشة على محياها : لماذا لا تتركب معنا يا جدي ؟ لقد  
رحلت العربة ، وهأنذا أشيعها ببصري حتى ناصية الشارع  
.. لقد اختفى كل شيء .. أنه تمزق عميق ! »

وفي ١٥ أكتوبر يقول : « لم تأتني أية انباء من صغاري !  
وان عدم رؤيتي لهم سيختزل حياتي ، وليس في ذلك ضرر  
كبير .. »

وكتب في ٢١ نوفمبر :

« أبدأ اليوم في كتابة «ثلاثة وتسعين» ، وعندي في غرفتي  
صورة شارل وصورتني جورج جان . وقد أخذت محبرة البللور  
التي اشتريتها من باريس ، وفتحت زجاجة جديدة من الحبر  
ورزمة من الورق الفاخر اشتريتها خصيصا لهذا الكتاب ،  
وريشة قديمة جيدة وبدأت في كتابة أول صفحة .. »

وفي ١٦ ديسمبر : « سأكتب ابتداء من الآن دون توقف  
وبلا مسودات ان شاء الله .. »

وكانت الكتابة بلا مسودة هي طريقته أيام «أحذب نوتردام»  
وقت أن كان في الثلاثين من عمره .. والآن ، هاهو ذا في

السبعين ولكنه لا يقل نشاطا ولا مثابرة . أن الشيخ يقف أمام  
منضدة الكتابة عشر ساعات كاملة لا يجلس خلالها إلا لماما ،  
اذ كان من عاداته ألا يكتب الا واقفا وعلى مكتب عال كقطر  
المدارس

وكانت جوليت أثناء ذلك تعجب أشد الإعجاب بنشاط  
سيدها واستغراقه في العمل ، وكانت تكرر نفس الدعاء الذي  
قاله من أجلها فيما مضى :

« يا الهى ! اجعلنا نعيش معا على الدوام ! لا تجعله يتخلف عن  
أى يوم فى حياتى ولا عن أية لحظة من خلودى . . ادمجنا معا ،  
ولتجعل متى فى الحياة وفى الآخرة امرأة نافعة محبوبه : نافعة  
لحبيبى ومحبوبة منه . أنقذنا يا إلهى ، وطهر نفسينا ،  
 واجمع بيننا . . »



## شجرة البلوط

وكانت جوليت قد أقدمت على عمل لا ينطوى على الحذر أثناء وجودها بباريس فى مارس عام ١٨٧٢ ، إذ استعانت بفتاة لغسل الثياب فى الثانية والعشرين من عمرها تدعى الأنسة بلانش ! وكانت بلانش ذات جمال من ذلك النوع الصاعق الخطير ، ولم تكن الى هذا بغير ثقافة ، فقد كانت تحفظ كثيرا من الاشعار ولا سيما اشعار « مسيو فيكتور هوجو » وتجيد الكتابة والاملاء بخط جميل ، ولذا كانت « مدام دروييه » التى انهكتها أعمال السكرتارية تفكر فى أن تعتمد عليها فى إعادة كتابة قصائد وروايات هوجو وكانت بلانش فتاة عاقلة ذات صفاء خال من الميوعة ، ورائها جوليت عند اصدقائها أسرة لانفان فى باريس ، ففكرت فى أن تأخذها معها الى « منزل المدينة العالية » ، دون أن يخطر ببالها أنها تعرض بذلك سعادتها هى بنفسها للخطر !



ولدت بلانش فى عام ١٩٤٨ من والد وأم مجهولين ، فتربت عند « آل لانفان » الذين عاملوها معاملة طيبة — وها هى ذى الآن قد أصبحت فتاة نضرة ذات عينيْن سوداويْن ، وقوام فاتن ، تجمع حركاتها وايماءاتها بين الجد والاتزان والرشاقة الأسرة

وهكذا ، وجدت هذه الفتاة نفسها ذات يوم فى « منزل

المدينة العالية « بمفردها مع عجوز البحر الذى بدأ يؤثر عليها بسحره « الذى لا يقاوم » ! ولما كان الاعجاب طريقا الى الحب ، وبما أن مسيو هوجو تتوفر فيه صفات نادرة هي خليط من المجد والعبقرية والحيوية العجيبة ، فكيف يمكن أن تصمد معجبة يافعة كهذه أمام كل هذا الخليط من عوامل الاغراء ؟

وحاول هوجو من ناحيته ألا يقع فى الاغراء فترة من الوقت، ويدلنا على ذلك ما كتبه فى مذكراته فى ٢٧ يناير عام ١٨٧٣ ليقول : آه .. بلانش ! انها خطر كبير ، فكن على حذر اننى لا أريد بها سوءا ولا لمالكة قلبى ... » ومع ذلك فقد كانت الفكرة تعيش فى خاطره على الدوام :

« كنا نحس بأننا ننزلق على المنحدر فى غموض .. »

« ذلك المنحدر الذى يؤدى الى مكان لا نعلمه .. »

« يؤدى غالبا الى النار .. ولكنه يمر بالجنة »

« ولكنها كانت تفكر فيما كنت أفكر فيه .. »

وكان هوجو يناديها باسم « ألبا » ويكتب من أجلها أجمل القصائد .. والواقع أن بلانش قد دافعت عن نفسها فى بطولة على الرغم من أعجابها الشديد بعجوز البحر العبقري ، وقد دون هوجو فى مذكراته هذه الفقرة التى تخول لنا أن نستنتج مثل هذا الاستنتاج : « لم تسمح لى الى الآن بأن أرى سوى جزء من كتفها ... » ، ولكن الفتاة المسكينة استسلمت آخر الامر ، وأعطت نفسها للاستاذ بعد شهور من المقاومة . لقد منحته نفس السعادة التى كانت تمنحها إياه جوليت من قبل ، وكان يقول ذلك للفتاة ، كما كان يقوله لكل من عرفهن من النساء اللاتى أبدن نحوه بعض المقاومة !

ولم يكتب الاديب الشيخ في حياته قصائد ملتهبة ، كما كتب في هذه الفترة من حياته .. ان انتصاراته الغرامية دائما تشحذ قواه ، وتخلق في نفسه مزيدا من القدرة على الابتكار . والان ، ها هي ذى النزهات الجميلة التى يقوم بها في رفقة بلانش بين حقول جيرئيزى تعيد الى القمح نضجه وجماله !

ومن سوء حظ هوجو ان جوليت ، وهى تتميز بحاسة قوية فى شم « رائحة » الكوارث ، ما لبثت ان ادركت ما يدور فى « منزل المدينة العالية » ، على الرغم من انه كان لا يزال يرسل اليها بترائيله المعتادة : « ان فى يقبل قدميك ، وروحي تقبل روحك ... »

ولكن هذه الروح التى لم تثق فيه ابدا ، حاولت ان تستخلص اعترافا من الفتاة بالخيانة .. وبكت بلانش كثيرا بين يدي مدام دروييه ، وأكدت لها وهى تعتذر انها مخطوبة .. فكان من الطبيعى والحالة هذه ان ترد عليها مدام دروييه قائلة : « تستطيعين اذن ان تعودى الى خطيبك ! »

وكتب هوجو فى مذكراته بتاريخ ١ يوليو ١٨٧٣ : « ستخرج بلانش من عند جوليت ، وستحل محلها « هنرييت مرفان » فى ١٥ يوليو ، وسترحل بلانش هذا الصباح عائدة الى باريس عن طريق جزيرة جرزى ... »

وفى نفس اليوم ، كتبت اليه جوليت تقول : « اتنى اجمع فى انفعال حاجيات بلانش المسكينة استعدادا للرحيل ، مع ان لدى من الاسباب ما يجعلنى لا آسف على ذلك .. وعلى أية حال فهى نفسها تتمنى ان ترحل ، ووجها يشرق بالسرور فى هذه اللحظة ، وأرجو لها ان تجد السعادة فى باريس ،



واننى لعلى استعداد لمعاونتها ما دام ذلك لا يكون على حساب  
سعادتى ...

وربما كانت بلانش صادقة فى زعمها أنها ستتزوج فى  
باريس ، وربما كان هوجو مخلصا كذلك حين وعد جوليت  
وأقسم لها أنه لن يعود الى رؤيتها من جديد ، ولكن هل يبر  
المرء بوعده على الدوام ؟



وكانت جزيرة جيرنيزى تبدو لهوجو بغير « ألبا » كئيبة  
موحشة ، خاصة وأن الانباء كانت تأتية بأن حالة ابنه المريض  
فرانسوا فيكتور قد ساءت كثيرا . وفى الحادى والثلاثين  
من يوليو - أى بعد انقضاء شهر على رحيل بلانش - غادر  
هوجو مع جوليت جزيرة جيرنيزى عائدين الى باريس  
وما كاد هوجو يصل الى باريس ، حتى ذهب من فور  
لزيارة فرانسوا فيكتور ، فوجده شاحب الوجه فى حال  
شديدة من الضعف والهزال ، وكانت اليس الطيبة القلب  
تحيطه بعنايتها ..

وأقام هوجو بشارع دى تورنيل الذى يطل على رصيف  
نهر السين ، وذهب لرؤية بلانش بمجرد أن استقر فى مقامه  
الجديد بالرغم من قسمه لجوليت ..

وكانت جوليت المرتابة قد استعانت أثناء ذلك بوكالة  
للمباحث الخاصة لموافاتها بأخباره ، وفى ١٨ سبتمبر عام  
١٨٧٣ اكتشفت خيائته ، فما كان منها هذه المرة إلا أن فرت  
هاربة بعد أن كتبت له خطاب وداع ..

وفى اليوم التالى دون هوجو فى مفكرته : « كارثة خطاب  
جوليت .. قلق مزعج .. ليلة مزعجة .. »

وأثار هرب جولييت فى نفس هوجو يأسا وقلقا عظيمين ،  
فراح يبحث عنها فى كافة أرجاء العاصمة ، ويرسل البرقيات  
الى الامكنة التى يحتمل أن يكون فيها ، وقد جاء فى مفكرته:  
من ٢٢ الى ٢٤ سبتمبر ، ثلاثة أيام من القلق والهـواجس  
رأيت فيها كل أنواع العذاب ، ومع ذلك فيجب على أن احتفظ  
بمظهرى الطبيعى ، وبالبرود اللازم لحفظ السر . . اننى  
أحتمل ولكن قلبى يتحطم . .

وهذات ثأثرته بعض الشيء ، حين علم أن جولييت شوهدت  
فى بروكسل ، فصاح متهللا : « حسنا ! ان هذا يمكن أن يلقى  
بصيصا من الضوء . . . »

واستطاعوا أخيرا أن يعثروا على مكانها ، وقبلت أن تعود  
الى باريس . وسجل هوجو فى مفكرته بتاريخ ٢٦ سبتمبر:  
« لن أحضر البروفة النهائية لمسرحية مارى تيودور لثلا  
أتخلف عن استقبال جولييت بالقطار الذى يصل فى التاسعة  
وخمس دقائق . . ذهبت الى المحطة قبل الموعد بخمسة  
وأربعين دقيقة ، ولم أكن قد تناولت أى طعام فاشترت  
رغيفا وأكلت نصفه . . وصل القطار فى الموعد المحدد ، ومرة  
أخرى رأى كل منا الآخر ، وكانت سعادتى برؤيتها لا يعادلها  
إلا ما كنت أشعر به من يأس . . . »

والواقع أن حب هوجو لجولييت كان يختلط بحنان دفين ،  
والدليل على ذلك أنه حينما اعتقد أنه قد فقدتها الى الأبد ،  
كتب فى مفكرته يقول : « ان روحى قد ذهبت » ، ولكن  
جولييت من جانبها لم تكن تستطيع أن تتصور مقدار ما وضعته  
الطبيعة فى الشيخ العجوز من قوة عجيبة كانت تجعله شابا  
فى الوقت الذى كانت ترى فيه نفسها تذوى وتذبل . وكانت  
قد كتبت تقول له فى خطاب الوداع : « كل ما أعرفه أننى لن

استطيع ان اقاوم هذا الصراع الذى يتجدد على الدوام :  
صراع حبي العجوز ضد هذه الاغراءات الشابة التى تعرض  
نفسها عليك .. ولست أريد أن أنقص عليك حظك الطيب ،  
ولكننى لا أستطيع أن أمتنع نفسى من أن أشعر بأن هذا  
الحب الشائخ ضئيل أمام كل أولئك الفتيات اللاتى ينادينك  
كما ينادى الدجاج الديك ، فى الوقت الذى تنهك فيه حمامتى  
الرمزية المسكينة نفسها فى الهديل .. ولهذا ، فقد قررت  
أن أضع مفتاح قلبى تحت عقب بابك وأن أذهب لاهيم على  
وجهى .... »



ولكن القدر كان يدخر للكاتب الشيخ مفاجأة جديدة ،  
اذ مات ابنه فرانسوا فيكتور فى ٢٦ سبتمبر عام ١٨٧٣ ،  
فكتب فى مفكرته يقول : « هاهو ذا تصدع ضخيم يصيب حياتى  
من جديد ، اذ لم يعد لى سوى جورج وجان .... »  
ودفن فرانسوا فيكتور بعد تشييع جثمانه فى جنازة  
مدنية كشقيقه شارل ، وكتب «جوستاف فلوبير» الى «جورج  
صاند» يصف الجنازة فقال : « ياله من جمهور هائل ! ومع  
ذلك فلم تكن هناك أقل فوضى أو صيحة واحدة .. ان الاب  
هوجو المسكين كان محطما تماما ، ولكنه كان يحتمل الألم فى  
شجاعة نادرة .. حتى أننى لم أستطع أن أمتنع نفسى من أن  
أقبله ... »

وعلى الرغم من كل تلك الضربات المتلاحقة ، فقد ظل  
الاديب الشيخ صامدا كشجرة البلوط العتيقة .. انه يعمل  
بلا كلل ، ولا ينسى بجود فنه . يقول بول فاليرى : « يالهيا  
من أشعار عجيبة عملاقة تلك التى ألفها هوجو فى الفترة  
الاخيرة من حياته ! انها أشعار لا تضارعها أشعار أخرى  
فى ضخامتها ، ودسامتها واتساقها ، وعظمة إيقاعها ونغماتها »

العودة.

## العودة

في عام ١٨٦٩ ، كانت الحال في فرنسا تنبئ بوقوع أحداث هامة في الحياة السياسية قد تؤدي الى تغيير اساسي في نظام الحكم . .

وكان نفوذ هوجو وقتئذ في باريس قد بلغ حدا كبيرا ، حتى ان البعض كانوا يظنون ان عودته خليفة بان تؤدي الى قلب نظام الحكم . . !

وكتب هوجو في مفكرته في ٩ اغسطس عام ١٨٧٠ يقول :  
« سأضع توا كل مخطوطاتي في الحقائب الثلاث ، استعدادا لان اؤدي واجبي امام الاحداث . . . »

وفي ١٨ اغسطس توجه هوجو الى المفوضية الفرنسية في بروكسل ، وقابل القائم بالاعمال واخبره بأنه يريد ان يعود الى فرنسا ليؤدي واجبه ، ولكنه لا يعترف بالامبراطورية .  
وكتب هوجو في مفكرته في اليوم التالي يقول :

« لقد عاملني الرجل في أدب كبير ، وما ان رآني حتى ابتدرني قائلا : انني أحب قبل كل شيء ان أحيي شاعر القرن العظيم . . ثم طلب مني ان أنتظر حتى الليل ، وأخبرني بأنه سيرسل الى جواز السفر في البيت »

وأخذت صحف بروكسل تعلن عن عودة هوجو الى بلاده ، وأطلقت عليه اسم « الاب المجند » . . وكتب هوجو الى ابنه فرانسوا فيكتور يقول :

« ولدي فيكتور . . انني حزين لانني لست معك هناك .

لقد بدأ كل شيء يتعقد من جديد ، ونحن هنا نراقب الحال ،  
ومستعدون للسفر على شرط ألا يقول أحد أننا ندون لنجدة  
الامبراطورية ، لان هدفنا هو الاحاطة بها ، وسوف اخلص  
لهذا الهدف اخلاصا كبيرا . لقد أخبروني بأنهم سيعلقون  
القبض على لو عدت الى باريس ، ولكننى لا أعتقد ذلك . . . »



واستسلم الامبراطور في ٣ سبتمبر ، وفي الرابع من سبتمبر  
أعلن قيام الجمهورية ، وفي اليوم التالى ، كان هوجو واقفا  
أمام شبك التذاكر فى محطة بروكسل ، يقول لصارف التذاكر  
بصوت تهتز نبراته بالانفعال : « تذكرة الى باريس . . . »  
كان الاديب الشيخ يضع على رأسه قبعة من الجوخ ،  
وكان كيس نقوده معلقا فى كتفه يسير من الجلد . ونظر  
الرجل الى ساعته . . انها آخر لحظة له فى منفاه الطويل  
ثم التفت - وهو شاحب الوجه - الى كاتب شباب من  
أصدقائه يدعى جول كلاريتى ، وقال له :

- اننى أنتظر هذه اللحظة منذ تسعة عشر عاما

وركب معه فى ديوانه بالقطار شارل هوجو (١) ، وزوجته  
أليس ، وأنطون بروست وجول كلاريتى ، وجولييت دروييه  
واجتاز القطار الحدود ، وكان هوجو يرى من خلال  
نافذته تلك السهول التى لم يرها منذ تسعة عشر عاما تلمع  
تحت ضوء القمر . وترقرقت الدموع من عيني الشيخ ذى  
اللحية البيضاء الذى غادر بلاده فيما مضى ، وهو لم يزل بعد  
فى أوج الشباب . .

ودخل القطار محطة الشمال بباريس فى تمام التاسعة

---

(١) كان شارل هوجو قد فر الى بروكسل فى ابريل عام ١٨٧٠ بعد أن حكم  
عليه بالسجن لمدة ستة أشهر أخرى



والنصف مساء ، وكان هناك جمهور لا يدركه الحصر فى انتظار الاديب الكبير الذى استقبل استقبالا يفوق الوصف حتى انه اضطر لان يخطب أربع مرات . وكان الناس يهتفون بحياته قائلين : « يعيش فيكتور هوجو ! » ، وكان هنساك آخرون يلقون قصائد من ديوانه « العقاب » فى حماس كبير وحملته الجماهير على الاعناق تريد أن تذهب به الى قصر المحافظة ، ولكنه صاح قائلا :

— كلا أيها الاصدقاء ! اننى لم احضر لزعزاع حكومة الجمهورية المؤقتة ولكن لاؤيدها ..

ولما وصل هوجو الى شارع « فروشو » توقف أخيرا أمام بيت صديقه بول موريس ، حيث كان مقررا أن يقيم ، ثم قال للجماهير :

« لقد دفعتم لى فى ساعة واحدة ثمن عشرين عاما من المنفى »



## فى شارع كليشى

فى ابريل من عام ١٨٧٤ ، أقامت الاسرة فى رقم ٢١ شارع « كليشى » ، وكان هوجو قد استأجر فى هذا الشارع بيتا من طابقين ، أحدهما له ولأسرة ابنه شارل ، والاخر وبه غرفة الاستقبال تقيم فيه مدام دروويه

وكانت شقة هوجو بالدور الرابع ، ولكنه كان يصعد الدرج دائما دون أن يلهث على الاطلاق ، وحين آلمته أسنانه لأول مرة فى حياته أدهشه كثيرا أن يحدث ذلك !

وكان هوجو فى كل ليلة يستقبل اثنى عشر أو أربعة عشر ضيفا على مائدته ، فقد كان دائم التشاؤم من رقم ١٣ ، وكان يحب أن يجمع حوله كثيرا من السيدات الجميلات . وحينما يأتى الضيوف ، كان المضيف يقف ليستقبلهم واحدا واحدا فى نشاط مرتديا رباط عنق من الحرير الأسود أو الابيض تحت ياقة أنيقة منشأة ، وكانت مدام دروويه تقف إلى يمينه وقد ارتدت ثوبا جميلا من القطيفة السوداء المحلى بالدانتيل ، وشعرها الابيض الجميل يتوج رأسها الرقيق ..

أما قائمة الطعام فكانت لا تكاد تتغير ، لان هوجو كان يحب دائما نفس الاصناف : سمك أو حساء محار ، لحم مشوى ، كبدة الاوز ، و « جلاس » . وكان الأستاذ يتمتع بشهية

عجيبة . واذا ما فرغ الضيوف من العشاء ، ذهبوا للجلوس في غرفة الاستقبال ذات الابواب المبطنة بالحرير الاحمر وعلى الرغم من أن مدام دروييه ، كانت قد جعلته يقسم برأس ابنه الميت على قطع علاقته بمدموازيل بلانش ، إلا أن هذا القسم لم يحترم ، وظلت مواعيده معها تملأ مفكرته . وكان حب مدام دروييه لا يزال يدور في نفس الدائرة المفرغة الاليمة : من جوليت دروييه الى فيكتور هوجو في ١٣ يناير سنة ١٨٧٤ : « تبعتك بعيني حتى ناصية الشارع ، ولكنك لم تلتفت لتشير الى اشارة صغيرة حنونا كما كنت تفعل قديما ، فعلام يدل ذلك ؟ اعتقد أنك تحسن صنعا لو أنك تخلصت رويدا رويدا من اولئك النسوة اللاتي يجرين وراءك ويحمن حولك كما تحوم الكلاب الجائعة ... »

وكان هوجو يستقل كل يوم عربة نقل الركاب ، ويذهب الى « حديقة النباتات » كي يتمتع على حد قوله « بالوحدة بين الجمهور » ، ولكنه في الحقيقة كان يذهب لمقابلة بلانش . ولكن غيرة مدام دروييه وشكوكها كانت تتجه الى جوديت جوتييه ، وكانت جوليت قد اخبرته بأنه ما دام لا يستطيع أن يكون مخلصا فيجب على الاقل أن يكون صريحا ، وقد وعدا هوجو بذلك !

وكانت جوليت من ناحيتها تفضل أن تكون جوديت جوتييه هي غريمته لا هذه الفتاة المتواضعة المجهولة « مدموازيل بلانش » ، فجوديت على الاقل هي ابنة شاعر وناقد كبير ، ولهذا فقد اخبرت هوجو بأنها لا تمنع في أن يراها ما دام يعتبرها ملهمته الجميلة ، ولكنها كانت تخبره في نفس الوقت بأن الرغبة في احد ذاتها خيانة . ونظرا لان هوجو كان

يشعر بأن صراحته تؤلم مدام دروويه ، فقد بعث اليها  
مواسيا بهذه الاشعار الجميلة :

« أنت تغارين ؟ ممن ؟ وأنت تضطرين ؟ لماذا ؟ »  
« انك النهار بلا ليل والحب بلا نهاية »  
« أتخشين البهجة التي سرعان ما تزول »  
« بهجة الازهار التي تولد في الصباح الهارب »  
« والتي لا تعطر البرارى الا لحظة واحدة ؟ »



كوني هادئة في سمائك الزرقاء  
فماذا يهمك وانك الضوء كله  
« أن يتوقف شعاع لحظة  
في مروره باحدى الازهار »  
« ان النجم في كبد السماء  
لا يخشى الزهرة (١) »

ان سعادتها بهذه القصيدة كانت غامرة ، ولكن ذلك لم  
يحل دون أن تشعر في أعماق نفسها « كأن شيئا مديبا يخرق  
قلبها من جهة الى أخرى » . ويا ليت حبها هذا على ضخامته  
كان يجعله سعيدا ! لقد كتبت اليه جوليت تقول :

« انك تحب الغزل ايا كان نوعه حتى ولو كان عابرا، وهذا  
سبب، تمزق قلبك بل وحياتك كلها . ومهما أقيت بسعادتك  
وسعادتي في هذا البرميل الذي لا قاع له ، فانهما لن تكونا  
الا كنقطة في محيط هذه اللذة التي تحب أن ترتشفها بنهم  
عجيب .. »

---

(١) من قصيدة لفيكتور هوجو بعنوان « الى خالدة » « A une immortelle »

« انك لست سعيدا يا صديقى المسكين ، وانا لست بأحسن حالا منك .. انك تقاسى من جرحى الحى الذى يتسع على الدوام لآنك لست لديك الشجاعة لتكويه نهائيا مرة واحدة . اننى أتألم بسبب حبى لك الذى يفوق الحد . واأسفاه ! انك مصاب بداء عضال ، وكذلك أنا ... »



وفى بيت شارع كليشى، كان هوجو يستقبل بعض أصدقائه من السياسيين ، أمثال لويس بلان ، وجامبينا ، وكليمونصو الذى اقترح عليه فى يناير من عام ١٨٧٦ أن يرشح نفسه لمجلس الشيوخ .. فانتخب عضوا فى الدورة الثانية ، ولكن جوليت كانت لا ترحب على عاداتها باشتغاله بالسياسة ، وتندم على أيام المنفى السعيدة فى جزيرة جيرنيزى . وكتبت إليه جوليت تقول :

« آه ! كم أود من كل قلبى أن أستبدل بقصر فرساي ومجلس شيوخه بخطبائه الذين خلوا من القلب والروح منزلى الصغير فى جيرنيزى : منزل المدينة العالية .. »

وفى عام ١٨٧٧ ، استقبل هوجو فى مسكنه بشارع كليشى « دون بدرو » امبراطور البرازيل الذى عامل الأديب كما كان يتمنى أن يعامله ملوك فرنسا فى الماضى .. عامله على قدم المساواة ، اذ قال له وهو يصافحه فى حرارة وود : « اطمئن ، فانى خجول بعض الشيء ! » . ولما نادى هوجو حفيدته الصغيرة جان ، وقدمها للامبراطور بقوله : « مولاتى .. أقدم لجلالتكم حفيدتى جان شارل هوجو ... » - أجابه الامبراطور قائلا : « ليس هنا الا صاحب جلالة واحد هو فيكتور هوجو ... » . وقبل الامبراطور دعوة من الشاعر

لتناول طعام العشاء في بيته مع بعض ضيوفه العاديين كزائر بسيط

وكان هوجو يغادر منزله بشارع كليشى كل يوم بعد تناول الغداء ، فيذهب تارة إلى مدموازيل بلانش ، وتارة أخرى إلى ماري مرسية جنية نهر الاور. التي لم ترق لها الحياة في مدينة فيانندن ، فجاءت إلى باريس تطلب العون من جديد ! وكان هوجو يصطحبها للنزهة في حديقة بوت شومان ، ويستقل معها ترام الاتوال الذي يوصل إلى ميدان العرش . ومن الطريف أن هوجو كتب ذات مرة بمناسبة عيد رأس السنة خطابا إلى مدير « مجلس إدارة شركة ترام الركاب العامة » يقول فيه :

« اننى عادة أركب ترام الاتوال - ميدان العرش ، وكذلك أومنيبوس الباتينول الذي يوصل إلى حديقة النباتات ، فأسمح لى أن أرسل إلى سيادتكم مبلغ خمسمائة فرنك لتقوموا بتوزيعه على سائقى وكمسارية هذين الخطين . . . »  
وفي يناير عام ١٨٧٧ ، وبعد ثرمل دام ست سنوات ، أخبرته أليس بعزمها على الزواج من ادوارد لو كرواه نائب مقاطعة بوش دي رون . وعاد فيكتور هوجو وجولييت من جديد إلى منزل المدينة العالية بجيرنيزى في يوليو من عام ١٨٧٨

وعلى الرغم من بلوغه السادسة والسبعين، كانت جولييت كثيرا ما تضبطه وهو يخفى في جيوبه بعض الخطابات وقت وصول البريد ، وحينئذ كانت تنتابها نوبة من المزاج الاسود ، فتفتش أدراج مكتبه وجيوبه وتبحث في مذكراته الخاصة . وكانت تتوسل إليه في رسائلها اليومية أن يحترم نفسه ،



وفى ٢٠ اغسطس من نفس العام كتبت اليه خطابا مؤلما  
تقول فيه :

« ان « ركوع » روحى الالية أمام روحك ، موجه اليك  
كرجل عظيم لا الى الحيوان الساقط الذى ليس أنت . . ان  
مجدك الذى يبهز العالم يجب أن يضىء حياتك ، ويجب أن  
يكون غروب شمسك مقدسا ومبجلا ، وكم أود لو أجود  
بما تبقى لى فى الحياة من أجل حمايتك من هذه الاخطاء  
التي لا تليق بجلالة سنك وعبقريتك . . . »

وكان هوجو يفضب من هذا الكلام ولا يعيره أى اهتمام ،  
وكان يلقب جوليت ساخرا : « بالمدرسة » ، وفى نفس الوقت  
كان لا ينفك يقول لها : « اننى أشعر بأن روحى ملك لروحك » .  
ولكن جوليت كانت تظل حانقة ومصدومة معظم الوقت ،  
وكان اقل شيء يمكن أن يدفعها الى الشجار . وكان ينتج عن  
هذه المناقشات والمشاجرات حالة من التوتر العصبى ،  
فيصب المريض الدائع الصيت جام غضبه على من حوله من  
الاصدقاء والمقربين

وذات صباح ، نشبت بينهما أزمة شديدة بخصوص كيس  
نقود يحتوى على خمسة الاف من الفرنكات الذهبية ، عثرت  
عليها مدام دروييه فى درج بمكتبه اثناء إحدى حملاتها التفتيشية ،  
وكان السؤال القاسى الذى وجهته اليه : « ما هى الجهة التى  
سيرسل اليها هذا المبلغ ؟ » . وكثيرا ما كانت تنشب بينهما  
المشاجرات بسبب مذكرات تعود الى خمس سنوات مضت !  
وذات ليلة بلغها انه كان يتنزه فى شارع كونيتر ، وهو شارع  
الحب مقابل المال ، وكانت ثورة عارمة صممت بعدها مدام  
دروييه على ترك هذا الشيخ الذى لا يتوب ، والذهاب لقضاء

بقية أيامها عند ابن شقيقتها لويس كوخ ، ومع ذلك استقلت معه الباخرة عائدة الى فرنسا في ٩ نوفمبر عام ١٨٧٨ !  
وفي باريس استأجر هوجو منزلا صغيرا في شارع « أيلو » بالقرب من اليس وزوجها لو كروى وحفيديه جورج وجان ، وأقامت جوليت معه في المنزل بالطابق الاول ، ولكنها سرعان ما نقلت نفسها الى الدور الثاني في غرفة مجاورة للغرفة التي يعمل فيها هوجو . .

وكانت جوليت على الرغم من ضعف صحتها الشديد ، تحب أن تقوم بدور سيدة البيت وخاصة بعد زواج اليس على الرغم مما كانت تلاقيه في ذلك من مشقة بالغة ، وكان هوجو قد اذن لها بأن تفتح خطاباته التي تأتيه على شارع أيلو كي يبعث بشيء من الثقة والطمأنينة في نفس صديقه القلقه ، ولكن رسائله « السرية جدا » كانت تصله عن طريق صديقه بول موريس

والتجأت جوليت الى لو كروى زوج اليس كي يساعدها في اقناع هوجو بأن يقطع علاقته بدموازيل بلانش ، فلجأ لو كروى الى طريقة طريفة . . اذ قابل بلانش واخبرها ان فيكتور هوجو قد يموت فجأة بين ذراعيها لانه مصاب باحتقان في المخ . والواقع ان هوجو كان قد أصيب فعلا منذ بعض الوقت باحتقان بسيط في المخ ، غير أن لو كروى بالغ في ذلك وأكد لها أنها ستقتله ان لم تبتعد عنه ، فثار الرعب في قلب الفتاة ، ووعدت ألا تقابله بعد ذلك أبدا . وبعثت اليها جوليت مبلغا كافيا من المال ، ونصحتها بأن تتزوج ، كما وعدت الفتاة بأن تحصل لها على عنوان أسرة لانفان التي كانت ترفض أن ترى

هذه المذنبه منذ مغامرتها في جزيرة جيرنيزى . وتزوجت الفتاة بعد ذلك بالفعل ، وكتب هوجو في مفكرته بتاريخ ١٧ ديسمبر ١٨٧٩ يقول :

« تزوجت بلانش في يوم ٢ ديسمبر في بلفيل ، وقد عرفت ذلك من خطاب الدعوة الذى وصلنى » ..

وبعد ابعاد مدموازيل بلانش ، تزاحمت الكثرات حول الشاعر بغية أن يأخذن مكانها . وكان من بينهم جان ايسلر ، ومدموازيل اديل جالوا ، ومدام دى فيتراك أرملة لوساج التى تكتب الشعر ، والتى تتمنى أن ترث الاديب الشيخ ولا تطلب سوى المنضدة والفراش بدون حب . وبخصوص هذه السيدة الاخيرة كتبت جولييت لهوجو تقول :

« انها شاعرة ، وهى تعبدك ، والبقية تأتى .. أرجو يارجلئ الصغير العظيم أن تكف عن اجتذاب هذه السيدة اليك . ان من لدغه الثعبان يخاف من الحبيل ، والقلب الممزق يخشى الجروح الجديدة ، ولما كانت جروحي لا تزال تذى بشدة .. فاننى اتوسل اليك ، مهما كانت جاذبية هذه المرأة ، أن تريحنى من هذا القلق الذى تسببه لى .. »





## الراحة الأبدية

في السادس والعشرين من فبراير ١٨٨١ بلغ هوجو الثمانين من عمره واحتفلت فرنسا بذلك احتفالا وطنيا !

ففي شارع أيلو حيث يسكن هوجو ، أقيم قوس كبير للنصر ، ودعى الشعب الباريسي للمرور من تحته أمام الكاتب الكبير . ووقف هوجو بشرفة مسكنه بين حفيده جورج وحفيدته جان ، يشاهد والدموع في عينيه ما يزيد عن ستمائة ألف من المواطنين يمرون أمامه لتحيته . وكان هوجو يقف بالشرفة كل يوم ساعات طويلة ليتقبل هذه التحية الرائعة غير مبال ببرد فبراير . وأرسلت من الأقاليم آلاف من باقات الزهور للمشاهدة في الاحتفال بالشاعر العظيم ، وكان جول فيري رئيس مجلس الوزراء قد زاره في بيته في اليوم السابق ، لتهنئته بهذه المناسبة تهنئة رسمية ، كما صدر قرار بإعفاء جميع تلاميذ المدارس وطلبة المعاهد من العقوبات المدرسية الموقعة عليهم تكريما لهذه المناسبة !

وحيثما دخل هوجو الى قاعة مجلس الشيوخ في الاسبوع التالي ، وقف جميع الأعضاء ودوت اكفهم بالتصفيق . وفي شهر يوليو من نفس العام ، أطلق اسم هوجو على الشارع الذي يقيم فيه

واستمرت هذه الاحتفالات أياما متتالية بصورة لم يسبق لها نظير من قبل !



في سبتمبر من عام ١٨٨٢ ، سافرت جوليت مع فيكتور



هوجو الى بلدة « فولى لى روز » باقليم نورماندى لزيارة صديقيهما بول موريس ، وما ان عادا الى باريس حتى أحست جوليت بألم مروع اضطررها الى ملازمة الفراش ، وقرر الطبيب أنها مصابة بسرطان فى المعدة

وسرعان ما هدت آلام المرض الخبيث قوى المرأة المسكينة ، فلم يعد يتبقى من جمالها النادر الا حنان العينين وحلاوة الفم . .

وكانت جوليت تجلس الى جوار نافذة غرفتها ، كما سبحت لها حالتها بذلك لتراقب فى الجهة الأخرى من الشارع حديقة دير هادئة ، كانت تذكرها بطفولتها . . فكانت تبدو على محياها المتألم حينئذ علامات الشرود العميق . .

ولما أدركت جوليت ان النهاية أصبحت محتومة ، أبدت رغبتها فى أن تدفن مع ابنتها كليلر ، والواقع أنها كانت تتمنى أن يقام لها ولابنتها قبران توأمان ، ولكن هوجو لم يعن بتحقيق ذلك ، وكانت قد كتبت اليه يومئذ تقول :

« على الرغم من أن ذلك قد لا يروق لك ، أرجو أن تسمح لى بأن أحققه ذات يوم دون أن أكون سببا فى تغيير شىء من عاداتك أو من عادات أسرتك . . وآمل ألا ترفض ذلك ، وأن توافق عليه فى الحال لاننى أشعر بأن الوقت قد بات ضيقا . »  
وها هى ذى الآن تعود الى هذه المسألة ، وتطلب منه كذلك أن يبحث معها أى الأبيات ستنقش على قبرها « حينما لا تكون موجودة فى هذا العالم . . . »

وذهبت جوليت مع هوجو الى « سان مانديه » لزيارة قبر ابنتها كليلر زيارة أخيرة ، وانتهر هوجو هذه الفرصة فقام بزيارة ابنته أديل فى مستشفى الامراض العقلية ، وفى اليوم



التالى تلقى هوجو من جوليت هذه الرسالة المؤثرة :  
« عزيزى المحبوب .. أشكرك لانك جئت معى أمس الى  
سان مانديه . لقد كانت زيارة جميلة على الرغم مما اختلط  
بها من مشاعر حزينة ، اذ أحسست وأنا أمام قبر ابنتى بأن  
ندمى أقل مرارة . وآمل أن يكون كل منا قد عاد من حبه  
التقى ، وهو يشعر بأن قلبه ان لم يكن عامرا بالسلوى والعزاء  
— وهو أمر لم يعد ممكنا فى هذه الدنيا — فعلى الأقل خاضعا  
لارادة الله ... »

وفى الثانى والعشرين من نوفمبر عام ١٨٨٢ ، قرر اميل  
بيران مدير المسرح الفرنسى اعادة عرض مسرحية « الملك يلهو »  
التي كانت الظروف السياسية قد حالت دون عرضها فى مثل  
هذا اليوم من عام ١٨٣٢ .. وفى ليلة الافتتاح ، جلس جول  
جريفى رئيس الجمهورية فى مقصورته الرسمية ، بينما جلست  
مدام دروويه مع المؤلف الكبير فى المقصورة الخاصة بمدير  
المسرح ، وكادت سعادة جوليت بهذا التكريم تنسيها ما كانت  
تعانيه من الام .

والآن ، لم يعد عليها الا أن تعود الى بيتها لتواجه الموت ..  
وكانت جوليت على الرغم من ادراكها لخطورة حالتها  
لا تتحدث عن هذا الموت الا نادرا ، وذلك احتراما منها لرغبة  
صديقها الذى كان يرى مثل جوته أن « على المرء أن يغسل  
نفسه من أحزانه » ، وأن يدع الكتابة جانبا قبل أن يأتى  
للجلوس معه ..

وأثناء دعوات العشاء فى بيته بشارع ايلو ، كانت جوليت  
— وقد أصبحت هزيلة — تصر على الاهتمام بها احدى المائدة .  
وحين كان هوجو يرفع كأسه ليشرّب نخب صحتها ، وهو

يقول انه كان سعيد الحظ بأن قابلها منذ خمسين عاما ، كانت جوليت بدورها ترفع كأسها الذى كان فارغا على الدوام ، وكان الشاعر يقطع حديثه مع ضيوفه بين حين وآخر ليلتفت اليها وهو يقول :

— انك لا تأكلين شيئا يا مدام دروويه !  
فكانت ترد عليه قائلة :

— شكرا ياسيدى ، فلست أستطيع أن أكل !  
ومع ذلك ، فقد كانت جوليت تنهض من فراشها فى أى ساعة من الليل ، اذا ماسمعت أقل سعال صادر من غرفة صديقها لتعد له شرابا ساخنا . .  
وفى أول يناير عام ١٨٨٣ ، كتبت اليه آخر خطاب لها فقالت :

« أيها العزيز المعبود . . لست أدري أين يمكن أن أكون فى مثل هذا اليوم من العام القادم ، ولكننى سعيدة وفخورة بأن أوقع لك على وثيقة حياتى بكلمة واحدة : أحبك . جوليت »  
وفى نفس اليوم ، رد عليها هوجو قائلا فى خطابه الاخير :  
« حين أقول لك : ليباركك الله ، فانها السماء . . واذا قلت لك : نامى نوما هادئا ، فهى الارض . ولما أقول لك : أحبك ، فهو أنا . . . »

وكانت جوليت لا تستطيع أن تتناول أى طعام ، وكان هوجو يأتى كل ساعة ليقضى ساعة الى جوار فراشها ، فتنصت فى خشوع الى حديثه الذى كان يريد به أن يقنعها بأنها لا تتألم ، وهى تحاول أن تبتسم . وظلت جوليت تحتفظ أمامه الى اخر لحظة من حياتها بهذا الطابع النبيل الذى ينطوى على البطولة

وفى الحادى عشر من مايو سنة ١٨٨٣ ، فارقت جوليت الحياة وهى فى السابعة والسبعين من عمرها . وقام فيكتور هوجو بدفنها فى مقبرة سان مانديه الى جوار ابنتها كلير ، وتحت قطعة البلاط التى اختارتها بنفسها

ولم يستطع هوجو أن يغادر المنزل ليسير فى موكب الدفن لشدة حزنه . وفى مقبرة سان مانديه وقف أوجيست فاكرى يلقي خطبة الوداع التى بدأها بقوله :

« ان التى نبكىها اليوم كانت سيدة شجاعة .. » الى أن قال : « ولها الحق فى جزء من المجد لانها تحملت جزءا من الاختبار .. »

والواقع أن هذا كان هو نفس شعور هوجو .. إنه كان قد أهدى الى جوليت فى فبراير من نفس العام بمناسبة يوبيلهما الذهبى صورة له تحمل توقيعها مع هذه العبارة : « ان خمسين عاما من الحب هى أجمل زواج » أليس هذا اعترافا عادلا بجميل تلك المرأة التى عاشت حياة مضطربة ، ضربت فيها مثلا رائعا للحب الذى ينطوى على تضحية تصل الى حد الانقاذ ؟ حقا ان الرغبة كانت قد ضعفت ، ولكن ارتباط هوجو بها لم يضعف أبدا .. انه باشراكه جوليت فى عمله منحها حياة لامثيل لها ، وكذلك كان الامر بالنسبة الى جوليت .. فاذا كان الناس قد تحدثوا كثيرا عن حب هوجو لنفسه أكثر مما ينبغى ، فليس هناك ما يقف فى صفه للدفاع عنه كحب هذه السيدة له . وكان هوجو نفسه يعرف ذلك ، فقد قال بعد موتها :

« سيضعون على قبرى كأنه مجدى العظيم .. »

« تلك الذكرى المعبودة التى حاربها بعضهم »

« ذكرى حب كان خطيئة ثم أصبح فضيلة .. »  
 ان جوليت دروييه لم تنظر أبداً الى المال .. وكان هوجو  
 قد أودع باسمها سهما من أسهم البنك الوطنى البلجيكى ،  
 وكانت قيمتها وقتئذ نحو مائة وعشرين ألفا من الفرنكات . (١)  
 وكان يريد بذلك أن يؤمن حياتها فى العوز ظنا منه أنه سيموت  
 قبلها . فلما رأى هوجو أنها ميتة لا محالة ، استكتبها تحويلا  
 برد هذه الاسهم إليه ، وجاء فى فكرة جوليت بتاريخ  
 ٨ سبتمبر عام ١٨٨١ : « اليوم أصبح مسيو فيكتور هوجو  
 مالكا للسبعين سهما من أسهم البنك الوطنى البلجيكى التى  
 كان قد منحها اياى فيما مضى بكرم كبير .. وهذا التحويل  
 قد تم بمحض ارادتى أنا جوليت دروييه »  
 وفى مقابل هذا التحويل ، أراد هوجو أن يكافئ جوليت  
 على عدم تمسكها بالمال ، فوضع باسمها فى البنك عشرين  
 ألفا من الفرنكات لتعيش منها فى حالة وفاته قبلها ..  
 وكان يتبقى عند جوليت بعد ذلك عدد من السندات  
 والتحف واللوحات الفنية والاحجار الكريمة والاوراق الثمينة  
 وبيت باريس ، وكذلك الفضيّات والمخطوطات والرسائل  
 واللوحات الموجودة بهما تثول جميعها الى ابن اختها « لويس  
 كوخ » ، ولكن جوليت كتبت فى البند الثالث من وصيتها  
 تقول :

« فى حالة تمسك مسيو فيكتور هوجو بشراء كل  
 التذكارات والاشياء التى ستثول الى ورثتى الشرعيين ، فأننى  
 أريد من هؤلاء الورثة أن يوافقوا على بيع هذه الاشياء طبقا

---

(١) أى ما قيمته أربعة وعشرين ألفا من الجنيهات فى عام ١٩٥٣ قبل  
 تخفيض قيمة الفرنك الفرنسى

للرغبة التى يبدىها هوجو .. »  
وكتبت فى البند الرابع تقول :  
« وفيما يتعلق بالقيم النقدية كالذهب والأوراق المالية التى  
لدى منها قدر كبير ، أعلن أنها كلها ملك لمسيو فيكتور هوجو  
الذى وضعها عندى كأمانة ، ويجب أن ترد إليه كاملة لأنها  
ملك له .. »

ولكن هوجو لم يشتر شيئاً أو يسترد أى شيء ، ولو أنه  
كان قد قدر له أن يفتش بين الأوراق الكثيرة المكومة فى غرفة  
جوليت لعثر بينها على رزمة الخطابات التى كانت « ليونى  
دوئيه » قد أرسلتها فيما مضى إلى غريمتها ، ولكن ليونى لم  
تشغل أبداً فى حياة هوجو ذلك المكان الذى شغلته هذه المحبة  
المتفانية ذات القلب النبيل ..

ومنذ اليوم الذى ماتت فيه جوليت دروييه ، لبست روح  
فيكتور هوجو وقلبه ثياب الحداد .. أنه فقد حتى الرغبة فى  
الحياة ، فذات ليلة استيقظ من نومه فى الساعة الرابعة  
صباحاً ليخط هذه الأبيات التى نحس من خلالها أن هذا  
الشيخ العملاق قد أصبح كطفل عاجز ينوء بالم جسيم :  
« آه ! يا الهى .. كيف أعبر بدونها السنين ؟ »  
« انتزعنى من هذه الحياة .. خذنى يا الهى .. »  
« لا تنتظر يوماً ، ولا حتى ساعة واحدة ! »  
« ماذا أفعل كى أموت ؟ »

## الأعوام الأخيرة

فى شارع فيكتور هوجو ، كان الشاعر مستمرا فى استقبال ضيوفه فى بيته بحفاوته المعتادة ، ولكن كان يبدو عليه أنه بعيد عن كل شىء . . . وبدأ جسم هوجو القوى يضعف آخر الامر ، وفى أغسطس من عام ١٨٨٣ رآه الكاتب « رومان رولان » لأول مرة فوصفه بقوله :

« كان هوجو حينئذ يبدو عجوزا أبيض الشعر غائر العينين ، وخيل الى حين رأيت أنه خارج من أعماق القرون . . . »  
وفى باريس كان الناس يرونه يسير فى الشارع تحت الجليد المتساقط ، مرتديا حلة بسيطة . وكان كثيرا ما يردد قوله : « لقد أصبح معطى هو شبابى »  
وأحيانا أخرى كان يقول :

« اننى عجوز وعلى وشك أن أموت . . . اننى سوف أرى الله . . . أرى الله ؟ يالللشء العظيم ! ماذا سأقول له ؟ اننى أفكر كثيرا فى ذلك وأحاول أن أستعد له . . . »

وبقى هوجو مخلصا فى اعتقاده فى الله ، وفى خلود الروح . وفى اليوم التالى لوفاة جوليت قام بزيارة قسيس يدعى « دون بوسكو » وتحدث معه فى هذه المسائل . . .  
وكان هوجو يشعر بأن النهاية قد باتت وشيكة ، ويبدو ذلك فى هذين البيتين اللذين دونهما فى مفكرته :  
« أيها الحزين . . . أيها الاصم . . . أيها العجوز »



« أيها الصامت .. »

« هيا اقفل عينيك .. »

« وافتحهما نحو السماء .. »

وقبل وفاته ببضعة أيام ، ذهب هوجو لتناول طعام العشاء  
ففي مطعم « الاسد الذهبي » مع بعض أصدقائه من «الجمعية  
الادبية » ، وكان صامتا طيلة الوقت ، تبدو على وجهه أمارات  
الشroud ..

وذات مرة ، التفت هوجو فجأة نحو حفيده جورج ثم  
قال :

« الحب .. يبحث عن الحب ، وامنع السرور لغيرك وخذ  
السرور منه بالحب ، وبقدر ما تستطيع .. »

وظل هوجو حتى أخريات أيامه يتمتع بحيوية جنسية  
عجيبة ، ولكنه كان يدرك في هذه السن المتأخرة أن اللذة  
والمجد لا يردان الموت :

« في الساعة التي يملأ فيها اسم الإنسان القطبين .. »

« تراه يدفع من منكبيه بعيدا عن هذه الدنيا .. »

« ولا ينفعه في شيء أن يجرى ليختبئ تحت الاحجار .. »

« إذ يأتي الله في النهاية ولا فائدة هناك .. »

« في أن يغلق المرء على نفسه الباب بالاقفال .. »

« فهذا الموت ليس بالشئ الذي يمكن تجنبه .. »

« واأسفاه ! اننا نموت في عنف وسرعة .. »

« اذ يكفي أن يجمع الحصان براكيه .. »

« أو يسقط على المرء حجر من الاحجار .. »

« وهو واقف الى جوار باب موارب في شهر يناير .. »

« وسرعان ما نرى القسيس يدخل من الباب .. »

« بدلا من أن تدخل الفتاة .. »

غائمة المطاف

## خاتمة المطاف

وفى الثامن من مايو عام ١٨٨٥ ، أصيب فيكتور هوجو باحتقان فى الرئة . . وما ان ذاع النبأ فى أرجاء باريس حتى احتشد حول بيته جمهور غفير على الرغم من هزيم الرعد وهطول الأمطار ، وصدرت نشرة صحية عن حالته جاء بها « أن حياة الاديب الكبير قد أصبحت فى خطر »

وفى الحادى والعشرين من مايو ، بعث الكردينال «جيبير» مطران باريس برسالة الى مدام لو كروى يخبرها فيها بأنه قد صلى كثيرا من أجل المريض المشهور ، وأنه اذا كان فيكتور هوجو يرغب فى أن يزوره القسيس فليس أحب اليه من أن يقوم بنفسه بهذا الواجب كى يقدم له العون فى مثل هذا الوقت العصيب !

ورد زوج أليس على الكردينال شاكرًا له هذا الاهتمام ، وأخبره بأن حالة المريض لاتسمح بتلك الزيارة . . اذ أنه أصبح فى غيبوبة تامة . .

وفى الثانى والعشرين من مايو ، أفاق فيكتور هوجو من غيبوبته ، فودع صغيره جورج وحفيده جان ، ثم نظر الى من حوله بعينين نائمتين ، وخاطبهم قائلا : « اننى أرى نورا أسود » ، يذكرنا بيت من أجمل أبياته :

« هذه الشمس السوداء البشعة التى يشع منها الليل ! »

وفى اليوم نفسه فارق فيكتور هوجو الحياة ، وحينما فتحت وصيته تبين أنها مكتوبة بالشعر ، وأنه قد أوصى

للفقراء بخمسين ألفا من الفرنكات ، وبأن يدفن فى مقابر  
الفقراء !

وحينما أذيع نبأ وفاته ، أوقف مجلس الشيوخ ومجلس  
النواب الجلسة حدادا على وفاة الشاعر العظيم ، وقرر  
المجلس أن يدفن جثمانه فى مقبرة العظماء (١) بعد عرضه  
تحت قوس النصر ..



دامت الاحتفالات الرسمية بوفاة فيكتور هوجو أياما  
متتالية ، وبلغ عدد المشيعين الذين ساروا فى جنازته أكثر من  
مليونين من الأشخاص ، ولكن أحدا لم يخطر بباله وقتئذ أن  
يذهب لزيارة مقبرة سان ماثديه ! ولو قدر لإنسان أن يفعل  
لوقعت عيناه على قبر متواضع يقوم بين الحقول التى تحيط  
بها منازل الضواحي يضم رفات تلك التى اقترن أسمها باسم  
الكاتب العظيم فى عالم الادب

وكانت الميتة تود من صميم قلبها أن ينقش على شاهد  
قبرها هذه الايات لحبيبها الشاعر :

« حينما لا أكون سوى رماد بارد .. »

« وحينما تغلق عيناي المتعبتان عن ضوء النهار »

« فاسأل نفسك : هل ذكرى ثابتة فى قلبك ؟ »

« لقد كان للعالم فكره .. »

« أما أنا فكان لى حبه .. »

ولكن أحدا من أقربائها لم يهتم بتحقيق هذه الامنية ، فظل

---

Le Panthéon (١)

قبرها زمنا طويلا بلا اسم ولا تاريخ ٠٠ أما الآن فيستطيع زوار  
« مقبرة سان مانديه » أن يلمحوا بين القبور قبرا مزدوجا  
يلمع رخامه الابيض وسط الزهور ، وقد نقشست على شاهده  
الآيات السابقة ، والفضل في ذلك يرجع الى « جمعية أصدقاء  
جوليت دروييه » التي تتكفل الان بالعناية بهذا القبر الذي  
ترقد فيه مع ابنتها كبير



## المصادر

- Victor Hugo: Lettres à la Fiancée ( Edition Nelson ).
- Victor Hugo: Actes et Paroles — Avant l'exil et Pendant l'exil.
- Victor Hugo. Les Chants du Crépuscule.
- Victor Hugo: Les Feuilles d'Automne.
- Victor Hugo: Correspondance.
- Victor Hugo: Le Dernier Jour d'un Condamné.
- Adèle Hugo: Victor Hugo raconté par un témoin de sa vie.
- Juliette Drouet: Mille et une lettres d'amour à Victor Hugo.
- André Maurois: Olympio ou la vie de Victor Hugo.
- Raymond Escholier: Un Amant de Génie.
- Sainte Beuve: Nouveaux Lundis.
- Sainte Beuve: Correspondance Générale.
- Cf. Louis Guimbaud: Victor Hugo et Juliette Drouet.
- Gustave Simon: La Vie d'une Femme.



صفحة

٧	مقدمة .....
٩	الطفل والفتى .....
٣٣	الاسرة المقدسة .....
٣٧	لقاء في مسرح .....
٤٧	تجربة قاسية .....
٥٣	فرار جوليت .....
٦٧	شاعر .. وعشيقة .. وزوجة .....
٧٩	تحت قبة الاكاديمية .....
٩١	محنة عروسين .....
٩٧	فضيحة سان روك .....
١٠٥	مأساة كلير .....
١١٩	المسافر المتنكر .....
١٣٩	عظيم في المنفى .....
١٥٧	البؤساء .....
١٦٣	وفاة اديل .....
١٧٩	مغامرة جديدة .....
١٩١	العودة .....
٢٠٣	الراحة الابدية .....
٢١٣	خاتمة المطاف .....

## وكلاء مجلات دار الهلال

لبنان : مكتب دار الهلال - شارع ابراهيم الحوراني  
الاقليم الشمالي : صندوق البريد ٢١٩٦ - بيروت

العراق : السيد محمود حلمي - المكتبة العصرية  
ببغداد

اللاذقية : السيد نخلة سكاف

جدة . السيد هاشم بن علي نحاس - ص. ب ٤٩٢

البحرين : السيد مؤيد احمد المؤيد - ص. ب ٢١

Dr. Michel H. Tcmé,  
Praetorio Do Colegio No.  
3º Andar — Sala 9  
SAO PAULO — BRASIL

البرازيل

Mr. Hussein Abi Hassan,  
P.O. Box 2561,  
ACCRA, GHANA

غانا :

Messrs. Allie Mustapha & Sons,  
P.O. Box 410,  
Freetown Sierra Leone

سيراليون :

M. Ahmed Bin Mohamad Bin Samit,  
Almaktab Attijari Asshargi,  
P.O. Box 2205,  
SINGAPORE

سنغافورة :

ARABIC PUBLICATIONS  
DISTRIBUTION BUREAU,  
7, Bishopsthorpe Road,  
London S. E. 26,  
ENGLAND

انجلترا :

Mr. Mohamed Said Mansour,  
Atlas Library Company,  
126, Nnamdi Azikiwe Street,  
LAGOS NIGERIA

نيجيريا :



## هذا الكتاب

ما زالت حياة فيكتور هوجو الفرامية  
مجهولة بالنسبة لجمهور غير من عشاق فنّه  
.. وقد عاش هوجو حياة حافلة بالحب  
والمغامرات السياسية والعاطفية

وليس بخاف على جمهورنا العربي أن هوجو  
هو ألمع كاتب رومانتيكي في القرن التاسع  
عشر ، وقد ألف كتباً عدة أدبية وسياسية ..  
تصور حياة عصره ..

وهذا الكتاب الذى تقدمه سلسلة كتاب  
الهلل الى قراء العربية يصور حياة هذا  
الاديب الكبير تصويراً بديعاً ، وينفذ الى دقائقها ،  
ويعرض لجميع المواقف والاحداث التى مرت  
بهذا الرجل الذى كان الحب يجرى فى عروقه  
حتى آخر نبضة من نبضات حياته

وقد بذل مؤلف الكتاب الاستاذ لطفى  
سلطان جهداً كبيراً فى استقصاء دقائق هذه  
الحياة الحافلة بعد أن اطلع على معظم ما كتبه  
عنه معاصروه ، وعلى كثير من الوثائق التاريخية  
والخطابات التى كتبها هوجو بيده

انه كتاب قيم فيه أدب وفيه تاريخ و  
تصوير للحياة الانسانية فى طورها الرا

Bibliotheca Alexandrina



0216083